

خواطر و تأملات

فتح

شرح أسماء الله الحسنى

[الجزء الثانى]

لفضيلة الشيخ / الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

و خطيب مسجد " عبد الغني النابلسي " بدمشق

منتدى سور الأزر بكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خواطر و تأملات

فدح

شرح أسماء الله الحسنى

[الجزء الثانى]

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

و خطيب مسجد " عبد الغني القابلسي " بدمشق

حول فضيلة الشيخ

محمد راتب النابلسي

وُلد الشيخ الجليل في دمشق عام ١٩٣٨ من أسرة علم ، فقد كان والده عالماً من علماء دمشق ، و قد ترك له مكتبة كبيرة تضم بعض المخطوطات .

إلتحق شيخنا الجليل بمدارس دمشق الابتدائية و الإعدادية والثانوية ، ثم بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق ، وتخرج عام ١٩٦٤ ، ثم التحق بكلية التربية بجامعة دمشق ليكمل الدراسات العليا فحصل على الماجستير ، ثم التحق بجامعة " ترنتي " ببريطانيا للحصول على الدكتوراه في " تربية الأود في الإسلام " . بعد ذلك عمل في حقل التدريس بالتعليم الثانوي الرسمي ، ثم الجامعي ، حيث عُيِّن أستاذاً مُحاضراً في كلية التربية - جامعة دمشق من عام ١٩٩٦ ، حتى ١٩٩٩ .

و قد طلب شيخنا العلم الديني الشرعي في وقت مبكر من حياته ، حيث تتلمذ على أيدي عدة علماء من دمشق ، فدرس

التفسير ، و الحديث ، و الفقه ، و السيرة ، و الفرائض .. حتى نال
إجازة إسلامية من أستاذه بكلية الآداب ، هو الدكتور .

الشيخ " صبحي الصالح " أستاذ علوم القرآن و علوم الحديث
و فقه اللغة بجامعة دمشق .

و في عام ١٩٨٤ عُيِّن شيخنا الجليل خطيباً بجامع الشيخ عبد
الغني النابلسي ، و مدرساً دينياً بعدة مساجد بدمشق ... و لا
يزال - بفضل الله تعالى - حتى الآن يخطب و يدرس .

كما عُيِّن شيخنا مديراً لمعهد تحفيظ القرآن بجامع النابلسي ،
و عضواً مشرفاً على مجلة " نهج الإسلام " التي تُصدرها وزارة
الأوقاف بالجمهورية العربية السورية .

و لشيخنا الجليل عدة دروس مسموعة و مكتوبة ، متاحة على
أقراص ليزر ، تباعها عدة شركات ، منها : شركة
" المشكاة " للبرامج و الحاسبات ، الكائنة ب عمارات خلف
العبور - أمام دار الهيئة الهندسية - مصر الجديدة - القاهرة .
تليفون : ٤٠٢١٠٢٨ - ٤٠٢١٠٢٨ ، و هي متاحة أيضاً

على موقعه بالإنترنت www.nabulsi.com

الحسين

الخبير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا
الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه واجعلنا
ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك
الصالحين .

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم هو : الخبير ، و الخبير من
أسماء الله الحسنى كما أنه لا يخفى عليكم أن أسماء الله كلها
حسنى ، قال تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

الأعراف : الآية ١٨٠

وكمال الله جل جلاله كمال مطلق بينما كمال الإنسان كمال
نسبي ، فعدل الله مطلق وقدرته مطلقة ورحمته مطلقة وعلمه
مطلق .

أيها الإخوة : الخبير صرفيا وزنه على فعيل ، ومن معاني فعيل
مُفْعِلٍ فخبير بمعنى مُخْبِرٍ ويراد أنه متكلم وأن القرآن كلام الله عز

وجل ، والمعنى الآخر للخبير : هو الذي يعلم كل شيء ولا يغيب عن علمه شيء وهو العالم بكنه كل شيء و مطلع على حقيقة كل شيء ، العليم بدقائق الأمور لا تخفى عليه خافية يعلم الداء والدواء ، العلم بظاهر الأشياء وبواطنها بشكلها وحقيقتها وبجلائها ودقائقها بما تراه عينك وبما يخفى عنها ، يقول الإمام الغزالي : الخبير هو الذي لا تغرب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء إلا بعلمه ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بعلمه ولا تضرب نفس ولا تطمن إلا بعلمه ، وقيل : الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا تتحرك حركة ولا تسكن ساكنة في السماء والأرض إلا يعلم مستقرها ومستودعها ... لكن قد يسأل سائل أليس هذا هو العليم ؟ هذا كله يمكن أن يكون شرحا لاسم العليم فمالنا نتحدث هذا الاسم بما يشبه اسم العليم ؟ الحقيقة أن العلماء فرّقوا بين العليم و الخبير

فالخبير يفيد معنى للتعليم ولكن العليم لا يفيد معنى الخبير لذلك اسم الخبير هو عليم ومع العلم شيء آخر ، سوف أوضح عن طريق الأمثلة الفرق الدقيق بين العليم والخبير وهناك آية في القرآن الكريم التي ورد فيها اسم الخبير ، ولتكون أساسا لهذا الدرس ، ثبت في القرآن لفظ الخبير أكثر من أربعين مرة فقال تعالى :

وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

البقرة : الآية ٢٣٤

لو أنني أمسكت هذا الكأس ووضعتة في هذا المكان أنتم جميعا
رأيتم أنني نقلته من مكان لآخر فهذا هو العلم ولكن لماذا نقلته ؟
ما الدوافع التي حملتني على نقله وما الخواطر التي خطرت
ببالي حين نقلته وماذا أبتغي بنقله وما الباعث على نقله ، علمك أنه
انتقل من مكان لآخر هذا يسمى علما، أما الخبير إذا قال الله عز
وجل : " والله بما تعملون خبير" يعني يمكن أن تعمل عملا لا يشك
أحد من الخلق أنه عمل طيب وتكون النية ليست طيبة فالله خبير بما
تعمل ، قد تدعي شيئا وأنت على خلافه وقد تريد شيئا في الظاهر
وفي الباطن لا تريده ، وقد تُرحب وأنت تُبغض ، وقد تغضب وأنت
تحب حقيقة العمل ومؤدى العمل هي للخبير فهو الذي يعلم ذلك ،
فالخبرة العلم بدقائق الأمور ببواطنها وبواعثها وبأهدافها للبعيدة بما
بخامر فاعلمها من مشاعر ؛ آية ثالثة :

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ

بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾

البقرة : الآية ٢٣٤

من باب الطرفة نقول : في بعض الأيام تأتي صديقة زوجته
وتجلس مع زوجته يقول الزوج تعالوا إلى هنا فالغرفة هنا أدفا ، يا
ترى هل هذا الذي ذكره هو الحقيقة أم يوجد شيء يخفيه لا نعلمه ؟
فإنه خبير والأعمال بحجمها وتفصيلها ، وبواعثها وأهدافها وأبعادها
و بمقاصدها وخلفياتها وجزئياتها لا يعلمها إلا الله فالله هو الخبير ،
قال تعالى

• إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ
فَأَنْتُمْ كُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

آل عمران: الآية ١٥٣

قد تجد إنسانا يعمل عملا طيبا و ربما ساق الله له بعض
المصائب فتقول : لم أصيب وأعماله طيبة ؟ أنت لا تعلم لأن الله هو
الخبير ، لم يسق له هذا الشيء إلا لحكمة بالغة ورحمة به ، فالله بما
تعملون خبير ، مثل آخر : طبيب له الحق أن يرى موضع الألم من
المرأة ، لكنه إن نظر إلى موضع آخر لا تشكو منه فهل على وجه
الأرض جهة تكشف خيانة بصره ؟ لا ... إلا الله ، قال تعالى :

يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٦٠﴾

غافر: الآية ١٩

و قال تعالى :

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

الحديد . الآية ٢٢

فالمصيبة إذا أرسلها الله عز وجل لا تحزنوا لمجيئها ولا تفرحوا بما آتاكم فالله خبير بما تعملون ، حكمة الله اقتضت أن يرسل عليكم هذه المصيبة ، إنسان صالح من بيته إلى مسجده رزقه الله تعالى مبلغا كبيرا من المال هل سيبقى على حاله أم يتغير ؟ هذا لا نعلمه لكن الله يعلمه فالله خبير بما تعملون علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان ، كيف كان يكون ، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

" إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فإذا أغنيته

أفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى

فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه" ، فمن الذي يعلم حقيقة

النفس !!؟؟؟؟

كنت مرة في طريقي وجدت جدارا منهارا بسبب هبوب عاصفة هوجاء بلغت سرعتها مئة وثمانين كيلومتر في الساعة ، فهذا الذي بنى الجدار هل يعرف السرعة التي ينهدم بها الجدار ؟ لا بد وأنه لا

يعرف . ونحن إذا أردنا أن نعرف فلا بد من أن نجرب ، بعض
المعامل من أجل أن تعرف مقاومة الآلات ، تضعها في ظروف
صعبة، مثل مركبة تنتقل بسرعة مئة كيلو متر وأمامها جدار من
الإسمنت المسلح ، طبعاً يحتالون على أن تنطلق من غير سائق
فترتطم بهذا الجدار ، يرون هذا المعدن الذي صنع منه هذا الهيكل
ماذا فعل به هذا الصدام الشديد على سرعة مئة كيلو متر ، ؟ وإلى
أي مكان وصل هذا الصدام؟ ويبنون على هذه التجربة خبرتهم ! أما
إنسان صنع هيكل مركبة وغلفها وهياها ، دون أن يعرف إذا كانت
في حال اصطدامها بجدار ما يكون مدى تأثير الجدار فيها ، فهي
معرضة للتلف بسهولة ، فخبرة الله قديمة وخبرة الإنسان مكتسبة
والدليل أن خلق الإنسان هل طرأ عليه أي تغيير منذ خلقه الله
سبحانه وتعالى ؟ فالبشر من العصور القديمة وحتى الآن لم يطرأ
تغيير على خلقهم ؟ إذا نظرنا إلى سيارة صنعت سنة ألف وتسعمائة
فقط ، ترى بينها وبين التي صنعت سنة ألف وتسعمائة وخمسة
وتسعين بونا شاسعا غير معقول ، فالقطار الأول الذي صنع قديما
ألزمهم أن يضعوا إنسانا أمامه كي يحذر الناس حينما يمشي ؛
فسرعته كانت تعادل سرعة الإنسان أما الآن فالقطار يمشي بسرعة
ثلاثمائة وستون كيلومتر في الساعة والتطورات لا زالت تأتي
بالجديد ، فالإنسان خبرته مكتسبة وحادثه أما الله فخبرته قديمة
بدليل أن كل شيء خلقه الله خلقه في أبداع صورة ، و في أكمل حال

قال تعالى :

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّةَ السَّحَابِ صُغِّرَ اللَّهُ الْأَدْيَ

أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

النمل : الآية ٨٨

كنت ذات مرة عند أحد إخواننا الكرام يعملون بإصلاح السيارات ورأيت عندهم قطعة ميكانيكية ملقاة على الأرض فقلت : ما قصة هذه القطعة ؟ فقال : إن مركبات هذه القطعة بعد عشرة آلاف كيلو متر ، تكسر من هذا المكان ، ويوجد فيها منطقة ضعيفة ، والذي صمم هذه الآلة لم يكن يتخيل أن هذا المكان ضعيف على التحمل وبذل الجهد ، ومنها علمت أن كل تعديل يطرأ على مركبة أو على آلة دليل نقص في الخبرة ، والنقص في الخبرة نتلافاه فيما بعد ! فالتطويرات التي تطرأ على خبرة الإنسان دليل على أن خبرته ناقصة ومكتسبة وحادثثة ، أما خلق الله الكامل والذي لا يزال كاملاً وسيبقى كاملاً دليل على أن خبرة الله قديمة ، حليب الأم مثلاً فقير من الحديد وهو معدن أساسي جداً في تكوين خضاب الدم ، لو فحصنا طحال وليد رضيع نجد أن فيه كمية جديد تكفيه عامين إلى أن يأكل غذاءً منوعاً ، فمن فعل هذا ؟ الخبير ، ولماذا جعل ثقب بين الأذنين والأذنين في القلب ، كشفه العالم بوتال وهذا الثقب وظيفته أنه مادام الطفل في بطن أمه وليس له هواء ولا تنفس والرئة معطلة لذلك بدلا من أن يدور الدم

إلى الرئة ويعود إلى الأذنين ينتقل من أذنين إلى أذنين ، حينما يولد
الطفل قال تأتي جلطة لتغلق هذا الثقب وعندها تنتقل الدورة من
الأذنين إلى الأذنين فتصبح من الأذنين إلى الرئة إلى البطنين كل هذا من
صنع الخبير ، سؤال آخر ؛ لماذا لا نجد في أظافرنا وشعورنا أعصابا
حسية ؟ فلو كان الأمر كذلك لاحتجنا إلى الذهاب إلى المستشفى حين
تقليم أظافرنا وشعورنا ونحتاج إلى تخدير فهذا هو الخبير، ما جعل
أعصاب الحس في الأظافر ولا في الشعر ولكنه جعل أعصاب الحس
في العظام ! فإذا انكسر العظم تألم الإنسان أشد الألم ، فالشعور بالألم
أربعة أخماس العلاج ! لو دقت في خلق الإنسان وفي خلق الحيوان
والنبات لرأيت العجب العجيب ، لو ترك الفلاح الشجرة بلا سقيا ما
الذي يحصل ؟ ستستهلك هذه الشجرة ماء الورق ثم ماء الغصن ثم
ماء الفروع ثم ماء الجذع ثم ماء الجذور وآخر ماء تستهلكه هو
الماء الذي في آخر الجذر ، فلو كانت الشجرة تستهلك الماء ابتداء
من الجذور لماتت كل الأشجار إذا امتنعنا عن سقياها مرة واحدة
ولكن الله جعل الدورة معاكسة ، ولماذا ينكمش الماء إذا بردناه ؟ أما
إذا وصل إلى درجة زائد أربعة فيزداد حجمه ، هذه الظاهرة لولاها
لما كانت حياة على سطح الأرض كل هذا من فعل الخبير ،
قال تعالى :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْعِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

المائدة : الآية ٨

حتى العدل مع الكافر قرابة إلى الله ، فحينما تعدل مع الكافر هل
هذا ابتغاء مرضات الله أو خوفا منه ؟ من يكشف ما إذا كان هذا
الإحسان صادرا عن خوف أو عن ابتغاء مرضات الله ؟ هو الله
سبحانه وتعالى وفي آية أخرى:

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٧﴾

الأنعام : الآية ١٨

و قوله تعالى

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦٣﴾

الأنعام : الآية ١٠٣

لو احتال طبيب أسنان على قلع ضرس طفل فمهما يهون على
الطفل ومهما يداعبه فإن الطفل يشعر بالألم إما بألم الحقنة المخدرة
أو بألم الضرس مباشرة لكن الله الخبير إذا أراد تبديل أسنان هذا
الطفل فهل يتألم هذا الطفل ؟ إطلاقا لا يشعر بالتغير . و يقول
الله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهْتِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ



التوبة : الآية ١٦

ورد اسم الخبير كما قلنا في أربعين آية من كتاب الله والخبير هو الذي يعلم بالبواعث والخواطر ، يعلم الخفيات والملابسات ويعلم حقيقة كل شيء ، ويعلم الاحتمالات فنحن البشر لا نعلم حقيقة الشيء إلا بالتجارب ، حتى إذا أردنا صنع دواء نزرعه في الجراثيم كي نستنتج مفعوله ، إما أن يقتل تلك الجراثيم فهو فاعل وإما أن تترك كما كانت فهو غير فاعل ، فعلوم البشر كلها أساسها التجربة ، لذلك سموه بالعلم التجريبي لكن علم الله وخبرته لا يفتقر إلى التجربة ، قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾

الحج : الآية ٦٣

في مواضع كثيرة جاء اسم الخبير مقرونا باسم اللطيف فهناك علاقة بين الخبرة واللفظ ، آية أخرى :

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

النور : الآية ٣٠

فهذا الذي يغض بصره أمام الملاء ويتصنع ثم إذا اختلى بنفسه ومد بصره إلى الحرام ، هل يستطيع أحد أن يعرف إخلاص هذا المرء وريائه ؟ لا أحد ولكن اللطيف الخبير أعلم بحاله من نفسه ، لذلك قال تعالى في آخر الآية إن الله خبير بما يصنعون .

إذا علمت أن الله يعلم وخبير بسرك وجهرك وسريرتك وعلانيتك وخلوتك وجلوتك وبواعثك وخواطرك ومقاصدك وخلفياتك والمؤدى الذي تبغيه من عمك وعلمت أن الله خبير وأنت في قبضته ، فما التطبيقات العملية لهذا الاسم ؟ أنت مكشوف أمامه ولا تخفى على الله منك خافية علانيتك كسرك وجهرك كسرك فهذا يجعلك تستقيم على طاعته وأن لا تخشى معه أحداً آخر وهذه هي أول ثمرة للإيمان باسم الخبير يقول القشيري : من أدب المؤمن مع اسم الخبير أنه من عرف أن الله خبير بأفعاله وأقواله وأعماله كان محترزاً في أقواله وأعماله ووثاقاً بجميع اختياره وأنه ما قسم له لن يفوته وما لم يقسم له لن يدركه ، إذن أول ثمرة هي الاستقامة والرضا والاستسلام ، ومن أدرك وأيقن اسم الخبير يرى أن جميع الحوادث من الله سبحانه وتعالى فتتهون عليه الأمور بخلاف من يضيف بعض الحوادث إلى الحق وبعضها إلى الخلق وأنه هو الفعال لما يريد وكل الأمور بيده ، من خلال هذا نقول : إنك إذا أيقنت من اسم الخبير أنه هو المطلع على سرك عليم بخفي أمرك وما في صدرك يكتفي برفع همتك إليه

واستحضار حاجتك في قلبك من غير أن تنطق بلسانك وهى فكرة
دقيقة جدا ، علمك أن الله مطلع على قلبك يجعلك تناديه نداء خفيا
كما فعل سيدنا زكريا

إِذ نَادَى رَبَّهُ وِندَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

مريم : الآية ٣

وبعضهم تجده يجهر بالدعاء وكأنه يناجي بعيدا فالمؤمن إذا
عرف اسم الخبير ناجاه في سره وسأله في سره ودعاه في سره ولم
يحتج لرفع صوته بالدعاء ، قبل أن يلقى ابراهيم في النار ، قيل
له : ألك من الله حاجة يا ابراهيم ؟ قال : منك ؟ قال : لا من الله
فقال : " علمه بحالي يُغني عن سؤالي "

فإذا كُنْتَ في كلِّ حالي معي فأنا عن حمل الزاد في غنى ،

بعضهم ينصح المؤمنين أن من كانت به حاجة إلى الله أن يقرأ

قوله تعالى

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

الملك : الآية ١٤

هناك معنى آخر للخبير ، فأنت في دنياك تتحرك وهناك أهداف
ووسائل سمح بها الشرع لكسب المال وهناك وسائل غير مشروعة ،
قد يبدو لك أن هذه الوسائل التي لم ترد في الفقه أسرع و نتائجها

أضمن وهدفها أكبر وتتوهم أن الطريق التي رسمها الله لك طريق طويلة وهزيلة ، فيقبل هذا الإنسان الجاهل على وسيلة غير مشروعة من أجل كسب المال فيفاجأ بتلف ماله ؛ لماذا يا رب ؟ فمن أجل الوصول إلى دخل وفير أنت مكلف بتطبيق منهج الله فالنجاح ليس بالذكاء وإنما بالتوفيق والتوفيق بالطاعة ، فالذي يسرع لوسيلة غير مشروعة ظنا منه أنها موصلة قبل التي هي مشروعة فهو واهم لأن الله خبير ، وهو الذي أمرك بالإقبال عليه وأن الإنغماس في الشهوات شقاوة وأن كل السعادة بطاعة الله ، فكل من اتبع الخبير يسعد ، قال تعالى

وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ

أَعْقَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

الكهف : الآية ٢٨

فحينما تسلك منهج الله تقطف الثمار اليانعة وحينما تحيد عن منهج الله تندم أشد الندم لأنك ابتعدت عن كلام الخبير ، فيما يخص الآلات الغالية الثمن والمعقدة وعظيمة النفع تعتقد بالبداهة والقطرة دون توجيه أن الذي صنعها هو الوحيد الخبير بها ولذلك تحتاج لكتيب فإذا كان هذا في شأن هذه الآلة فما بالك في شأن نفسك التي تحوي أسراراً وخفايا لا يعلمها إلا الله فهي تحوي أفكاراً وشهوات وروحا وجسداً وميولات وغرائز وطموحات وقيماً ومبادئ أمور

معددة جدا أفلا يجعلنا هذا أن نقول أن لهذه النفس منهج تسير
عليه ، إنه منهج الله

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

الملك : الآية ١٤

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى تكلم عن حظ العبد من اسم
الخبير - هذا موضوع ثالث - قال : يجب أن يكون العبد خبيرا
بأحواله وبإيمانه وخبيرا بمشاعره وأحوال قلبه والخفايا التي يتصف
بها قلبه وخبيرا بإخلاصه واستقامته فأقرب شيء منك جسمك ونفسك
فلا بد أن تكون خبيرا بقلبك ؛ هذه الخواطر التي تأتيك أمن قلبك أم
من نفسك أم من الشيطان ؟ وهل هي وساوس أم إلهامات ؟ وهل هذا
العمل باعثه الإخلاص أم الرياء ؟ ينبغي أن تكون خبيرا بأحوالك
ونفسك وقلبك وكسبك للمال وإنفاقه فاسم الخبير يقتضي أن تكون
خبيرا بما أنت عليه لأن أول خطوة لمعرفة مشكلة هي أن تعرفها أنها
مشكلة ثم تحدها إذ أنك لا تترك عملا إلا إذا علمت أنه ذنب فقبل أن
تترك الذنوب ينبغي أن تعلم ما الذنوب ؟ فأول خطوة نحو إصلاح
النفس أن تعرفها وتعرف حقيقتها وأن لا تنخدع بها .

لازلنا مع الإمام الغزالي في الحديث عن حظ العبد مع اسم
الخبير قال : يجب أن يكون العبد خبيرا بما يجري في عالمه وعالمه
هو قلبه و بدنه و الخفايا التي يتصف بها القلب من الغش و الخيانة

و التطواف حول العاجلة و إضمار الشر و إظهار الخير والتجمل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس ولا يعرف ذلك إلا صاحب خبرة بالغفة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبسها فحاذرها وتشمر لمعاداتها فذلك العبد جدير بأن يسمى بين العباد خبير، لذلك من عرف أن الله خبير كان بزمام التقوى مشدودا وعن طريق المنى مصدودا ، وقال أحدهم : من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان وغنى بلا فقر، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وقال بعض العلماء : لا ينال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف الخبير إلا من كان خبيرا بدسائس نفسه بصيرا بخدائع حسه يعرف الفرق بين خطرات الشيطان وإهانات الملك، بصيرا بإهانات الرحمن ووساوس الشيطان ، وبعض العلماء لهم دعاء يتعلق باسم الخبير يقول هذا العالم الجليل : إلهي أنت الخبير بالدقائق والبصائر والمطنع على السرائر والناظر إلى الضمائر تجل لي بنور اسمك الخبير بلا حول مني ولا تدبير حتى أكون خبيرا بالأمر الغائبة عن الجهال وأنجو من الشرك الخفي وما هو أخفى في الأقوال والأعمال ويتجلى لي مولاي الخبير نعم المولى ونعم النصير ، لذلك الآية الكريمة :

وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾

طه: الآية ٧

خبرته من لوازمها أن يعلم ما خفي عنك .

أيها الإخوة هذا الاسم له تطبيقان أساسيان :

- الأول : أن تعلم أنك مكشوف أمام الله ، لا تخفى على الله منك

خافية

- الثاني : أن تكون أنت خبيرا بأحوالك وخواطرك وقلبك

وإيمانك ووساوسك وإلهامات الملائكة ، أنت خبير وأن تعلم أنه خبير

عندئذ تستفيد من هذا الاسم الجليل.

و الحمد لله رب العالمين

الملك
الملك
الملك

الشكور

أيها الإخوة الأكارم :

الحقيقة أنك إذا علمت أن الله خلق السماوات والأرض وكفى
فأنت ما عرفته لأن الإيمان بوجود الله يكاد يكون قاسما مشتركا بين
كل الناس كما جاء في الآية الكريمة :

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

سورة لقمان

حتى الذين عبدوا الأصنام قالوا :

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَنِزٌ كَقَارٍ ﴿٣﴾

سورة الزمر

فإذا أقررت بوجود الله عز وجل فأنت لم ترتفع عن أي مستوى
من مستويات الناس العاديين ، ولكن معرفة الله تقتضي أن تعرف
أسماءه وما من معرفة لها علاقة وشيجة بحياتك الدنيا وبمالك إلى
الآخرة كمعرفة أسمائه الحسنی ، فكلما ازددت معرفة به ازددت حبا

له ، وازددت استقامة على أمره ، وازددت عملا صالحا تتقرب إليه ،
وازدادت سعادتك في الآخرة .

إذا شيء خطير جدا أن تتعرف إلى الله من خلال أسمائه
الحسنى ، اسم الشكور ثابت بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾

سورة فاطر

وفي آية أخرى في سورة الإسراء :

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ﴿٧٦﴾

سورة الإسراء

مشكور اسم مفعول ، من الشاكر ؟ هو الله عز وجل .

وفي آية ثالثة في سورة النساء :

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿٧٧﴾

سورة النساء من الآية ١٤٧

إذن شكور و شاكر و مشكور ، المشكور هو العبد ، والله

سبحانه و تعالى شاكر ومشكور . الآن ما تعني كلمة شكر باللغة ؟

الشُّكُورُ مبالغة من شكر ، و دائما أسماء المبالغة إذا اقترنت

بأسماء الله الحسنى فتعني إما عدد الشكر أو حجم الشكر ، أما حجم الشكر تعيش أنت في الدنيا لسنوات معدودات ، سنوات قد تزيد على الستين سنة على السبعين فإذا أطعته في هذه السنوات المعدودات يهبك حياة أبدية لا تنقضي ، وكلمة أبد هذه كلمة قد لا تنتبه إلى معناها ، أنا أخاطب الإخوة الرياضيين ، الذين يدرسون الرياضيات ، لو أن واحدا في دمشق والأصفار بين الصفرين ميلتر ، والأصفار إلى حمص إلى حماة إلى حلب إلى أنقرة إلى موسكو إلى القطب الشمالي إلى المحيط الهادي إلى القطب الجنوبي إلى أفريقيا إلى حتى عادت هذه الأصفار حول الأرض إلى شمال الواحد ، هذا الرقم كم هو ؟ هذا الرقم واحد في دمشق و الأصفار حول الأرض ، لو وضع هذا الرقم صورة لكسر عادي وفي مخرج الكسر إشارة اللانهاية ، هذا الرقم يساوي صفر في الرياضيات ، يعني : أي رقم مهما بدا لك كبيرا إذا قيس إلى اللانهاية فهو صفر ، فأنت إذا عشت في الدنيا سنوات معدودات ، وفي هذه السنوات المعدودات أطعت الله عز وجل ونهيت نفسك عن الهوى وضبطت جوارحك ونقيت دلك من الحرام وتعرفت إلى الله وجلست في مجالس العلم وتلوت القرآن وفهمت القرآن ودعوت إلى الله وأنفقت من مالك ومن جاهك ومن علمك وجاء الأجل ، إذا قست هذه السنوات المعدودة إلى الحياة الأبدية فأنت ما فعلت شيئا ، فمعنى شكور أنه يعطيك على الشيء القليل الشيء الكثير .

أيعقل أن تدفع ربع ليرة سورية ، لتشتري بها شارع الحمراء على الطرفين ؟ الطوابق والمخازن والمستودعات ، والحديقة وطريق الصالحية و البحصّة وحمراء بيروت ، و شارع بيكاديلي بلندن وشارع كذا بفرنسا ممكن شرائها بربع ليرة ؟ أوكد لكم أن كل عمل الإنسان إذا قيس بما أعد الله له من نعيم مقيم والله أقل من هذه النسبة .

هذه الشركات الكبرى في العالم ، سمعت عن شركة قال : عندها فائض هم في حيرة من توظيفه ، مليار دولار ، فائض ليس له وظيفة يوظف بها هناك شركات كبرى في العالم ميزانياتها وأرباحها بقدر ميزانيات مجموعة دول ، هذه الشركة هل تشتري بفرنك ، بليرة ؟ أقول لكم والله لا أبالغ ، أن ما أعد الله للمؤمن من نعيم مقيم نظير ما يقدمه من طاعة لله في الدنيا ، النسبة بين ما قدم وما سيأخذ أكبر بكثير من أن تشتري إحدى أكبر الشركات في العالم بليرة سورية :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أن سمعت ولا خطر على قلب بشر . " صحيح البخاري

هذا معنى الشكور ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، عندنا شاكر وعندنا شكور صيغة المبالغة أنه يعطي اللاتهاية أي الأبد .

مرة سمعت أن بعض القضاة في بلد معين ليس لهم رواتب بل معهم شيكات مفتوحة ، أي مبلغ يريد يأخذه ، لو طلب مبلغا فلكيا يأخذه فورا ، معنى الشكور إذن ، أنه يعطي الشيء الذي لا نهاية له ، الذي لا حدود له كما قال ربنا في الحديث القدسي : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " .

الحقيقة هذا الكلام نقرأه كثيرا ونردده كثيرا ولكن لو وقفنا عند مدلول هذه الكلمة ، كل واحد منا له دائرة مشاهدات ، أخي أنت إلى أين ذهبت والله أنا ذهبت إلى لبنان وإلى الأردن و ذهبت إلى الحج ، وذهبت إلى مصر وإلى قبرص ... فقط ؟ فقط .

هناك شخص يعرف أمريكا ، يعرف اليابان ، يعرف روسيا يعرف أفريقيا هناك شخص يعرف جنوب شرقي آسيا ، و شخص ذهب إلى أستراليا ، وهناك رواد الفضاء الذين ذهبوا إلى القمر .

على كل دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات تعتبر لا شيء ، فأنت سمعت بالمريخ و لكن لم تذهب إليه ، و سمعت بالمُشترى و بنجم القطب ، و سمعت بالأسكا ؟ و سمعت بسيبيريا و بالقطب الشمالي ، و لكن دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات تعتبر لا شيء ، أما دائرة الخواطر فقد يخطر ببالك جبل طوله من هنا إلى الشمس ، هذا خاطر ما دام خاطر ليس له

واقع فالقضية سهلة ، قد يخطر ببالك إنسان إذا وقف على الأرض اقترب من القمر ، طوله ثلاثمائة ألف كيلو متر ، هذا ممكن لأنه خاطر .

فعندما حدثنا النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه في الحديث القدسي قال يقول رب العالمين : " أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " ، هذا معنى الشكور ، نظير ثلاث وستين سنة عشتهم ، ذهب منهم خمسهم حتى أصبحت مكلفاً ، يعني هذه السنوات المعدودة كل يوم خمس سنوات كلما رأت عينك امرأة غضضت البصر عنها ، وكلما لاح لك مبلغ من شبهة قلت معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين ، يعني مجموعة صلوات مجموعة أيام صمتها ، مجموعة مواقف خفت فيها من الله عز وجل استحققت هذا العطاء الكبير . وربنا عز وجل قال :

وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

سورة الإنسان

أحدهم قال لي كنت ببلد أجنبي ودعانا مدير الشركة إلى بيته ، ولكنه لم يكن بيتاً بل كان ملكاً كبيراً !!! فقد دخلنا في غابة ظلت السيارة تمشي فيها ربع ساعة ... هذه الغابة محيطة بقصره ، يحتاج المرء إلى مائة وسبعين متر . كي يأوي إليها ، فالغابة مساحتها مئات الكيلو مترات ، و بالمنتصف قصر كبير حوله حديقة كبيرة

عبارة عن غاية صنوبر ، إذا قارنا هذا المُلْك بما اعدّه الله في الجنة للمتقين لوجدنا الآية السابقة تشير إلى أن الله عز وجل سمي ما أعد لهم في الجنة مُلْكًا كبيرًا ، هذا معنى الشكور يعني شيء لا يقدر بثمن ، مقابل شيء قليل جدا قدمته من طاعات وعبادات، فنلت به شيئًا كثيرًا !!!

والمعنى الثاني لاسم الشكور هو المعنى العددي ، يعني لا يمكن أن تقدم شيئًا لله عز وجل إلا ويشكره عليه .

أعتقد أن أبا جهل ، جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، طرق بابَه ، فتحت فاطمة الزهراء كانت بنتا صغيرة ، قال أين أبوك ، قالت ليس هنا فضربها بلا سبب فلما علم أبو سفيان أن أبا جهل أو أبا لهب ضرب هذه الفتاة الوديدة الصغيرة ولطمها على وجهها لأنها قالت أبي ليس في البيت ، ذهب إلى بيت النبي وأخذ فاطمة الصغيرة الزهراء و حملها على يده وتوجه إلى بيت أبي جهل و طرق الباب فلما فتح الباب ، قال لفاطمة : اضربيه كما ضربك ، أراد أن يثأر لكرامتها ، ولما علم النبي ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان ، لا تنسها له ، والله عز وجل لم ينسها له ، مع أنه حارب النبي عشرين عاما ، ولكنه في النهاية أسلم ، ولما أسلم وكان النبي كريما معه وحليما ، قال يا ابن أخي : ما أحلمك وما أعقلك وما أوصلك وما أرحمك .

ورد في بعض الكتب أن ابا لهب حيا علم بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام أعتق جارية . فقال إن مما يخفف عنه العذاب يوم القيامة أنه أعتق هذه الجارية فرحا بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ، فكل شيء محفوظ حتى لو أنقذت نملة ، قال تعالى :

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿٤٧﴾

سورة النساء

قد تخدم شخصا ، ولكنه لا يمكن أن يشكرك عليها إلا إذا علم بهذه الخدمة ؛ تزور مريضا ، تحمل هدية وتتوجه إليه ، في مدخل البيت أخذها منك ابنه ، ولم يبلغه ، تجلس أنت هل يعقل أن يشكرك هذا المريض بقوله : ، " شكرا " ؛ لا طبعا لأنه لم يعرف ، كيف يشكر وهو لا يعلم ؟ ، لذلك فالآية السابقة تقول أن الله شاكر لأتفه عليم بما تفعلون لأنه أي عمل تفعله ابتغاء مرضاته، مهما بدا صغيرا ، لو أنقذت فراشة ، لو أنقذت نملة ، لو رحمت إنسانا ، لو ألقيت نظرة رحيمة على إنسان خائف ، لو طمأنت إنسانا ، لو أطعمت إنسانا ، كل شيء محفوظ عند الله، فكلمة شكور إما لحجم الشكر وإما لعدد مرات الشكر .

قال معنى الشكور باللغة : الشكر في الأصل الزيادة ، فلان شكير أي عياله صغار ، وشكير الشجر ما نبت في أصلها من القضبان

الصفار ، وناقاة شكيرة وشكرى إذا كانت ممثلة الضرع ، وشكرت الأرض إذا كثر النبات فيها ، ودابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ، وكل نبت يكتفى بالماء القليل فهو شكور ، هذا ما ورد في كتب اللغة عن كلمة شكور .

والشكر في حق العباد له طريقان ، الحقيقة يمكن أن نضيف له طريقا ثالثة ، شكر باللسان ، وشكر بالعمل ، ونقول لن يكون الشكر لا باللسان ولا بالعمل إلا إذا عرفت النعمة ، أساس الشكر المعرفة ، إذن أنت تعرف ثم تشكر ، ولن تشكر ما لم تعرف . يعني مثلا شخص قدم لك بيت أو ووظفك أو قدم لك شيئا ثميناً ، كنت واقفا في ورطة كبيرة فأنقذك منها ، ورأيت ابنه في الطريق ، إذا قدمت لهذا الصغير قطعة حلوى فهذه الحلوى في الحقيقة شكر لوالده ، فأنت عبرت عن امتنانك لأبيه بإكرام ابنه ، هذا بشكل مبسط .

لذلك المؤمن إذا أسدى للعباد خدمات ، إذا رحم العباد و أكرمهم ، و طمأنهم ، و أطعمهم ، و أسقاهم ، و كساهم ، و رحمهم ، حينما تسدي معروفا لمخلوق كائنا من كان ، لقطعة ، لجرو صغير ، حينما ترى حيوانا قد مرض تأخذه إلى مستشفى بيطري أو إلى طبيب بيطري ، إذا أردت الحقيقة هذا هو عين الشكر ، لأنك تعبر عن شكرك لله عز وجل وعن امتنانك له بخدمة مخلوقاته ، وإذا أردت أن تعرف سر العمل الصالح في الدنيا و لماذا

مؤمن يعمل الأعمال الصالحة ، ليس لها تفسير إلا أنها تعبير عن
شكر العبد لله عز وجل من خلال خدمة عبادته ، إذا نصحت زبائنك
نصحتهم نصيحة صادقة ، فهذا شكر منك لله ، إذا رحمت الناس ، إذا
عظفت عليهم ، إذا أنصفتهم ، إذا خففت من مآسئهم ، إذا مسحت
جراحهم ، إذا أزلت خوفهم ، إذا قدمت لهم المعونة ، إذا فعلت أي
عمل صالح هو في الحقيقة تعبير عن امتنانك لله عز وجل من خلال
عباده ومألوف عند الناس بشكل واضح جدا أن تكرم الأب من خلال
بكرام الابن ، إذا رأيت رجلا تحبه معه ابنه يمكن الحد الأدنى أن
ترحب بالابن ، كيف أنت يا عم ؟ ما اسمك ؟ بأي صف ؟ وإذا معك
قطعة سكر تعطيه إياها ، وإذا معك قلم ثمين ، وهذا الإنسان له فضل
عليك تعطيه القلم ، هذا طبيعي جدا .

تريد شيئا يربح قلبك ، تريد لهذا الإنسان الذي أكرمك ، أن تعبر
عن امتنانك له ، تلقى أمامك ابنه وتكرمه ، الله عز وجل غني عن
العالمين ، يُطعم ولا يُطعم ، مستحيل أن تقدم هدية إلى الله ولكنك
تستطيع أن تقدمها لعباده ، كل عبادته ، حتى الكفار ، حتى الذين
أنكروا وجوده هم عبادته إذا أحسنت إليهم فهي عند الله محفوظة ،
يعني أنت طبيب جاءك مريض والمريض تعرفه غير مؤمن بالله لا
دين له ، فهذا عبد لله أمامك يجب أن تقدم له كل شيء كل ما في
إمكانك لأنه عبد لله .

مثل آخر : حيوان ، حيوان يحتاج أن يأكل ، والله لنا إخوان حين يطعمون بعض الطيور يشعرون بلذة وسعادة ، يشترتون ، شينا خاصا للطيور يضعونها على السطح فتنزل سبعمائة أو ثمانمائة من الطير وتأكل ، فيشعرون كأنهم هم الذين يأكلون شعور بأن هؤلاء مخلوقات لله عز وجل ، والله عز وجل غامرك بفضلته تحب أن تعبر عن شكرك لله من خلال خدمة هذه المخلوقات ، فذلك المؤمن وهو يقود مركبته يحرص حرصا كبيرا على ألا يدهس بها مخلوقا ، يجوز لو دهس غنم لقطع أصحابها عنقه ، يقطعون له الطريق ، ثمنها ثمانية آلاف تعال إلى هنا . لكن إذا دهس كلبا لا أحد يحاسبه ، ترى في الطرقات منها آلاف مئات مدهوسة ، أما المؤمن يعرف أن هذا الكلب حتى لو لم يكن له صاحب ، ولو لم يكن هناك من يطلب منه مبلغا كبيرا ثمنا له فالله هو ربه ، لذلك المؤمن يحرص حرصا بالغا على أن لا يدهس حيوانا وإذا وقع منه من غير قصد يبادر إلى دفع صدقة فلعل الله سبحانه وتعالى يعفو عنه .

هذا هو الشكر ، فالشكر بالأفعال أن تعمل عملا صالحا مع كل مخلوق وأنا أؤكد لكم أن تخدم المسلمين فقط أو أن تخدم المؤمنين أرقى أو أن تخدم إخوانك فقط أبناء جامعك هذه نظرة ضيقة جدا جدا ولا ترضي الله... يجب أن تخدم الخلق عامة .

حدثني أخ قال : رجل منعم يركب سيارته الفخمة يمشي في

طريق بين مدينة ومدينة رأى شاباً راكباً دراجة جنزيرها مقطوع والرجل له مكانته التجارية و الإجتماعية ، وسيارته فخمة ثمنها عشرات الملايين ، وقف وأصلح له الدراجة ، فكان هذا العمل سبب إسلامه وإيمانه أصبح من أخلص إخوانه لأنه أصلح له الدراجة .

هذا هو الشكر الإسلام نظرتة أممية ، ليس عنده نظرة ضيقة ، هذا مسلم هذا غير مسلم ، هذا مؤمن هذا غير مؤمن ، هذا من إخواننا هذا من جماعتنا ، هذه كلها عننة جاهلية ، إذا كنت فعلاً تعرف الله فهؤلاء عبده .

و الله الذي لا إله إلا هو ما من مخلوق ترحمه إلا شكر الله لك.. قال بغي وأبغى معروفة رأت كلباً يأكل الثرى من العطش فسقته فشكر الله لها وغفر لها و الحديث الشريف يقول :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملاً خفّه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال في كل كبد رطبة أجر "صحيح البخاري

مرة رأيت مزرعة قرب يعفور فيها سمك ، صادوا السمكات وأرادوا فوراً أن ينظفوها ، بحجة استغراقها وقتاً طويلاً لتموت ، ما

المانع انتظر ولا تعذب مخلوقا ، انتظر حتى تموت ، يريد أن يفتح بطن السمكة وهي حية !!! أشاهد أحيانا بائع دجاج يذبح الفروج ينزله بماء يغلي ، قبل أن يموت ، قال تعالى :

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِهِرِ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَنَسَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا صَوَافٌ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِعَ وَالْمُعْتَرَةَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦٦﴾

سورة الحج

لماذا الدين ضروري ، هذا مخلوق ، قدم جسمه لك ؟ فوق هذا المعروف تحرقه بالماء المغلي ، بعد أن تذبحه وقبل أن يموت ل اتضعه في البرميل الذي يغلي غليانا ، والله كبير ، قال :

عن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " صحيح مسلم هذا هو الشكر ..

أن تعرف الله عز وجل و ترى فضله عليك ، أحيانا اقرأ هذه الآية :

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

سورة النساء

والله أقرأها عشرات المرات لا أشبع منها : " وكان فضل الله

عليك عظيمًا

أوجدك من عدم ، عمرك ثلاثين سنة ، افتح كتابا مطبوعا سنة الثمانية والخمسين ، أثناء صف الحروف ين كنت أنت ؟ أكان لك وجود ؟ أكان لك ذكر ؟ أكان لك حجم ؟ أكان لك أهمية ؟ لم تكن موجودا كلك ، قال تعالى

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكِر سَاءَ مَذْكُورًا ﴿١﴾

سورة الإنسان

أنعم الله عليك بنعمة الوجود ، أعطاك صورة قال تعالى

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ عُرَاقًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِنَّكُمْ أَلَىٰ رَبِّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾

سورة غافر

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

سورة البلد

يقولون إن بشار بن برد خيَّط ثوبا عند خياط أعور ، لبس الثوب تضايق منه لا قصير ولا طويل ، قال له والله لأهجونك ببيت لا تعرفه مدحا أم ذما فقال :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

قبا قبا ، ليت عينيه مثل بعضهما بعضا ، فيا ترى هذا مدح أم

ثم ، أم تكون مدحا ويصح أن يكون ذما ، عينان ، و بالعينين ترى
البعد الثالث ، بعين واحدة حاول تدخل الخيط في ثقب إبرة صدق يأتي
الخيط بعيدا عن الإبرة عشرة سنتم بالعينين تلقى البعد الثالث ،
بالعينين العملية دقيقة جدا ، مرتكز خيال العينين فيه انزلاق بسيط
جدا ، هذا الانزلاق يعطيك البعد الثالث .

و العينان يجعلان الشكل جميلا ، النبي الكريم كلما رأى وجهه
في المرآة يقول : عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول : اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي "
أعطاك صورة أعطاك عقلا أعطاك قلبا ورئتين .

شكا لي رجل بعض همومه فقلت له : أحتاج لصمام لقلبك ؟
قال لا ، قلت له أحتاج أن تغسل كلاويك كل أسبوع ؟ قال لا ، قلت
أنت في نعمة عظيمة .

الذي ليس مضطرا أن يضع صماما ويعمل عملية قسطرة في
لندن ويدفع مليون ليرة ، وليس مضطرا أن يغسل كلاويه كل أسبوع
مرتين ويترقب الآلة هل تعطلت أولم تتعطل ، وليس مضطرا أن يحمل
غائطه بيده ، وليس مضطرا ، وليس مضطرا ... ، يجب أن يسجد
لله ويقبل الأرض ويشكر الله عز وجل .

إن العبد إذا أطاع ربه ثم إن الرب تعالى أعطاه الجزاء الأوفى

كان ذلك شكرا للعبد . كيف آية الجزاء الأوفى ؟ الجزاء الأوفى ،
يعني لك عندي شيء ؟ ألم تأخذ كل حقك ؟ هذا معنى أن الله
الشكور .

و الشكر المفسر بالثناء ، يعني إذا عملت عملا طيبا لك الجنة
أنفقت من مالك لك جنة عرضها السماوات والأرض ، أنفقت من
وقتك أنفقت من خبرتك من علمك ، عاونت ، أخلصت ، أتقنت
عملك ، ونصحت المسلمين ، يعني الحد الأدنى ، أن تكون لك مهنة
تتقنها ، وتأخذ من الناس سعرا معتدلا ، الحد الأدنى لشكرك لله عز
وجل هو أن تنفع المسلمين .

إذا اشتريت قماشا رديئا ، خيطة قمصانا أخذت ثمنه مائة
وخمسين ليرة ، لبسه من اشتراه مرتين ، ثم بحركة صار قطعتين ،
فأنت مؤذ ! .

اشترى أحدهم طقم جلوس ، وضعه في غرفة الضيوف أول
سهرة جلسوا عليه انكسر ، فذهب إلى البائع قال له الطقم انكسر ،
قال له : هل جلستم عليه ؟

من غش المسلمين وغش الناس يكون مسينا ، الحد الأدنى
أن تتقن عملك وتأخذ سعرا معتدلا قدمت خدمة للمسلمين ، صنعت
شيئا .

أحدهم اشترى جرابيات، صوف ثمن الزوج ستين سبعين ، على ثلاث لبسات تقطعت ما السر ؟ قال خيط براتو هذا شرطيظ من إيطاليا يعالجونها ويصنعون منها غزلا ، هذا الخيط غير جيد غير صالح للإرتداء وجد جرابيات سميكة وألوانها جميلة يدفع ثمنها ستين لبسها ثلاث مرات انتهت ، الذي يغش خلق الله يريد الله أن يعاقبه ، لم تضحك عليهم و تبتز أموالهم ؟ رجل فقير معاشه محدود ، إذخر واشترى هذه البذلة أول غسلة صارت البطانة بجهة وهي بجهة وزمت .

فالحد الأدنى أن تتقن عملك ، وأن تأخذ سعرا معتدلا ، والحد الأعلى حدث ولا حرج ، تطعم الطعام ، تعين الضعيف : يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : " ليس كل مُصلٍّ يُصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ، ولم يُصر على معصيتي ، وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب ، كل ذلك لي " .

حدثني أخ قال القصة قديمة أثناء أحداث لبنان قال جنت من الهامة رأيت رجلا واقفا في دمر في أيام البرد الشديد حاملا طفلا صغيرا يلفه بسترته ، و بجانبه امرأة ، قال لأوصلنهما فالآن الساعة الثانية عشر ليلا ، وإذ الطفل حرارته واحدة وأربعون درجة وهما أبواه أتيا من لبنان أثناء أحداث لبنان، سكنا في بيت في دمر ولا

يعرفان أحدا في الشام ، قال أركبتهم بالسيارة أخذتهم إلى طبيب مناوب عالج الصغير أخذنا الدواء من صيدلية مناوبة، ذهبنا إلى مستشفى أعطي إبرة للطفل قال ، انتهينا الساعة الرابعة صباحا ، قال والله من الساعة الثانية عشر وحتى الساعة الرابعة ، قال : بقيت أسبوعين أو ثلاث مغمورا بسعادة لا توصف .. شخص ملهوف غريب ابنه مريض ، وقفت له أخذته إلى الطبيب ، و ساعدته .

و الله نحن نريد السعادة ، السعادة بين يديك ، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين ، كل واحد منا يذوق لذة الأخذ ، هو يقبض المال بعده يرتبه حسب الصور ، على الأرقام ، يريد لها جديدة مثلا ، ولكن ما أحد ذاق لذة العطاء ، العطاء له لذة أكثر ، العطاء تمسح جراح أسرة ، شخص لهفان تحل له مشكلته ، بلا مأوى أمنت له بيت ، بلا زوجة زوجته مريضا دللته على طبيب مخلص لا يغشه ، لا يبتز أمواله ، له قضية بالقضاء دللته على محام صادق لا يغشه ويأخذ من خصمه أيضا و يقدم مذكرات ضعيفة لا تعرف ما هي السعادة إلا إذا خدمت الناس .

مرة سمعت شخص يتهدد ، يقول : يارب لا يحلو الليل إلا بالتهدد لك ، و لا يحلو النهار إلا بخدمة عبادك .

على الإنسان أن يزور مريضا أن يعاون فلانا يقول صلوات ربي وسلامه عليه: " مَنْ مشي مع أخ في حاجته حتى يقضيها له كان

خيرا له من اعتكافه شهر في مسجدي هذا " . هذا الحديث الشريف لا أشبع منه .

الشكر الثاني : أيها الإخوة أن تثني على الله : يا رب أنت اللطيف ، أنت الرحيم ، أنت القوي ، أنت الغني ، أنت الرؤوف ، يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، يا غفار الذنوب ، يا ستار العيوب ، أنت الذي تعطي ولا تسأل ، تحلم ولا تعجل .

لسانك ينطق لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، يعني إذا أثنت على الله ، هذا شكر أيضا .

يا ربي لقد خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك

يعني أن ينطق لسانك بذكر الله بالثناء عليه ، يا رحمن الدنيا والآخرة أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ؟ أعوذ بك من أن تنزل بي سخطك أو أن يحل بي غضبك ، لك العتبي حتى ترضى لكن عافيتك هي أوسع لي .

فالشكر قد يكون باللسان ، و قد يكون بالفعل ، خدمت حيوانا ،
أنقذت حيوانا ، خدمت إنسانا ، وأقول لكم مرة ثانية هذا الذي يقصر
عمله الصالح على أسرته محدود ، وعلى أبناء حيه محدود ، وعلى
إخوان جامعه فقط ، ويسيء للآخرين ، هذا أفقه ضيق جدا ، وهذا ما
تدبر قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

سورة الحجرات

أنا أقول لكم مؤمن من غير جامعك من غير جماعتك تراه
مستقيما تراه محبا لله إن لم تحبه فليست مؤمنا ، إن تعمق انتماءك
فقط لجماعتك فأنت طائفي ، أنت عنصري محدود الأفق ، يجب أن
تنطلق إلى الناس جميعا هذا هو المؤمن .. فالدعوة عامة ..

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرياض بن سارية
قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها
العيون ووجلّت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودّع
فماذا تعهد إلينا قال قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا
يزيغ عنها بعدي إلا هالك

الإسلام للناس جميعا ، يجب أن تعمل تحت ضوء الشمس ، لا
يوجد شيء مغطى في الإسلام ، كل شيء واضح ، خالق الكون هذا
كتابه وهذا منهجه وهذه سنة نبيه ، فإنا ألح عليكم ألا يقتصر

عملكم الطيب على من يلوذ بكم من إخوانكم أو من أبناء مسجلكم ،
لا .. بل للناس كافة ، ولا تدري في أية لحظة يشرق في نفس هذا
الإنسان الذي أسديت إليه الجميل هذا الإيمان لعل الله عز وجل يهدي
بك وأنت لا تدري .

مثلا أبو حنيفة النعمان له جار مُغْنِي تارك للصلاة شارب للخمر
لا ينيمه الليل طول الليل يغني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وطعان خلس

مرة لم يسمع أبو حنيفة غناء في البيت ، معناها المغني لديه
مشكلة ! تفقده وجدده في السجن لقضية يبدو لقضية تموينية ، فذهب
إلى مدير السجن وشفع له ، مدير السجن لم يصدق ، وجد الإمام
الأعظم عنده في المكتب ، فأطلق - إكراما له - كل من ألقى القبض
عليهم في هذه الليلة ، وفي طريق العودة للدار ، قال له الإمام أبو
حنيفة : يا فتى هل أضعناك ، أو .. نسيناك ؟ فكان هذا المعروف
سبب توبته !!!! .

فاجتهادك وبطولتك ليس مع واحد مؤمن ، المؤمن سويٌ مثلك ،
تقع مع واحد مؤمن فتقول أخي والله كم أثرت فيه هو متأثر ، قبل
أن تؤثر فيه ، إذا كنت بطلا تقع إنسانا تارك صلاة ، تقع إنسانا
عنده شكوك بالله عز وجل ، هنا البطولة ، أن تدخل على المجتمع
المؤمن عنصرا جديدا ، ليس أن تقع مع مؤمن ناضج فهيم ورع

نقي وتحدثه عن الله ، ثم تقول: والله بكى ، طبعا سيبيكي ، لأنه مثلك أنت لم تفعل شيئا ، أما عندما تجلس مع عدو للدين عنده شبهات لا يعبا بالعلماء لا يعبا بالدين تقنعه تحلم عليه تعطيه الأدلة القطعية ، يرى منك خلقا حسنا ، على مدة شهر وشهرين أو ثلاثة يقترب من الدين ، بعد ذلك يصلي ثم يتوب ، يقول لك خذني معك إلى المسجد ، تراه جالسا معك في المسجد ، هذه البطولة ليس البطولة أن تفسد الناس على شيوخها ، ولا الشيوخ على تلاميذها بل أنت مهمتك أن تحدث عنصرا جديدا في المؤمنين، و البطولة على قدر المشقة .

مرة قلت لكم كلمة قالها رجل له دعوة إلى الله عز وجل ، قال لتلميذه : يا بني الجيد لا يحتاجك ، بل يحتاجك السيء ، فالفهم والشاطر والمتفوق والورع والتقي والنقي ، إذا حكيت له عن الله فأبكيته ماذا فعلت ؟ عنده مشاعر عنده عواطف صادقة فلما ذكرته تأثر أما إذا كنت تستطيع أن تجلس مع البعيدين مع المنكرين مع المتشككين تعطيم علمك وأدلتك وحجتك ، وتزيل عنهم كل الشبهات تأخذ بيدهم درجة درجة ، مرحلة مرحلة ، تعطيمهم ، وتعينهم ، تكريمهم ، حتى يحبوك ، حتى تنقل الإنسان من الشقاء إلى السعادة هذا العمل الطيب ، ولكن حذار من أن يحروك إلى الضلالة ، فاحترس .

فإذا أحسنت للعباد يحسن الله إليك ، كما يقول تعالى:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾

سورة الرحمن

فإذا أثنت على الله عز وجل الله يقابلك بأن يحمل الناس على أن يثنوا عليك ، فسمعتك طيبة عطرة ، أينما ذهبت وغادرت يقال : ماشاء الله ، رجل صادق ، رجل صالح ، رجل محسن رجل كريم ، هذه السمعة الطيبة رأسال كبير جدا ، ومن أعظم إكرام الله لك أن يُلقى حبك في قلوب الناس ، و أن يُلقى هيبتك في نفوس الناس ، أن يحمل الناس على الثناء الحسن عليك .

و الإمام الغزالي له كلمة ، قال : " إذا كان الذي أخذ فائتي شكورا فالذي أعطى و أثنى (وهو الله سبحانه) أولى أن يكون شكورا " .

الذي قبض القبضة قال شكرا ، والذي أعطاك ، وبعد أن أعطاك وسمع ثناءك أثنى عليك ، أيهما أحق أن يكون شكورا أكثر ؟؟؟ الله سبحانه وتعالى ، لأن الذي أعطى وأثنى يكون قد شكر مرتين ، مرة أكرمه بعباء مادي ، ومرة أثنى عليه عند الخلق .

لذلك ورد حديث قدمي في البخاري : يقول الله عز وجل : " ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي ، ولا ذكرني عبدي في ملامن خلقي إلا ذكرته في ملامن

خير منه " .

!! " أي أنك إذا تكلمت بين خمسة طلاب أو ستة والله عز وجل جعل ذكرك بين ثلاثة مئة رجل وجاءت سيرتك فقام أحدهم وتكلم عنك كلاما ، فتعطر المجلس بذكرك ، لأن الله شكور ، أنت أثنت على الله أمام خمسة أشخاص من عامة الناس ، الله عز وجل أثنى عليك أمام عليّة القوم ،

هذا هو الشكور ، إن عملت يعاملك بالإحسان فهو شكور ، وإن تحدثت عن الله عز وجل يعاملك بالعرفان فهو شكور .

الشكر يتوجه لمن ؟ إما إلى الخالق وإما إلى المخلوق ، الآن شكر الخالق مستحيل ، لماذا ؟ قال لأن شكر النعمة مشروط بمعرفة هذه النعمة ، و ما دامت معرفة النعمة مستحيلة فالشكر مستحيل ،
و الدليل :

وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾

سورة النحل

أعرف قريبا لي طالب طب في الصف الرابع ، صحته جيدة جدا ووجهه نضر ، أصابه فقر بالدم ، غذاؤه درجة أولى ، تنقل من طبيب إلى طبيب إلى طبيب بقي ستة شهور ، بعد ذلك قال له طبيب لعل الطحال له مشكلة ، فأخذوا عينة منه

وفحصوه ، ماذا في الطحال ، الطحال هو في الأصل مقبرة
لكريات الدم الحمراء ، فصار هذا الطحال يأخذ كرية حمراء
حية يميتها حتى يضعها في المقبرة عنده ، مثل مقبرة بنيها
حديثا و لا يوجد موتى تعال إلى هنا اقتلوه و ادفنوه ،
نريد أن نستخدمها كلها قبور فارغة هذا الطحال عبارة
عن نصف أوقية لحمة ، مهمته معمل كريات دم حمراء ،
مستودع للدم و مقبرة للكريات الحمراء ، اختل توازنه قليلا صار
يأخذ كريات حية و يدمرها ليحللها و يأخذها إلى الكبد
و الدم فتوفي قريبي . ما مرضه ؟ نشاط في الطحال زائد هذا
فقط هو مرضه ، خلل في أحد الأعضاء التي أنعم الله تعالى
عليه بها !!! .

فأنت كم نعمة عندك ، إذا أردت أن تعمل إحصاء الطحال و الكلية
و الكظر و مركز التوازن ، مركز توازن السوائل ، و كم من مراكز
عندك في جسمك .

ما دام يستحيل عليك أن تعرف نعمة الله كما هي إذن يستحيل أن
تشكر الله حق الشكر ، لهذا ماذا قال النبي : سبحانك لا نحصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ، هذه واحدة .

الثانية : الشكر نعمة من الله ، فأنت تشكر على نعمة ، كما أن
الشكر نفسه نعمة ، لأنه هو الذي يوفِّقك لهذا الشكر ، و لو لا توفيقه

لما شكرته ، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أعني على
ذكرك و شكرك و حسن عبادتك " !!!؟ هذا النبي المعصوم فما بك
بنا نحن !!!؟

فأنت في نعم ، جليلة ، لذلك قال أحد الصالحين : " يا رب كيف
أشكرك و شكرك لا يتم إلا بنعمة منك جديدة ؟ " ، " يا رب كيف أشكر
و شكري لك يحتاج إلى شكر؟!! " ، إذن أنت مفتقر إلى أن تكون
شاكرا لله عز وجل .

هناك نقطة دقيقة : إن رؤية النعمة تعدُّ نعمة في حد ذاتها ، الله
عز وجل يعطيك مع استغناؤه عنك ، لكنك تشكره مع افتقارك إليه
وشتان بين هذا وذاك ، وهناك أدلة كثيرة على أنه يستحيل أن تشكر
الله كما ينبغي ، لكن أخذ القليل خير من ترك الكثير ، مستحيل أن
تشكر الله كما ينبغي لذلك قل :

" يا رب لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، يا رب
ليس في قدرتي أن أشكرك كما ينبغي لكن أشكرك بقدر ما أعلم وبقدر
ما أستطيع .

آخر شيء بالموضوع ؛ إذا أسدى مخلوق إليك نعمة لمن
الشكر ؟ لله فقط ؟ لأن هذا المخلوق الذي أكرمك من خلقه ؟ الله عز
وجل ، هو من أعطاه قوة و حياة ؟ الله عز وجل هو من سمح له ،
فإذا أعطاك مثلاً طعاماً ، من خلق الطعام ؟ الله عز وجل ، أعطاك

مالا هذا المال قيمته بقيمة مشترياته ، من خلق النعم ؟ الله عز وجل ، أعطاك طعاما كيف تأكل الطعام أنت ، تحتاج إلى أجهزة ، إذن الذي خلق المنعم البشر هو الله ، و الذي ألهمه هو الله ، والذي مكّنه هو الله والذي خلق النعمة التي هي موضوع عطائك هو الله ، والذي مكّنتك من أن تستفيد من هذه النعمة هو الله ، إذن الشكر لله عز وجل ... ومع كل هذا فمن فضل الله تعالى أن يقول كما جاء في الحديث الشريف : " مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ " !!! ، لأن هذا المخلوق مُخَيَّر ، إذن فهو يستحق أن تشكره بعد الله عز وجل ، فالشكر لا تقل الفضل لله و فلان ، بل قل : " الفضل لله ثم لفلان " .

هذه ضرورة جدا ، الحمد لله على هذه النعمة التي أنعم الله بها علي ثم الشكر لفلان الذي جاءني عن طريقه .

لو فرضنا جاعك معروف من جماد ، رجل ماش في طريق و فوقه شُرْفَة من إسمنت فوق حجر من آخر البناية عليه ، هذه الشُرْفَة تلتفت الحجر ، لولا هذه الشُرْفَة لهلك ، فهو يريد أن يشكر الشُرْفَة ، الله يجزيكي الخير لأنك في هذا المكان ، هذه شُرْفَة جامدة لا تعقل ، إذا جاعك خير من جماد أو من حيوان أو من مخلوق غير مكلف فالشكر لله فقط ، أما إذا جاعك خير من مخلوق مكلف مخيّر ، ثم قَلَّتْكَ ما دخله الله هو الذي سخره لي " ... هذا منتهى الوقاحة

ومنتهى الجحود ، فإذا جاءك الخير من إنسان مكلف يجب أن
تشكر الله لأنه خلقه ، وألهمه ، وسمح له ، ومكّنه ، وخلق النعمة
التي بين يديه وجعلك تنتفع بها ، كله لله لكن ما دام مخيّراً وقدم
لك هذه النعمة باختياره إذن نُرْجِي له الشكر ثانياً بعد الله عز
وجل .

و الآن موضوع لطيف ؛ موازنة بين نعمة أسداها الله إليك
ونعمة أسداها إنسان إليك ، أول شيء إن إنعام البشر به نقص ،
لأنك ربما إحتجت إلى شيء ولا يعطيك إياه لأنه محتاج إليه ، مرة
كنت في الحج إحتجت إلى لتر ماء ، فسألت حاجاً قال : " والله
يلزمني الماء " معه حق يلزمه فأنت قد تطلب من إنسان شيئاً هو
بحاجة إليه ، وأنت بالمطار تريد أن تكتب بطاقة ولا يوجد معك قلم ،
تقول إذا سمحت أريد قلماً يقول لك أحتاجه فأنت إذا طلبت من
إنسان حاجة قد يكون هو محتاج إليها فلا تأخذها منه أما إذا
سألت الله عز وجل ، فهو الذي يُحتاج إليه و لا يَحْتَاج . هذا أول
فرق .

الفرق الآخر و الأهم هو أن فلان من الممكن أن يعطيك و لكن
فلانا ليس معك الآن أنت مسافر وهو بالشام وعطاؤه مستحيل لبعده
المسافة بينكما أما الله عز وجل ، فهو معك دائماً !!!

النقطة الثالثة ؛ أنك إذا قصرت مع البشر يقطع عنك فوراً ،

وأحيانا دون أن تقصّر معه يقول لك : اللحم الذي على أكتافك من خيري " بينما يقول الله تعالى في الحديث القدسي " : عبيدي لي عليك فريضة ولك علي رزق فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " !!!

آخر شيء بالموضوع ؛ الشكور الذي إذا أعطى أجزل وإذا أطيع بالقليل قبل ؛ وهو الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل ، وهو الذي يقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات ، وقيل : " حقيقة الشكر : الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم " أي تنشغل عن النعمة بذكر المنعم .

الدول البعيدة العلمانية ماذا ترى بعينيها ؟ النعمة فقط ، ولا ترى إلا كل شيء ثمين بينما المؤمن ماذا يرى ؟ يرى المنعم ، ملخص الدرس كله ، أنك إذا استطعت أن تتجاوز النعمة إلى المنعم فأنت شكور .

فهذا الشكر يا إخوان ونحن بأمس الحاجة لهذا الدرس

و الحمد لله رب العالمين

لله
العزیز
۷۲.۷

العزیز

أيها الأخوة الأكارم : الاسم اليوم اسم العزيز ، وهذا الاسم كثيرا ما يرد في نهاية الآيات وهو العزيز الحكيم ، وقد كنت بينت لكم من قبله أن الإيمان بوجود الله لا يكفي ، فيجب أن تؤمن بوجوده ، ويجب أن تؤمن بوحدانيته : وحدانيته في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، ويجب أن تؤمن بكماله ومن الإيمان بكماله أن تتعرف إلى أسمائه الحسنی وصفاته الفضلی .

إذن أن يجول فكري أو أن تستمع إلى حديث عن أسماء الله الحسنی هذا جزء أساسي جدا من الإيمان ، فانت مثلا إذا تعرفت إلى إنسان رأيت أمامك موجودا فهل عرفته ؟ سألته عن اسمه قال لك اسمه . هل عرفته ؟ لا تعرفه إلا إذا وقفت على شمائله وعلى صفاته وعلى أخلاقه وعلى علمه وعلى نكاته و على إنجازاته ، فلا تكون معرفة الله صحيحة ولا تامة إلا إذا عرفت أسماءه ، هذه المقدمة أسوقها من أجل أن تتأكدوا من قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة

صحيح البخاري

و معنى إحصائها إذا عرفتها وعرفت عضاميتها ، عرفت وما ينبغي أن تفهمها وما تدل عليه ، عرفت ما ينبغي أن تكون أنت عليه من وحيها ، عرفت أبعادها ، ودرسنا اليوم عن اسم العزيز .

ورد هذا الاسم في آيات كثيرة .. من هذه الآيات ، قال الله تعالى على لسان سيدنا عيسى :

إِن تَعَذِّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ



سورة المائدة

لو أن الإنسان نسي كيف يتم الآية و قال : إن تغفر لهم فبئس أنت الغفور الرحيم ، تتناسب هكذا ولكن الآية " وإن تغفر لهم فبئس العزيز الحكيم " ، لأن الإنسان مهما علا شأنه ، إذا أراد أن يغفر لأحد زلته ربما حوسب ، ربما سئل لماذا عفوت عن فلان ؟ لماذا لم تكلفه ؟ لماذا تساهلت معه ؟ لكن الله سبحانه وتعالى إذا غفر فهو للعزيز ... هذه الآية الأولى ، آية أخرى :

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾

سورة الجاثية

آية ثالثة:

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة المنافق

وآية رابعة:

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٧٠﴾

سورة الصافات

آية خامسة : حينما قال الشيطان:

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾

سورة ص

اسم العزيز ورد في آيات كثيرة جدا ، اخترت لكم من بين الآيات
الكثيرة هذه الآيات .

الآن ما معنى هذا الاسم من حيث اللغة ؟

المعنى الأول : العزيز الذي لا مثيل له ، ولا مشابه له ، ولا
نظير له ، من فعل عزَّ يعزُّ ، تقول : عزَّ الطعام أي أصبح قليلا أصبح
نادرا ، عز هذا الاختصاص ؛ اختصاص عزيز : أي نادر ، خبرة
عزيزة أي نادرة ، معنى عزَّ يعزُّ أي ندر وجوده أو لا مثيل له ولا
مشابه له ولا نظير له ، اسم العزيز بهذا المعنى من أسماء التنزيه ،

الأسماء مصنفة: فهناك اسم تنزيهي وهناك اسم ذات وهناك اسم صفات وهناك اسم أفعال . فأسماء الله الحسنى إما أن تكون أسماء لذاته جل جلاله، وإما أن تكون أسماء لصفاته وإما أن تكون أسماء لأفعاله . فعزَّ يعزُّ أي ندر ينذر .

بشكل أوسع : العزيز الذي لا مثيل له و لا ند له و لا نظير له . إذا كان الشيء نادرا قليلا الوجود ليس متوافرا مع إمكان توافره نسميه عزيزا ، فكيف بالذي يستحيل على العقل أن يصدق أن له نظيرا ، إذن ، الله سبحانه وتعالى لا مثيل له و لا ند له و لا مشابه له إذن هو عزيز وهذا المعنى الأول .

المعنى الثاني : العزيز هو الغالب الذي لا يُغلب ، الإنسان إذا غلب فهو ليس عزيزا بل يصبح ذليلا وقد يبالغ المنتصر بإذلاله ، قد يجري بعض التصرفات ليبالغ بإذلاله ، فالغالب الذي لا يُغلب يسمى عزيزا ، والعرب تقول من أمثلتها : من عزَّ بَرَّ ، أي من عز : من انتصر أخذ ما راق له . وعزَّني في الخطاب أي غلبني في الخطاب ، كما جاء في الآية الكريمة : " إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةً واحدةً فقال : أكفلنَّيها وعزَّني في الخطاب " ، أي غلبني . فالقاهر الذي انتصر وقد يغلب فيسمى عزيزا ، فكيف بالقاهر الذي لا يمكن أن يُغلب ؟!!! من باب أولى فالله سبحانه عزيز بالمعنى الثاني ، والدليل :

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۚ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

سورة يوسف

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : " أنت تريد وأنا أريد فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيّتك ما تريد وإن لم تسلم لي في ما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " ، قال تعالى " والله غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " ، لو علم الناس أن الله غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ لَأَطَاعُوهُ وَلَا تَكَلَّوْا عَلَيْهِ وَلَا قَبِلُوا عَلَيْهِ وَلَتَرْكَبُوا سِوَاهُ .

المعنى الثالث : المعنى الثالث القوي الشديد ، العزيز هو القوي

الشديد ، من : عزَّ يعز قوياً يقوى ، والآية الكريمة :

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا

إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٤٤﴾

سورة يس

يقول : لك التعزيز ، بعد أن تلقي الدرس تعززه بالتدريبات ،

مرحلة التعزيز أي ترسيخ المعلومات و تمكينها ... هذا المعنى

الثالث .

المعنى الأول للعزيز : الذي لا مثيل له و لا ند له و لا مشابه له

هذا من أسماء التنزيه ، المعنى الثاني الغالب الذي لا يُغلب هذا من

أسماء الصفات ، و المعنى الثالث القوي الشديد هذا من أسماء

الصفات أيضا ، فالقادر الذي قد يضعف يسمّى عند الناس عزيزاً ،

فكيف بالقادر الذي يستحيل أن يضعف ؟؟؟!! من باب أولى . ان
يسمى الله سبحانه وتعالى عزيز .

الآن يوجد معنى رابع دقيق جدا وربما كان المؤمنون في أمس
الحاجة لفهم هذا المعنى ، و هو : العزيز بمعنى المعز ، كأن تقول :
الأيام بمعنى المؤلم ... فالعزيز بمعنى المعز هذه من صفات الأفعال .
تأمل معي هذه الآية :

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ



سورة آل عمران

آخر ملوك الأندلس عندما غادر الأندلس بكى ، فقالت له أمه
عائشة : إبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال ،
فما قيمة الإنسان إذا تخلى الله عنه ؟

قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن
فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ ، وَالشَّجَرُ
وَالدَّوَابُّ # وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ # وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ # وَمَن
يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ # إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ " (الحج- ١٨)

جزء كبير جدا من حياتك متعلق بكرامتك ، فإذا كنت مع

العزیز أعزك الله :

إجعل لربك كلَّ عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتزرت بمن يموت فإنَّ عزك ميت

هذه هي المعاني اللغوية لكلمة عزيز أو لاسم الله العزيز ، لكن

هناك تعريف أدق وأجمل : العزيز الذي يقلُّ وجوده وتشتد الحاجة

إليه ويصعب الوصول إليه في وقت واحد ، قد يقل وجود شيء ما

ولكن لا تشتد الحاجة إليه ، يوجد معدن نادر جدا ، ومع أنه نادر فإنه

قليل الوجود، فإذا لم تكن بحاجة ماسة إليه ، عندئذ لا يسمى هذا

المعدن عزيزا ، العزيز يجب أن تتوافر فيه صفات ثلاث : أن يقل

وجود مثله ، وأن تشتد الحاجة إليه ، وأن يصعب الوصول إليه ، قد

تشتد الحاجة إلى شيء ولكنه غير نادر كالهواء ، كلنا في أمس

الحاجة إليه ولكنه متوافر ، قد تشتد الحاجة إلى الماء والماء موجود

في بعض البلاد بكثرة .

إذن شيء عزيز يعني : عزيز المنال لا يدرك ولا ينال جانبه ،

هذه الصفات لها صفات نقصان ولها صفات كمال ، كلما كثر وجوده

قلت عزته ، وكلما قلت الحاجة إليه قلت عزته ، وكلما سهل الوصول

إليه قلت عزته ، فماذا لو قلَّ وجوده إلى أن يصبح واحدا !!! هذه

صفة كمال في العزيز جل جلاله ، فهو يقل وجوده ويقل وجوده حتى يصبح واحدا هذه أعلى صفة ، وتشتد الحاجة إليه .

الإنسان أحيانا قد يحتاجه الناس ، بعض الناس ، و كلما كثر الذين يحتاجونه أصبح عزيزا ، ونادرا ما يحتاجه كل الناس من حوله ، كما أنه لا يوجد إنسان يحتاجه جميع الناس ، قد تجد ملكا و تجد إنسانا يعيش في أطراف مملكته يعمل راعيا ، مع أنه أحد رعايا هذا الملك لكنه ليس بحاجة إليه ، يأكل ويشرب في خيمته من نتاج هذا الغنم الذي يملكه .

كلما اشتدت الحاجة إلى الشيء أصبح عزيزا ، كمال هذه الصفة شيء دقيق جدا أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، أنا قد أحتاج للطبيب عند المرض ، ولكن لا أحتاجه عند النوم أنا أحتاج إلى سرير ، قد أحتاج إلى هذا المدرس إذا كان ابني ضعيفا في مادة الرياضيات فأنا بحاجة إليه ، أما أن يحتاجه كل شيء، ئيس كل الناس فقط ... بل الناس والحيوان والنبات والجماد والذرات والمجرات أي يحتاجه كل شيء في كل شيء .

دققوا : يحتاجه كل شيء في كل شيء . إذن الله سبحانه وتعالى عزيز لأن قيام الشيء به ، قيام المادة . هذه مادة فيها نواة وفيها كهارب وفيها دوران لولا أن الله سبحانه وتعالى تجلى عليها لتوقفت ، فهو يقول للشيء كن فيكون زل فيزول :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾

سورة آل عمران

أي أن قوام كل شيء به ، وهو مصدر حياة كل شيء .

إن الله سبحانه وتعالى لا نقول تشتد الحاجة إليه ، ولكن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، الشبكية مائة وثلاثون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية عشرة طبقات ، العصب البصري تسعمائة ألف عصب ، ما هذه المادة التي تتغير ماهيتها إذا جاءها الضوء ، إذا تغيرت ماهيتها تولد عن هذا التغير تيار كهربائي ينقل الصورة إلى الدماغ ، أنت محتاج لله عز وجل في عينك وفي أذنك وفي لسانك وفي دماغك وفي شرايينك ، وأي شيء لم يتجلب الله سبحانه وتعالى عليه يصبح لاشيء ، فأنت قائم بالله ، عظامك عضلاتك المخططة والملساء أعصابك وأجهزتك كلها تعمل بالله ، فلو أن الله سبحانه وتعالى حجب عنها تجلياته لأصبح الإنسان جثة هامة ، إذن يحتاجه كل شيء في كل شيء .

أول صفة . الذي يقل وجود مثله أما كمال هذه الصفة إلى أن يصبح واحداً، تشتد الحاجة إليه ، كمال هذه الصفة يحتاجه كل شيء في كل شيء ، يصعب الوصول إليه لا يمكن أن تحيط به ولا الأنبياء ، فلا يعرف الله إلا الله ، أن تصل إليه اتصال عبودية ممكن استقم على أمره واعمل الصالحات تصل إليه وهذا هو الوصول هذا

هو الاتصال .

شاب خطب فتاة ابنة عالم هذا العالم قال له : مهر هذه الفتاة أن تحضر هذه الدروس فحضرها فاستغرق فيها فنسي الفتاة ، أرسلت له كتابا : يا فلان نسيتنا ، فقال : يا وصال كنت سبب الاتصال فلا تكوني سبب الانفصال .

يمكن أن تصل إليه ، أن تصل كعبد أن تستقيم على أمره أن تفعل الصالحات أن تذكره كثيرا أن تخدم عباده كثيرا ممكن ، أما أن تصل إليه وصول إحاطة وإدراك كامل فهذا مستحيل حتى على الأنبياء .

فإذا خطر في بالك ما معنى العزيز ؟ فإن معنى العزيز : هو الفرد الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء ويستحيل الوصول إليه ، وصول إحاطة وإدراك أما وصول عبودية فممكن .

قال بعضهم : العزيز من ضلَّت العقول في بحار عظمتة وحاترات الألباب دون إدراك نعمته وكلت الألسن عن وصف كمالاته ووصف جماله . النبي عليه الصلاة والسلام لخص هذه الكلمات فقال :

عن أبي هريرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك

من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك

صحيح مسلم

والله أيها الأخوة الشيء الثابت أنه من عرف الله زهد فيما
سواه ، إذا عرفت الله لا يمكن أن تتضعض لمخلوق ، وعندها لا
ترى مع عزّة الله عزيزا ، ولا ترى مع قدرة الله قديرا ، ولا ترى مع
حكمة الله حكيما .

ابن آدم اطلبني تجدني

فإذا وجدتي وجدت كل شيء

وإن فُتِّك فاتك كل شيء

وأنا أحبُّ إليك من كل شيء

فلو شاهدت عيناك من حسنتنا

الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا

خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة

عذرت الذي أضحي قتيلا بحبنا

ولو نسمت لك من قربنا نسمة

لمت غريبا واشتياقا بقربنا

هذا الذي يتوهم بسذاجة أنه بركعتين وليرتين يدخل الجنة إنسان

ساذج غبي ، ومن يخطب الحسنة لم يبالي بغلو المهر:

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن

سلعة الله الجنة " سنن الترمذي

قال تعالى:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ
بِهِ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾

سورة آل عمران

وقتك الثمين ، زبدة وقتك ، قوتك يجب أن تصرفها في سبيل
الله ، مالك الذي جمعته بكذك و عرق جبينك يجب أن تنفقه في سبيل
الله، ألا إن سلعة الله غالية .

الآن من هو العزيز من العباد في ضوء هذا التعريف ؟ الأنبياء
أعزّة لماذا ؟ لأن الخلق كلهم بحاجة إليهم وإلى علمهم ، النبي عزيز
لأن ربنا عز وجل أودع فيه سرّه أودع فيه علمه أودع فيه النبوة ،
هو طريق إلى الله هو باب الله ، فالأنبياء أعزّة لأن الله جعلهم أبواب
رحمته وأبواب فضله وأبواب إحسانه وأبواب أنواره ، لهذا عين
إرضاء رسول الله هو عين إرضاء الله ، ولهذا قرّن الله اسم نبيه مع
اسمه فالنبي عزيز لأن الناس جميعا في أمس الحاجة إليه في أمر
دينهم ودنياهم .

الملك عزيز : إذا كان ملك بيده مقدرات الأمور كلها ، بيده كل
شيء ، فالناس جميعا يقصدونه كبيرهم وصغيرهم ، جليلهم
و حقيرهم ، فكلما اشتدت الحاجة إليك فأنت عزيز ، لكن المؤمن إذا
اشتدت الحاجة إليه يكون عزيزا لكنه متواضع ، ولكن غير المؤمن

إذا شئت ، حاجة إليه يصبح لنيما .

والآن أقول لكم هذه الكلمة من القلب : لا يمكن أن تعرف الله وأن تطيعه ، ثم تكون ذليلا لأحد أبدا ، لا يمكن لأن الله عز وجل يقول : "

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة المنافقون

أنت مع العزيز و تذل بعد ذلك - لا - لن يكون هذا أبدا ، ألا تقول في الدعاء يوميا كل صلاة صبح : سبحانك إنه لا يذل من البيت ولا يعز من عاديت ؟

لا يوجد مؤمن تعرف إلى الله عز وجل واستقام على أمره واصطاح معه إلا أراه الله معاملة خاصة يشعره أنه غال عليه وأنه يحبه قال تعالى :

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٨﴾

سورة الطور

أحيانا تدعوه فيستجيب لك ، تدعوه فيصرف عنك السوء ، تدعوه فيلقي حبك في قلوب الخلق ، تدعوه فيلين قلوب أعدائك ،

تدعوه فيليبك ، تسأله فيعطيك تقسم علي فيبرك .

سئل الإمام الحسن البصري بم نلت هذا العز ؟ قال : بشيئين ،
باستغنائني عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي .

لا تكون عزيزا إذا كنت طماعا ، حينما تطمع تصبح ذليلا ،
لمجرد أن تطمع فيما عند الناس تصبح ذليلا .

لذلك الناس إذا طمعت فيما عندهم كرهوك ، ورب العزة إذا
طمعت فيما عنده أحبك .

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُغلقُ

فإن الله يغضب حين تترك سؤله وبني آدم حين يسأل يغضبُ

الإنسان إن سأله حاجة غضب منك ، ورب العزة إن لم تسأله
غضب منك ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال

عن جندب عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا وكيف يذل نفسه قال
يتعرض من البلاء لما لا يطيق " سنن الترمذي

وقال : " ابتغوا الحوائج بعزة الأفس ، فإن الأمور تجري
بالمقادير " ، " ارفع رأسك ياخي لقد مَوَّتَ علينا ديننا "

أبو جعفر المنصور دخل عليه أبو حنيفة في قضية فأعجبه أن

يأتيه هذا العالم الجليل الفقيه الكبير قال : يا أبا حنيفة لو تغشيتنا دائما ، نحن في استقبالك نعتز بك وأهلا بك ، قال : ولم أتغشاكم وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ، ليس لي عندكم حاجة .

كلما قطعتَ طمعك من الناس أعزك الله ، وكلما مرَّغتَ

جبهتك في السجود لله أعزك الله

الخليفة هارون الرشيد طلب عالما من علماء المسلمين الكبار أن يأتيه لكي يعظه ، فذهبوا إلى الإمام مالك فقالوا : إن الخليفة يطلبك يا مالك ، قال : لستُ بحاجة إليه ، إن كان بحاجة إلي فليأتني ، قال الأمام مالك : العلم يؤتى ولا يأتي ، فلما بلغوا الخليفة مقالة مالك قال : صدق أنا سأتيه ، فلما جاءه قال : أبلغوه لا أسمح له أن يتخطى رقاب الناس ، أي : على الخليفة أن يجلس حيث انتهى به المجلس ، فلما جاءه هارون الرشيد وأجلسوه على كرسي ، قل : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه ، فقال الرشيد : خذوا هذا الكرسي !!!

و قد كان عليه الصلاة والسلام يجلس حيث ينتهي به المجلس ، بل إن الأبلغ من ذلك دخل عليه أعرابي ، فما عرف من هو النبي ؟ قال : أيكم محمد ؟ ما هذا التواضع ليس له مكانة خاصة ؟ أيكم محمد ؟ ، ند الناس ، يجب أن تكون بعيدا عن دنياهم، يجب أن تعمل

اكسب رزقك بيدك .

شخص سأل : كيف الطريق إليه ؟ قال : لو عرفته لعرفت الطريق إليه ، كلمة بليغة .

إذا عرفت الله تعرف بالفطرة ماذا يرضيه ، وكيف تُقبل عليه ، وكيف تستقيم على أمره ، وكيف تضحّي من أجله ، وكيف تؤثّره على كل شيء ، قال له : كيف الطريق إليه ؟ قال : لو عرفته لعرفت الطريق إليه ، قال له : لم أفهم كلامك ، كيف أعبد من لا أعرفه ، فقال : كيف تعصي من تعرفه ، إنك تعصيه :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ؟ هذا لعمرى في المقال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

سئل شخص متى عرفت الله ؟ قال : والله ما عصيته منذ عرفته .

اسمعوا مني هذه الكلمة ، والله الذي لا إله إلا هو لو تعلّمت علم الثقلين بنية أن تكون ذا شأن في المجتمع وعصيت الله فيما بينك وبينه ، فأنت لا تعرفه ، لا تعرفه ، لا تعرفه .

من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا اختلى ، لم يعبأ الله بشيء من عمله أبداً ، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظم من اجترأت عليه ، فلمجرد أن تعصي الله عز وجل يجب أن تعلم علم اليقين أنك لا تعرفه أبداً .

لو تخيلنا إنسانا يحمل أعلى شهادة شرعية ، وله مائة مؤلف وهو ذو منصب ديني خطير ، ودخلت عليه امرأة و تأمل فيها وملا عينيه منها ، وعنده مستخدم على الباب ، لا يقرأ ولا يكتب لكنه قرأ قوله تعالى :

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

سورة النور

فغض بصره عنها فهذا عند الله عالم ؟ والأول الذي ملا عينيه من الحرام جاهل ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

عن مسلم عن مسروق قال : كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعلمه" سنن الدارمي

ضع هذه الكلمة في ذهنك دائما : لمجرد أن تعصيه فأنت لا تعرفه .

قيل : ما الأدب الذي يجب أن يتحلى به المؤمن حيال هذا الاسم ؟ الله عزيز ما موقف المؤمن حيال هذا الاسم ؟

قال : المؤمن إذا عرف العزيز لا ينبغي أن يعتقد لمخلوق إجلالا ، أديب جدا مع الناس ، لكنه لا يمكن أن يعتقد لمخلوق إجلالا ، قال عليه الصلاة والسلام : " من تضع لغيري ذهب

ثلثا دينه " .

لماذا ؟ قال : لأن الإيمان ما وقر في القلب وأقر به اللسان
وصدقه العمل ، فإذا أجلت غنيا لغناه ، أجلته وانحنيت له و أثنيت
عليه بما ليس فيه فقد أذهبت ثلثي دينك فإذا كان العمل الظاهري
تعظيم لإنسان لا يعرف الله وعظمتَه لمجرد أنه غني ، فالنتيجة إذن :
ذهب ثلثا دينك !!!

لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : " شرف المؤمن قيامه
بالليل ، وعزّه استغناءه عن الناس "

عند المؤمن عزّة لو وزعت على أهل بلدة لكفتهم ، يرى أنه
عبد لله وأن الله لن يضيعه ولن يسلمه ولن يتخلى عنه .

عندنا قاعدة ثابتة أنه إذا عظم القلب الرب صغر الخلق في
عينه ، فإذا كان الله ليس عظيما في عينه - والعياذ بالله - كبر
الخلق في عينه . هذا امتحان ، فلان يقولها بملء فمه عن شخص
ما : إنه يفعل ويترك ، و عنده قدرة على كذا و كذا و كذا . إذا فعلت
ذلك، فأنت لا تعرف الله إذن ، مادمت تجل هذا الشخص كل هذا
الإجلال فإتاك لا تعرف الله ، لأن الله عز وجل لو جمّد قطرة من دم
ذلك الشخص الذي يبهرك في أحد شرايين مخه لأصبح مشلولاً ، لو
أن الله عز وجل جمّد بعض الدم في شرايين قلبه لمات بسكّنة قلبية
ومات من فورهِ ، والإنسان كلما ارتقى إيمانه كلما التفت إلى الله...

قال تعالى :

فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

سورة يونس

إذا عرفت أنه هو وحده المُعز ، لم تطلب العز إلا بطاعته

فلو اجتمع الناس جميعا على أن يرفعوك درجة لا يستطيعون ،
أما إذا رفعك الله عز وجل درجة أو أكثر لا يستطيع أهل الأرض أن
ينزلوك

قال بعضهم : لو اجتمع الخلق على أن يُثبتوا لأحد عِزًّا فوق ما
يُثبته اليسير من طاعته لما قدروا ، لا تُعزُّ إلا بطاعة الله : أعز أمر
الله يُعزُّك الله !!! قال : لو اجتمع الخلق على أن يثبتوا لأحد ذلًّا أكثر
من اليسير من المعصية لم يقدرُوا ، يوجد عامل واحد يرفعك
ويخفضك هو الطاعة والمعصية ، كلما أطعته ازددت عزا وكلما هان
الله عليك هنت عليه ، ويجب أن تفهموا أن حال المسلمين اليوم
هو : هان الله عليهم فهانوا على الله .

و على المستوى الفردي إذا استقمت على أمر الله وإذا اعتمدت
عليه وتوكلت عليه ، فالله سبحانه وتعالى يعاملك معاملة خاصة أما
إذا عصاه مجموع الأمة فالله سبحانه وتعالى لا بد من أن يؤدبهم ،
لأن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: "إذا عصاني من يعرفني
سلطت عليه من لا يعرفني".

رجل ذهب إلى الحج ، و كان له شأن كبير رافقه عشرات الحـ
والحشم ، فكان هؤلاء الخدم في أثناء الطواف يُبعدون الناس عنه
تعظيماً له ، حج وطاف وسعى وانتهى حجه وعاد إلى بلده ، راوي
هذه القصة قال : وبعد حين وعند جسر في بغداد رأيت رجلاً يشبه
هذا الذي رأيته يطوف ، لكني رأيته في حالة مزريه قميئة يمد يده
للناس ، يا ترى هذا فلان هو هو.؟ أم ليس هو ، دخل الشك في
قلبه ، فتقدم منه فقال : مالك تنظر إلي ، قال : كأنك تشبه فلاناً ،
قال : أنا هو ، فقلت له : ما الذي جعلك في هذه الحال ؟ قال : إنني
تكبرتُ في موضع يتواضع الناس فيه (الطواف حول الكعبة ليس فيه
كبر ، أنا فلان أنا علان أنا حامي المال كذا لا يوجد كبر في هذا
الموقف ، في هذا الموقف أنت عبد لله عز وجل ولو كنت ملكاً) ،
قال تكبرتُ في موضع يتواضع الناس فيه فوضعتني الله في موضع
يترفع الناس فيه .

الإنسان كلما أحاط نفسه بهالة من الكبر والاستعلاء هان وحطه
الله جزاء وفاقاً ، صفتان لا تقربهما : الكبر و الظلم ، إن الله سبحانه
وتعالى يغفر عشرات الذنوب بسهولة إلا ذنبين يبطش بصاحبهما:
الكبر والظلم ، اثنان لا تقربهما : الإشراك بالله أي الكبر والإضرار
بالناس أي الظلم .

الآن عندنا مشكلة . وهي ليست مشكلة . ولكن هكذا سميتها :

كيف يقول الله عز وجل :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

سورة فاطر : الآية ١٠

أيان العزة كلها له . هو العزيز ، ونقرأ آية أخرى : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ، يبدو أن هناك تناقضا بين الآيتين . هكذا يبدو ، الجواب : إذا ابتغيت العزة بالإقبال على الله والاعتزاز به فأنت عزيز ، لكن حينما قال الله عز وجل : " فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " أي مهما أردت العزة بغير الله فأنت ذليل ، إذا أردت العزة وأن تكون عزيزا عن غير طريق طاعة الله ، عن غير طريق الإستقامة على أمره ، عن غير طريق إعزاز أمر الله ، فأنت ذليل .

سيدنا يوسف : كلكم يعلم أنه كان عبدا في قصر ملك مصر ، كان عبدا وكان يؤمر ، و وُضِعَ فِي السِّجْنِ ثُمَّ أَصْبَحَ عَزِيزًا مِثْلَهُ ، مرة خرج في موكبه فرآه أحد العبيد وكان يعرفه أنه كان عبدا مثله ، ثم أصبح عزيز مصر فقال : سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعته ، وجعل الملوك عبيدا بمعصيته . ولعله يقصد امرأة العزيز التي هانت بعد فعلتها واتهامها ليوسف حتى غدت كالعبيد هوانا .

و قد نسمع ونقرأ عن إنسان كان في أعلى درجات العز فلم
بني عزّه على معصية الله جعله الله في أسفل السافلين .

و شيء آخر: سيدنا يوسف عندما قال :

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة يوسف

جعله الله عزيز مصر .

والله سمعت قصة ، لولا أن صاحبها حيّ يرزق ، لما استطعت
أن أصدقها : شاب حديث السن عنده مكتبة صغيرة في حي من أحياء
دمشق وهي قصة قديمة جدا ، فيبدو أن فتاة ساقطة تحرشت به
وأغرته فأغلق محله وتبعها ، وكان هذا الشاب لسبب معين قد حج
في سن مبكرة ، وقبل سنوات وبينما وهو في طريق متابعته إياها
تذكر حجته فقال : لا والله لا أفسد هذه الحجة ، فركب الحافلة وعاد
أدراجه إلى البيت . أي خشي الله وأطاعه ، في اليوم التالي جاءه
أحد وجهاء الحي من جيرانه فقال له : يا فلان هل أنت متزوج ،
فأجابته : لا والله يا سيدي ، قال له : عندي فتاة مناسبة أبعث أهلك
ليروها ، فقال : ظننت أن له فتاة فيها علة لأنه هو الذي عرضها ،
قال : بعثت بأهلي ليخطبوها فرأوها في أحسن حال فوافقت ، وما هي
إلا أشهر حتى جعلني شريكه في عمله التجاري وأغلقت المحل
السابق وبعته ، طبعا العم توفي لكن الرجل لا يزال حيّ يرزق من

كبار التجار ، كل هذا لأنه قال بينه وبين نفسه:

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة يوسف

قس على هذا كل شيء ، مبلغ كبير فيه شبهة قل :

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة يوسف

يأتيك المال أضعافاً مضاعفة ، ما ترك عبدٌ شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ، أي شيء تدعه في سبيل الله لا بد من أن يعوضك الله خير منه في دينه ودنياه ، أتحب أن تكون عزيزاً ؟ أتحب أن تكون مكرماً ؟ أتحب أن تكون محترماً ؟ أتحب أن تكون مبدلاً ؟ إذن بالغ في طاعة الله ، كلما أطعته كلما رفعك وكلما خالفت أمره كلما وضعك ، فإذا هان عليك هنت عليه وإذا عظمت شعائره عظمتك .

فالذي ذهب إلى المدينة وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ماذا أعني بهذا الكلام ، ما من مخلوق على وجه الأرض أعزه الله عز وجل كرسول الله ، لو أن إنساناً في حرم النبي عليه الصلاة والسلام ودخل الملك لا تراه ملكاً ، في الحرم النبوي لو دخل الملوك مجتمعين لا ترى أنهم ملوك في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام ، كانصلي الله عليه وسلم إذا دخل عليه العبد وأصابته رعدة يقول :

" هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ."

أناس يأتونه من أطراف الدنيا فإذا اقتربوا من مقامه يبكون وقد مضى على وفاته ألف وأربعمائة عام ، ما هذا السر ؟ هل في الأرض كلها مخلوق أعزه الله كرسول الله ؟ خذ صحابته سيدنا الصديق ماذا كان يفعل ؟ له جيران فقراء وكان يحلب لهم الشياة ، فلما صار خليفة للمسلمين حزن أهل هذا البيت لأن منصبه الرفيع يمنعه أن يحلب لهم الشياة ، في اليوم الذي تلا تسلمه منصب الخلافة طرق الباب ، قالت الأم لابنتها : يا بني افتحي الباب ، قالت : يا أمي إن بالباب حالب الشاة جاء اليوم أيضا... جاء ليحلب الشاة ، ما هذا التواضع ؟

ملخص الدرس : قانون ، علاقة طردية . كلما زدت طاعة وتعظيما زادك عزا ، وكلما تساهلت بأمره (قلت : لا تدقق ، إن الله غفور رحيم ، الدين يسر ، أنت مشددها كثيرا ، افعل ما تشاء) كلما تساهلت في طاعته خفضك الله عز وجل وصرت لا شأن لك .

أي هؤلاء الذين علموا الناس ، الأئمة الكبار كالإمام الشافعي وأبو حنيفة والصحابة الكرام اسم كل واحد منهم على كل لسان ، بذكرهم تتعطر المجالس لأنهم عظموا الله فخلد ذراهم.

سيدنا موسى في أوج عزه وفرعون يهون و يغرق . يقول الله

عز وجل:

﴿ وَجَدَوْزُنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ
بِهِء بَنُوتِ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾

سورة يونس

وصدق الله العظيم . القائل :

وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ

سورة الحج

سيدنا إبراهيم أرادوا به كيدا فقال الله تعالى :

قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١﴾

سورة الأنبياء

هذا هو العز . عز الله لإبراهيم وموسى ويوسف كما علمت .

النبي عليه الصلاة والسلام ، ما من مخلوق أعزه الله كرسول
الله ، وسيدنا الصديق ، وسيدنا عمر . قال سيدنا عمر عندما أصبح
خليفة للمسلمين : " قد كنتُ عميرا فأصبحتُ عمر فأصبحتُ أمير

المؤمنين " ، كان وقافا عند كتاب الله فزفغه الله سبحانه .

و كذلك سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، و بالمقابل أبو جهل ما نهايته ؟ ما سمعته ؟ ما قيمته ؟ أبو لهب ، هؤلاء صنديد الكفار أين هم ؟ أما عكرمة ابن أبي جهل حينما تاب إلى الله تاب الله عليه فأصبح سيدنا عكرمة مع أنه له جاهلية وله موقفه المعادي لرسول الله

لا أريد أن أطيل عليكم ، فما من مخلوق على وجه الأرض إلا ويحب وجوده ويحب سلامة وجوده ويحب كمال وجوده ويحب استمرار وجوده ، وجزء كبير جدا من وجودك أن تكون مكرما ، أن تكون عزيزا ، أن تكون مرهوبا ، أن تكون سليما من كل هون ، و ما من شيء يسبب لك الهوان كالمعصية أبدا .

فالعفيف عزيز ، وحينما يطمع الإنسان بأعراض الناس ينظر إلى نساءهم نظرات ريبة يصبح ذليلا ، الإيمان عفة عن المطامع عفة عن المحارم .

الإيمان عفة ، عفة عما في أيدي الناس وعفة عن أعراضهم ، لهذا غض البصر من لوازم المؤمن ، المؤمن محصن من أن يتبع شهوته ، وكلما غض بصره زاده الله عزا و كلما غض بصره زاده سعادة بأهله ، لأنه وزوجته خلق من خلق الله ؛ يخلق سعادة

بين الزوجين المؤمنين ... فلا يمكن أن تكون إلا بطاعة الله ،
يعيشان حياة ثرة غنية موفقة لأنها أطاعت ربها فيه وأطاع ربه
فيها .

فمطلب العزة مطلب عام ، ما من مخلوق إلا ويتمنى أن يكون
عزيزا ، والعزة ثمنها الطاعة ، وهذا الكلام موجه إلى الشباب ،
اصبر عن الحرام يأتك الحلال ، لا تفكر ولا تسمح لخاطرك أن ترد
عليه معصية وسوف توفق في عملك توفق في زواجك ، سوف يجعل
الله لك مخرجا ، سوف ترزق من حيث لا تحتسب ، سوف يرفع الله
لك شأنك .

بعض الناس يموت فيسير في جنازته شخص أو شخصين هوانا
لشأنه لمعصيته ، و يموت عالم فيسير في جنازته مليون ، أعزه
الله ، لماذا أعزه ؟ لأنه أعز أمر الله ، أعز أمر الله يُعزك الله .

هذه حقائق ثابتة أيها الأخوة ، فكل من يبتغي العزة بغير الله
أدركه الهوان ، فلو أن الإنسان اتخذ الله وليا لأتجح وأفلح :

وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٣٣﴾

سورة هود

إذا ركنت لإنسان منحرف ، رأيت قويا ، رأيت عنده الدنيا ،

رأيت أنك إذا أطعته جاعك خير كثير ، إذا ركنت إليه إذا نسيت الله عز وجل لن يأتيك الذل إلا من طرفه ، لن يأتيك الضيم إلا منه تأديبا لك :

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

أحيانا يعتز الإنسان بقريب له ، له شأنه... يفاجأ أن هذا القريب يتخلى عنه ، يدخل عليه فيتجاهله ، يعرض له قضية فيقول : لا أستطيع ، أنا لا أخالف القوانين أبدا ، هذا جزاء الذي ركن إليه " أطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير " .

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠٠﴾

سورة فاطر

وبعد فالقصص التي يمكن أن تروى في موضوع العزة والذلة أكثر من أن تحصى ، وما من واحد منكم إلا من خلال معارفه وأقربائه ومحيطه وبيئته يعرف آلاف القصص ، هذا الشاب الذي استقام على أمر الله رفعه الله في الدنيا قبل الآخرة :

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾

سورة الرحمن

قال معظم المفسرين : " جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ،
والدنيا قبل الآخرة .

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

سورة الطور: الآية ٤٨

آخر حديث : " من ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا
وأقرب مما اتقى " . أي شيء أردت أن تناله من خلال معصية
يجب أن تعلم علم اليقين أن هذا الشيء بعد عنك ، وأي شيء إذا
أردت أن تناله عن طريق الطاعة فاعلم علم اليقين أنه اقتراب منك
" من ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى " ، أي
بالتجارة لا تكذب لكي تربح ستربح وأنت صادق ، إذا كنت محاميا لا
تكذب يأتيك دخل وفير وأنت صادق وأنت مخلص . هذا الذي يعصي
الله لينال الدنيا جاهل لا يعرف الله عز وجل .

يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

سورة الأحزاب

الله عز وجل مما وعد به المؤمن أن يحفظه ، مما وعد به
المؤمن أن يدافع عنه ، مما وعد به المؤمن أن يرزقه ، مما وعد به
المؤمن أن يعزّه والدليل " ولله العِزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون " .

انظر لو قال الله : العِزَّةُ للمؤمنين لكان من الممكن أن
يفهم ولغير المؤمنين قد تكون عِزَّةُ أما عندما قال : لله العِزَّةُ ،
وجاء الاسم المجرور مقدما على العِزَّةُ فأفاد القصر والحصر ،
العِزَّةُ وحدها إذن لله فإذا أردتها فكن مع الله .

وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَاضِرَ طَمَعِكَ	كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَى اللَّهَ مَعَكَ
ثُمَّ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا مَنَعَكَ	وَإِذَا أُعْطَاكَ فَمَنْ يَمْنَعُكَ
فَاتِنَا مَنَحْنَا بِالرَّضَى مِنْ أَحِبِّنَا	أَطْعِ أَمْرَنَا نَرْفَعِ لَأَجْلِكَ حُجْبِنَا
لِنَحْمِيكَ مَا فِيهِ أَشْرَارُ خَلْقِنَا	وَأَنْذِ بِحَمَاتِنَا وَاحْتَمِي بِجَنَابِنَا

و الحمد لله رب العالمين

القفاوول
القبائل

القُدُوس

أيها الإخوة المؤمنون : موضوع الدرس اليوم اسم الله

تعالى : القُدُوس ، قال تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر : ٢٣]

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١﴾

[الجمعة : ١]

و قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل ، أود أن

أقف وقفة يسيرة عند مقدمة ضرورية :

كلكم يعلم أن الجماد كائن يشغل حيزاً ، له طول و عرض ،

وارتفاع ووزن .. تعلمون ما الحجم ؟ .. هناك نقطة ، النقطة

ليس لها حجم ، فإذا تحركت شكلت خطاً ، فإذا تحرك الخط شكل

سطحاً ، فإذا تحرك السطح شكل حجماً .. نقطة ، خط ، سطح ،

حجم ..

الجماد يشكل حجما ، يعني له طول . وعرض ، وارتفاع ،
ووزن أما النبات ، فيشكل حجما ، وينمو ، أما الحيوان فيشغل
حيزا ، وينمو ويتحرك ، أما الإنسان فيشغل حيزا ، وينمو
ويتحرك ، ويفكر ، ففي اللحظة التي يعطل فيها الإنسان فكره ،
وعقله ، يكون قد انتهت إنسانيته ، وعاد إلى طور البهيمية ..
يعني من كانت حياته طعاما وشرابا ، ومتعا مباحة وغير مباحة ،
وعملا ومالا ، دون أن يفكر في الذي خلقه ، في الذي أوجده ،
أين كان ، أين سيكون ، ما المصير ؟ فما قيمة الإنسان الذي
يعطل فكره أو يستخدمه في غير ما خلق له ؟ ..

يعني : من الممكن أن تشتري حاسوبا بعشرات الملايين ،
وتضع على هذا الحاسوب حاجاتك ، ثم تجعله كالمائدة ، أليس هذا
غباء شديدا ؟ ! .. أن تستخدم جهازا بالغ التعقيد ، يقدم لك
خبرات كثيرة لو أعملته ، كمائدة ؟ !!!

فأما الذي يعطل عقله ، أو يستخدمه في غير ما خلق له ،
فهذا الإنسان ألغى إنسانيته ، وتحركت فيه حيوانيته .. لقد قلت
هذه المقدمة ، من أجل أن تعلموا أن الله سبحانه وتعالى أودع في
الإنسان قوة إدراكية .. فما الذي يجب أن يدركه بها ، ما
الموضوع ؟ .. هنا السؤال .

قرأت قبل فترة ، أن ما يطبع في العالم في اليوم الواحد ، لا يستطيع الإنسان أن يقرأه في أقل من خمسين عاماً ، إذن هناك موضوعات لا تُعد و لا تُحصى .. ما الذي آخذ ، و ما الذي أدع ؟ .. ما الذي أقرأ ، و ما الذي لا أقرأ ؟ .. ما الذي أطلع عليه ، و ما الذي أهمله ؟ هذا سؤال خطير .

إذن لابد من الاصطفاء والاختيار، لابد من أن تصطفي الموضوع الخطير و المعنى الخطير ، الذي له علاقة بمصيرك .

يعني إنسان في مكتبة ، أربعة جدران فيها كتب من الأرض وحتى السقف ، وبعد أيام عنده إمتحان مضيري ، إن نجح في هذا الامتحان سوف يترتب على نجاحه مكتسبات كثيرة ، في هذه المكتبة كلها كتاب واحد مقرر ، له علاقة بهذا الامتحان ، إذن من البديهي أن يدع كل هذه الكتب ، وأن يقرأ هذا الكتاب .

إذن فالله تعالى أودع في الإنسان قوة الإدراك ، كما أودع فيه

العقل :

" لما خلق الله العقل ، قال أقبل فأقبل ، ثم قال أدبر فأدبر ،

ثم قال - سبحانه - وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ، بك أعطي وبك آخذ " .

إن سألتموني عن أعظم شيء خلقه الله في الكون ، أقول لكم
العقل لأنه مناط التكليف ، لولا هذا العقل الذي أودعه فيك ما
كلفك ، والعقل وسيلة معرفة الله عز وجل .

لنا في درس سابق ، إن المشكلة : بما أن النفوس من طبيعة
واحدة فلو أن أي إنسان بعيد عن الله عز وجل عرف ما عرف
المؤمن لأقبل على الله كما يقبل المؤمن ، لو أن أي إنسان عرف ما
عرفه رسول الله لأحب الله كما أحبه رسول الله ، النفوس واحدة ،
والدليل ، قال تعالى :

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

[النساء: ١]

من طبيعة واحدة ، من خصائص واحدة ، ما دامت طبيعة
النفس واحدة ، التفاوت إذن في ماذا ؟ .. في العلم ..

لذلك قالوا : يفعل الجاهل في نفسه ما لا يفعله عدوه به ..

مزارع عنده حقل ، مزروع نبات له ريع كبير ، قدرت هذه
المساحة المزروعة بهذا النبات وريعتها في الموسم الواحد يزيد
عن مائتي ألف ليرة من البيوت المحمية ، فاشترى دواء كيميائي ،

وحله من دون تعليمات الصانع ، ورشّه .. كل هذا النبات مات من فورهِ ، وخسر الموسم كله فهذا الإنسان الجاهل ، إذا لم يقرأ التعليمات ، فعل في نفسه ما لا يفعله عدوه به .

إذن الأزمة أزمة معرفة ، أزمة علم .. و المشكلة الأخطر ؛ أن الإنسان حينما يأتيه الموت سيعرف كل شيء ، وسينكشف له كل شيء ، وسيرى الحقيقة ، وسوف ينكشف له الغطاء .. لقد رأى فرعون ما رآه سيدنا موسى ، ولكن بعد فوات الأوان ..

المشكلة أن المعرفة ينبغي أن تكون في الوقت المناسب ، يعني ينبغي أن تعرف ما يناسب في الوقت المناسب ، ينبغي أن تصطفي من كل المعارف و المعلومات الشيء المناسب ، و أن تعرفه في الوقت المناسب .

والسؤال الجديد الآن : لماذا يجب أن نعرف الله ؟ .. أليس هو غني عن المعرفة ؟ قال تعالى :

إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

حَمِيدٌ ﴿٨﴾

[إبراهيم : ٨]

" .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو

أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا .. " . أخرجه مسلم والترمذي .

لماذا نعرف الله ؟ .. نعرفه من أجل أن نعبده ، ولن نعبده إلا إذا عرفته ، ولماذا نعبده ؟ .. من أجل أن نسعد به ، من أجل أن يتحقق الهدف من خلقنا ، قال تعالى :

إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾

[هود: ١١٩]

إذن نعرفه ، فنعبده ، فنسعد به .. ولهذا قال ربنا عز وجل :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

[الذاريات: ٥٦]

وإياك أن تغفل عن هذه الآية أبد دهرك !

العبادة كما تعرفون : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ،

أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ..

من بين ملايين ملايين ملايين إلى أن ينقطع نفسي .. من بين

ملايين ملايين الموضوعات ، ما الموضوع الأكثر أهمية ؟ أن

تعرف الله عز وجل ، لأنه كما يقول الله سبحانه ، لمن يوضع في

القبر أول ليلة :

عبدى رجعوا وتركوك *** وفي التراب دفنوك ،

ولو بقوا معك ما نفعوك *** ولم يبق لك إلا أنا

وأنا الحي الذي لا يموت " .

يجب أن تعرفه لأن المصير إليه ، لأنك راجع إليه ، لأنك ستأتيه فردا تتخلى عن كل شيء ، كل المكتسبات التي حصلت لها في العمر ، تفقدها في ثانية واحدة ، ليس لك إلا الله !

يا قيس ، إن لك قرينا يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك ، وإن كان لثيما أسلمك ، ألا وهو عمك". إذن من بين ملايين ملايين الموضوعات ، ليس منها موضوع أكثر أهمية ، من أن تعرف الله عز وجل ، عرفت أنه خالق ، وعرفت أنه رب ، وعرفت أنه الإله الحق ، وعرفت طرفا من أسمائه الحسنی ، وهذا الدرس بفضل الله ، وتوفيقه ، فيه جولة متواضعة ، حول اسم جليل من أسماء الله الحسنی ، ألا وهو اسم القدوس .

تعلمنا في الجامعة ؛ أن المدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يتكلم حديثا ، بأسلوب طلي جذاب ممتع ، غني ، لفترة طويلة من دون تحضير يعني معلومات عقلها ، تمثلها ، تفاعل معها ، عاشها ، أصبحت في قلبه أصبحت تجري مع دمه ، فإذا أراد أن

يتكلم ، فاللسان طليق والموضوع جذاب ، إذن ألا ينبغي إن
سئلت ، ماذا تعرف عن الله؟ عن الذي خلقك عن الذي أنعم عليك
بنعمة الإيجاد ؟ قال تعالى :

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

[الإنسان : ١]

الذي أنعم عليك بنعمة الإمداد ، أعطاك الهواء ، و الماء ،
و الغذاء ، الأهل ، و الأولاد ، و العقل ، تجني به المال و أنعم
عليك مرة ثالثة بنعمة الإرشاد ، هداك إليه ، لو أنك سئلت ماذا
تعرف عن الله ؟ .. ألا ينبغي أن يكون الحديث عن الله سلسا
جذابا ممتعا طليا ؟ هذا هو السؤال .. لأن المعرفة لأبد من أن
تنعكس انضباطا في السلوك ، والتزاما عند حدود الشرع ، أنا لا
أصدق أبدا أن يتعلم الإنسان شيئا لا ينفذه ، لأن الإنسان حينما
يقرأ يتفاعل ، وحينما يتعلم يتمنى أن يقطف ثمار هذا العلم ..

الاسم الجليل من أسماء الله الحسنی هو اسم القدوس ، ورد
هذا الاسم في آيتين قرآنيتين ، ورد في قوله تعالى في سورة
الحشر ، الآية الثالثة و الثلاثين :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر: ٢٣]

وورد في قوله تعالى :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١﴾

[الجمعة: ١]

القدوس : على وزن فعول ، وهو من القدس ، والقدس :
الطهارة ، والتقديس هو التطهير ، والأرض المقدسة : الأرض
المطهرة ، وسميت الجنة حظيرة القدس ، لأنها مطهرة من آفات
الدنيا ، وسمي سيدنا جبريل روح القدس ، لأنه طاهر من العيوب
في تبليغ الوحي ، وفي قوله تعالى حكاية عن الملائكة :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

[البقرة: ٣٠]

ما معنى ونُقَدِّسُ لك ؟ يعني يا رب نحن نطهر أنفسنا ،
ونقدسها كي نكون أهلا للإقبال عليك ، وهذه مهمة الإنسان في
الدنيا ، يجب أن يقدس نفسه كي ينال مقعد صدق عند مليك
مقتدر .

كلكم يعلم إذا دعي إلى حفل كريم ، أو إلى لقاء خطير ، أو إلى مقابلة كريمة ، كيف يعتني الإنسان بمظهره بثيابه ، بألوان ثيابه ، بكل حركاته وسكناته ، فذلك الملائكة يقولون : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون هل تصدقون ان مهمة الإنسان في الدنيا ؛ أن يظهر نفسه كي تغدو مؤهلة لتكون في حوار الله في الجنة ، لأن الله طيب ، ولا يقبل إلا طيبا ؟

عدي ظهرت منظر الخلق سنين .. الإنسان يدهن بيته ، يقول : المدخل يحتاج إلى تعديل ، ثم يرتب غرفة الاستقبال ، يزين مركبته ، يزين لباسه لماذا ؟ .. هذا منظر الخلق .. يقول الله عز وجل في الحديث القدسي :

" عدي ظهرت منظر الخلق سنين، أفلا تطهر منظر منظر ساعة "

إذن يجب أن يكون شغلك الشاغل أن تطهر نفسك ؛ كي يسمح لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة ، وحسن أولئك رفيقا .

النقطة الدقيقة في هذا الدرس ربما تحتاج إلى شرح ، جاء في تعريف هذا الاسم الجليل أن القدوس هو المنزه عن كل وصف .

أما الإنسان فحينما أدرك ذاته ، رأى في نفسه كمالات ونواقص ؛ فالعلم كمال ، الحلم كمال ، الصبر كمال ، السمع ، البصر ، الإرادة ، الحياة هذه كمالات .. الجهل نقص ، العمى نقص ، الصمم نقص ، الخرس نقص اللؤم نقص ، الحقد نقص ، الضجر نقص .. الإنسان رأى أن هناك كمالات ، وهناك نواقص ، فلما أراد أن يثني على الله عز وجل نسب إلى الله عز وجل الكمالات التي يعرفها هو إن الله سبحانه وتعالى القدوس منزّه عن الكمالات التي يتصورها الإنسان من عنده ، فكل ما خطر ببالك عن الله بخلاف ذلك ، قال تعالى :

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ الْاَنْعٰمِ
 اَزْوَاجًا يَذْرَؤْكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ﴿١١﴾

[الشورى: ١١]

إن الله عز وجل ليس كالأب ، ولا كالمعلم ، بل أعظم من ذلك ، الله رحيم كما يرحم الأب ابنه ؟ لا .. فالأب أحيانا يرحم ابنه رحمة من دون علم فيورده المهالك ، ولكن الله رحيم عليم .

لذلك لما أراد الإنسان أن يثني على الله عز وجل فقد أثنى عليه بصفات الكمالات البشرية ، قال : الله سبحانه وتعالى قدوس منزّه عن كل وصف من صفات الكمال البشري ، هو أعظم من

ذلك ، هو منزّه عن صفات كمال الناس ، ومن باب أولى مُنزه عن صفات النقائص ، بل إنه منزّه عن كل صفة يتصورها الخلق ، فكل شيء تصورّه الإنسان عن الله عز وجل فهو منزّه عن هذه الصفات .

و من معاني الله أكبر ، أنه كل ما عرفت عن الله عز وجل ، فالله أكبر من ذلك ، أكبر مما عرفت ، هذا معنى ، منزّه ومقدس عن كل صفة يمكن لإنسان أن يتصورها ، منزّه ومقدس عن كل صفة تشبه صفات الإنسان وتمائلها ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى سمح للإنسان أن يصفه بصفات كمال البشر ، لكان وصفه بصفات كمال البشر ذنبا من الذنوب ، تقول : الله رحيم ، تقول : الله عادل ، الله لطيف ، الله حلیم ، إذا قلت : الله حلیم يعني يأتي في بالك أن الإنسان قد يحلم ، قد يستفز فلا يغضب ، هكذا .. هو قدوس عن هذه الأوهام ، وعن هذه الصفات .. فهل صارت واضحة هذه ؟ أقبليتموها ؟ .

رجل من العارفين بالله ، قال لعارف آخر : يا فلان ألا تشفق إلى الله عز وجل ؟ قال لا والله لا أشفق إليه .. أعوذ بالله ما هذا الكلام ؟ قال : ما هذا الكلام ؟ أجابه : " متى غاب عني حتى أشفق إليه ؟ " .. متى غاب عني ؟ .

وأخر يسأل يا إمام متى كان الله ؟ قال ومتى لم يكن ؟ ..
متى لم يكن حتى تقول لي متى كان الله ؟ .

الآن مرحلة أخرى القدوس هو المنزه عن كل وصف يدركه
الحس عن كل تصور يتصوره الخيال ، أو يسبق إليه الوهم ،
أو يختلج به الضمير ، أو يقضي به التفكير .. أما أن تقول منزه
عن العيوب والنقائص ، فإن هذا يقترب من باب قلة الأدب مع الله
عز وجل ، أو من باب ترك الأدب .

بربك لو كنت في حضرة إنسان عظيم ، وقلت: يا سيدي
حدثت الناس عنك ، قال ماذا قلت لهم ، قال : قلت لهم إن جنابك
لست بكاذب! ما هذا ؟ أيقبل هذا ؟ هل تمدح ملكا بأنه ليس كاذبا ،
قال : هذا من ترك الأدب ، ألم تر في الملك شيئا إيجابيا ، نفيت
عنه الكذب ، وهناك قاعدة : إن نفي الشيء أحد فروع تصوره ،
إذا نفيت عن جهة نقيصة، إذن بالإمكان أن تقع منه هذه
النقيصة ، نفي الشيء أحد فروع تصوره ، إذن من توك الأدب أن
تقول : الله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص ، منزه عن
العيوب ، هذا من ترك الأدب .

من تعريفات اسم القدوس أن القدوس من تقدست عن
الحاجات ذاته . أما أنت فمحتاج ، أنت فقير ، كل شخصيتك ،

وعلمك وذكائك وقوة هيمنتك على الناس ، وجلدك ، وعلمك ، كل هذه الصفات تتلاشى أمام شربة ماء .

قيل لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس (كوب ماء) إذا منع عنك ، قال بنصف ملكي ، قال فإذا منع إخراجه قال : بنصف ملكي الآخر .

أنت محتاج إلى الهواء ، فلو منع منك الهواء ..

هذا الذي كان يقطع الصحارى ، يجتاز الصحراء على ناقه عليها زاده وطعامه وشرابه ، تعب من السفر ، جلس ليستريح ، أفاق فلم يجد الناقة وعليها طعامه وشرابه ، وهو في عرض الصحراء ، فأيقن بالهلاك ، من شدة البكاء أخذته سنة من النوم ، أفاق فرأى عن بعد شجرة ، فأشرق في نفسه نور ، فهرع نحو الشجرة ، فإذا إلى جانبها بركة ماء شرب منها حتى ارتوى ، ثم تولى إلى الظل ، فإذا كيس مملوء ، وفرح به فرحا عظيما ، وهو يحسب أن فيه خبزا ، ولكن يا للأسف ، لقد فتح الكيس فلم يجد فيه إلا لآئى ، فصاح واأسفاه هذه لآئى ، لو كان في الكيس خبز ! فاللآئى لها قيمة في المدينة، أما وقد مُنِع منه الخبز فيقول : " وأسفاه هذه ليرات ذهبية . ماذا أفعل بها في الصحراء ؟ " .

شي الحرب العالمية الثانية كما سمعت ، الرغيف يسع بليرة ذهبية .

إذن فالإنسان ضعيف ، مفتقر إلى الهواء ، مفتقر للماء ، مفتقر للخبز مفتقر إلى الأهل ، مفتقر لمن يؤنسه ، مفتقر لمن يحبه ، أنت فقير في الأصل ، قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

[فاطر: ١٥]

القدوس : هو من تقدست عن الحاجات ذاته ، صمد ، وتنزهت عن الآفات صفاته .

والقدوس من تقدس عن مكان يحييه ، لا يحييه مكان ،

وعن زمان يبليه .

قال لي أخ كريم ، وهو أستاذي قال لي : " سبحان الله ، أنا من خمسين عاما كنت أنشط من الآن " ، طبعاً ، الإنسان في الستين غيره بالثلاثين غيره بالعشرين ، بالسبعين ، يعني الزمن يبليه ، يحتاج إلى قطع غيار كثيرة يحتاج إلى نظارات ، وأسنان ، وشعر أحيانا ، يحتاج إلى قطع غيار .

والقدوس من تقدس عن مكان يحويه ، وعن زمان يبليه ،
وهو عزيز لا يرتقي إلى تصويره وهم ، ولا يطمع في جواز
تقديره فهم ، ولا تنبسط في ملكه يد من دون تقدير .
هو قدوس في ذاته ، لكنه يقدر عباده الطائعين .

أقول لك هذه الكلمة ، فلان مقدس ، المقدس هو الطاهر ،
تقدس بلا طهارة كلام فارغ ، فلان مقدس يعني مستقيم ، يعني
عفيف ، يعني طاهر يعني سليم الصدر ، نواياه طيبة ، ليس في
قلبه غل ، ولا حقد ، ولا غش ولا تخونه عينه ، ولا يسبقه
لسانه ، ولا يعطي أذنه للكلام غير المقبول لا يقدر الإنسان إلا
إذا تنزه عن النقائص .

قال : القدوس من قدس نفوس الأبرار عن المعاصي ، وأخذ
الأشرار بالنواصي .

القدوس من قدس قلوب أوليائه ؛ يعني كل إنسان له قلب
صنوبري لا أعتقد أن إنسانا على وجه الأرض ما له قلب ، لكن
هناك قلب كالجواهر وقلب كالحجر .

لكن الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل ، صار ذا قلب
كبير ، ذا قلب صاف ، قلب ممتلئ حبا لله عز وجل .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٨﴾

[الأعراف: ١٧٩]

يعني فرق كبير جدا بين قلب وقلب ، قلب يلامس السماء
رفعة ، وقلب يلامس الحضيض ضعة ، قلب كالجوهر صفا ماؤه
ورق ، وقلب كالكدر ، والقلب بيت الرب ، ونتيجة إيمانك كله هذا
القلب :

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَن آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشعراء: ٨٩]

و هذا الدرس بفضل الله عز وجل ، هدفه أن يسير الإنسان
إلى قلب سليم ، وأن يتعاهد قلبه .

قال : القدوس من قدس قلوب أوليائه عن السكون إلى
المألوفات الإنسان يستهلك ، طعامه ، و شرابه ، و بيته ،
و أولاده ، و رزقه ، و دكانه و متجره ، و معمله ، و وظيفته ،
و مكانته ، و صحته ، و قلبه ، و شرايينه و معمله .. مستهلك ،
و هموم الدنيا تستهلكه ، لكن قلب العابد مستهلك و ليس

مستهلكا ، يستهلك الدنيا بمعرفة الله . ولا يسمح لها أن تستهلكه... المؤمن بقود هواه ولا ينقاد له ، المؤمن يسيطر على نفسه ، ولا يسمح لها بالسيطرة عليه ، المؤمن يحتكم إلى القيم ، ويحكمها ، ولا يسخر منها ، المؤمن له مرتبة أخلاقية لا يهبط عنها ، وله مرتبة علمية لا يزيغ عنها ، وله مرتبة جمالية ، هكذا ، المؤمن شخصية فذة .

قال : القدوس من طهر نفوس العابدين بإبعادهم عن دنس المخالفات واتباع الشهوات ، والقدوس من طهر قلوب الزاهدين من حب الدنيا والقدوس من طهر قلوب العارفين مما سواه فالعابدون متصفون بطاعة الله ، مقبلون على عبادته ، متحرقون إلى الإقبال عليه .

وأنزاهدون مشيمون على الاكتفاء بوعده الله ، معرضون عما يوجب التهمة من ضمان الله .

إذا أردت أن تكون أغنى الناس

فكن بما في يدي الله أوثق منك مما في يديك .

إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله

، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ،

ربنا عز وجل قال :

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٦﴾

[النمل : ٧٩]

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

[آل عمران : ١٣٩]

إن مشاعر القهر ، و الخنوع ، و الذل لا يعرفها المؤمن الذي يعرف أن أمره كله بيد الله ، وأن الله صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى .

لذلك كان النبي الكريم إذا ألمَّ به خطب كان يقول :

لا إله إلا الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله العليم الحكيم "

لا إله إلا الله كل شيء بيدك يا رب وأنت رحمن رحيم ..

لذلك لا يحزن قارئ القرآن ، قارئ القرآن لا يمكن أن

يحزن ، لأن الأمر كله بيد الله ، يقول له كُن فيكون ، ليس عند

الإنسان محلات أفقرت ، وشواغر خلّيت ، هذه المرتبة

انحجرت . المهمة أخذها ثلاثة ، وبقي مائة موظف قاعدين ، عند

الإنسان كل أمر محدود ، وكله مقنن ، أما ربنا عز وجل ففضله

واسع عظيم .

العارفون إذا قاموا قاموا بالله ، وإن نطقوا نطقوا بالله ، وإن
سكتوا سكتوا بالله ، فكيفما دارت أوقاتهم ، وتغيرت أحوالهم .
فالغالب على قلوبهم ذكر الله .

فانت مؤمن قد عاهدت الله عز وجل على الرضا والطاعة ،
في السراء والضراء ، في الغنى والفقر ، في الصحة والمرض ،
في عمل وبلا عمل ، في زواج وبلا زواج لك بيت أو بلا بيت :

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[الأحزاب: ٢٣]

وبعد ، فكيف نقيم علاقتنا بهذا الاسم ؟ قالوا : من عرف
هذا الاسم طهر نفسه عن متابعة الشهوات ، الله قدوس ، هو
منزه ؟ .. يستحيل إلا أن يكون مقدسا فإذا كنت تطمع أن تكون
مع الله دائما ، فعليك أن يكون إقبالك على الله ، حقيقة ، واتصالك
بالله حبا وذكرا ، وبذلك يحبك الله ، الله قدوس ، القدوس يحب
المقدس .

إذن من عرف هذا الاسم فلا بد من أن يظهر نفسه عن متابعة
الشهوات وظهر ماله عن الحرام والشبهات ، وظهر وقته عن دنس

المخالفات ، وطهر قلبه عن مسك الغفلات ، طهر روحه عن فتور المساكنات .

لا أن تعتريه المساكنات فيفضل أن يركن إلى الزوجة و إلى أولاده ، فيؤثرهم على مرضاة الله عز وجل .. يقولون : خليك قاعد معنا الآن ، أما شبعت دروسا، أو يركن إلى نزهة أعاقته عن مجلس علم .

و من عرف هذا الاسم طهر سره عن الملاحظات و الالتفاتات .. فلان يراني ؟ .. دخل المسجد ليصلي لقي إخوانا في المسجد ، قام بكسل ليصلي ، يقول أنا خاشع .. لا .. لا تلاحظ الخلق أبدا ، لاحظ الخالق ، هؤلاء لا ينفعونك إطلاقا ، أنت لك عند الله مكانة ، لا يرفعها مدح المادحين ، ولا يخفضها ذم الدامنين . أقول لك هذا المثل وأردده كثيرا : معك كيلو معدن ، هو ذهب ، ظنه الناس تنكا ، خير إن شاء الله ، ثم انه موجود ، لو كان معك كيلو تنك ، بذكاء بارع ، وطلاقة لسان ، وقدرة إقتناع أقنعت الناس أنه ذهب، خير إن شاء الله ، لا إن قنعوا بأن التنك ذهب ترباح ، ولا إن اتهموك بأن ذهبك تنك تخسر ، خيرك منك وشرك فيك .

وبذلك يصل المؤمن إلى مرتبة الإحسان : اعبد الله كأنك تراه ، خوفا ، و حبا ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. وهذا حال

المراقبة لله عز وجل؛ فاحرص على أن يراك حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك . في وقت مجلس العلم أين أنت ؟ في بيت الله .. في وقت صلاة الجمعة أين أنت ؟ .. فيما بين الفجر والشمس أين أنت ؟ على السرير أم على مصلاّك ، في هذه الطرقات المزدهمة بالنساء الكاسيات العاريات ، هل أنت في هذا الطريق ؟ لا والله ، هو في بيت من بيوت الله ... فاحرص على أن يراك حيث أمرك ، و أن يفقدك حيث نهاك .

و من عرف اسم القدوس لا يتذلل لمخلوق ولا يذل نفسه التي أكرمه بها ربه بل يسمو بها ... فهذه النفس التي عبدت ربها ، وأقبلت عليه سبحانه ، أيليق بها أن تتذلل لمخلوق وقد عرفت اسم القدوس؟ ، هذه النفس التي تقدست بمعرفة الله لا يمكن أن تتذلل لمخلوق ، لذلك من جلس إلى غني فتضع له أي تمسكن له ذهب ثلثا دينه .

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

و يُعاب أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم .. لذلك سيدنا إبراهيم ماذا قال حينما جاءه سيدنا جبريل ؟ قال له - وقد أوقدوا نارا عظيمة ، و ألقوه بها ، يا إبراهيم ألك عند الله حاجة ؟

قال : علمه بحالي يُفني عن سؤالي .. " قلنا يا نار كوني بردا" لو لم يقل الله : سلاما لمات من البرد ، و لو لم يقل على إبراهيم لصارت النار منذ أن وضع هذا النبي العظيم بهذه النار حتى الآن لصارت لا تحرق وفقدت خصائصها ، إلى يوم القيامة ، ولما استطعنا أن نطهو طعامنا ، ولما تمكنت من صهر حديد ، ولما نعمت في تدفئة مركزية ، أو حملت بمدفأة تدفأ بها.

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[الأنبياء: ٧٠]

نعم بردا وسلاما على إبراهيم فقط ! يعني إذا كان الله معك فمن عليك ، المؤمن له معاملة خاصة عند الله عز وجل ،
والدليل :

وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ
أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَسَمِعْنَا نَدَاءَهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ ۚ إِنَّكَ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

[الأنبياء: ٨٧]

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

[الأنبياء: ٨٨]

ولديك قاتون : وكذلك تنجي المؤمنين

و الله هذه الآية وحدها . تملأ النفس إشراقا ، تملأ النفس
طمأنينة تملأ النفس عزة ، تملأ النفس كرامة " وكذلك تنجي
المؤمنين "

قال : هذا الذي عرف اسم القدوس مستحيل أن يذل نفسه إلا
لله سبحانه

و لا يعظم مخلوقا بالقلب الذي به شهده .. هذا القلب عظم
الله عز وجل فكيف يعظم مع الله أحدا ؟ .. مستحيل إلا أن يعظم
أوليائه ، لأن المؤدى واحد .

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا

مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

[التوبة: ١٧]

يعني إرضاء رسول الله هو عين إرضاء الله .

و هذا الذي عرف اسم القدوس يجب أن لا يبالي بما فقدته بعد
ما وجدته .. هل فهتموها .. إنها واضحة .

أحد الصالحين عرف الله عز وجل ، تقدست روحه بمعرفة
الله ، وذاق طعم قربه ، ولكن بيته صغير ، بيته قبو أجرة ،
وظيفته متواضعة ، معاشه قليل ، زوجته وسط ، له جيران

سبعين ، يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ ثم يقول والله ما نقصنا
شيء ، هنا البطولة ، إذا عرفته فعلا لا ترى أنك خسرت شيئا
أبدا .

مرض مزعج ألم به ، وهذه مشيئة الله ، رضيت بقضاء الله ،
لذلك طعم القرب من الله ينسي كل شيء .

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

فلو شاهدت عيناك من حسنتنا الذي

رأوه لما وأتيت عنا لغيرنا

ولو سمعت إذناك حسن خطابنا

خلفت عنك ثياب العجب وجنتنا

لذلك هذا الذي عرف اسم القدوس لا يبالي بما فقدته بعدما

وجد الله .

انظر لهذه الكلمة ما أدقها : ولا يرجع قبل الوصول إليه
بعدها قصده .

أنت قصدت الله عز وجل ، يجب أن لا يثنيك شيء ، لا
مشكلة ولا خطر ، ولا وهم ، ولا تهديد ، ولا فقر ، أبدا ، هذا هو
الصدق ..

قال : من آداب من عرف هذا الاسم أن تسمو همته ، إلى أن
يظهره الله من عيوبه .

عنده عيوب في نفسه ، المشكلة - يا إخوان - أن عيوب
الجسد تنتهي مشكلتها عند الموت ، مهما كانت من آفات ،
وأمرض ، مثلا أحدهم يده مصابة ، والآخر بصره ضعيف ،
وثالث آلام في ظهره ، إذا جاء ملك الموت ينهي كل المشكلات ،
ولم يعد لأحد من هؤلاء مشكلة أبدا .

كل أمراض الجسد تنتهي عند الموت ، وكل أمراض القلب
تبدأ عند الموت فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ..

اللؤم الذي فعله إنسان في الدنيا مخدر ، أما إذا استيقظ عند
الموت فحاله ساعتئذ يكشفها معنى الحديث الشريف التالي ،
والآيات بعده :

إن العار ليلزم المرء يوم القيامة ، حتى يقول يا رب
إرسالك بي إلى النار أهون علي مما ألقى ، وإنه ليعلم ما فيها
من شدة العذاب " . هذه هي

آلام النفس ، آلام الندم ، الشعور بالخيبة ، الشعور بالخسارة

الكبرى

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَأْتَتِ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وِزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّخُدُوا آيَاتِنَا وَرُسُلِي
هُرُوقًا ﴿١٠٦﴾

[الكهف: ١٠٣-١٠٦]

قال : من آداب من عرف هذا الاسم ، أن تسمو همته إلى أن
يطهره الله من كل عيوبه ، وأن يطهره عن دنس كل عاهاته ، في
جميع حالاته ويطهر قلبه من كل كدراته ، وأن يرجع إلى الله
تعالى بحسن الاستجابة في جميع أوقاته .

قال : فإن من طهر لسانه عن الغيبة ، طهر الله قلبه عن
الغيبة عنه ويصبح قريبا منه ، ومن طهر الله بصره عن
النظر بالريبة ، طهر الله سره عن الحجاب (الذي يحجب به عن
ربه) .

إذا الإنسان حجب بصره عن المحرمات ، يكشف الله عن بصيرته فإذا أطلق بصره حجب عن بصيرته .

وإذا طهر لسانه عن اغتياب الناس ، يقربه الله إليه ..

يعني ملخص هذا الدرس :

ونحن نسيح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون

يعني نطهر أنفسنا كي نستحق أن نكون معك يا رب ، في جفك مع أوليائك ، مع المؤمنين ، مع الأنبياء مع الصديقين ، مع الشهداء ، مع الصالحين .

قال : حكى عن إبراهيم ابن الأدهم ، أنه مر بسكران ، مطروح على قارعة الطريق ، وقد تقياً ، فقال في نفسه بأي شيء أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله بهذا الفم ، هذا اللسان ذكر الله ، هذا الفم ذكر الله ، هو ممتلئ زبدا قيئاً ، ملقى على قارعة الطريق ، وكان إبراهيم شيخاً جليلاً عظيماً ، فجاء بنفسه وغسل فمه ، فلما أفاق السكران أخبروه بما فعله معه إبراهيم ابن الأدهم ، فحجل الرجل السكران من الله تعالى ، وتاب ، وحسنت توبته فرأى إبراهيم في المنام كأن قاتلاً يقول له ، يا إبراهيم طهرت فمه من أجلنا ، فطهرنا قلبه من أجلك ..

فدخل إبراهيم بن الأدهم مسجدا ذات مرة ، ورأى رجلا يبكي بكاء مرا ، ويتهدد وينادي ربه ، ويدعوه ، أعجبه هذه الصلاة وهذا التهجد و هذا الخشوع قال : من أنت ؟ قال إن الذي هداني أخبرك بحالي أما قال لك يا إبراهيم طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك؟ إن الذي هداني أخبرك بحالي ..

نستفيد من هذه القصة، أنه لو مثل لك ابن يأس منته ، حاولت أن يصلي ولو صلاة شكلية ، وجهدت حتى جعلته يصلي هذه الصلاة الشكلية ، لعل الله عز وجل يتفضل عليك فيطهر قلبه .

أنت كُن عند الأمر والنهي وعلى الله الباقي ، قف في الصلاة متخشعا لعل الله يتجلى عليك ، حاول أن تصلي مع أولادك لعل الله يهديهم سواء السبيل ، طهر ظاهرهم لعل الله يطهر باطنهم ، لك الظاهر وعلى الله السرائر .

لا تيأس ، لو رأيت الإنسان في أقل درجات المعصية أو في أشدها، الصلح مع الله ممكن بلمحة ..

" إذا رجع العبد إلى الله ، نادى مناد في السموات والأرض أن هتئوا فلانا فقد اصطح مع الله " .

يا أيها الإخوة الأكارم : أختتم درسي بهذه الكلمات فاحفظوها :

إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وسعة في الرزق وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ..

ألا يتمنى أحدنا أن يكون كذلك ، وجه كالشمس منير ، قلب مستنير سعة في الرزق ، قوة في البدن ، محبة في قلوب الخلق .

أعرف أحد العلماء بمصر عاش مائة وثلاثين سنة .. ورجل من علماء دمشق رحمهم الله تعالى ، عاش ستا وتسعين سنة ، ويروي عنه تلامذته أنه كان مستقيماً القامة ، حاد البصر ، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، خدوده متوردة ، قوي البنية ، كلما سئل ، ما هذه الصحة ؟ يقول يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا .

وإن للسينة سوادا في الوجه ، وظلمة في القلب والقبر ،

وهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبُغضا في قلوب الخلق

قال عليه الصلاة والسلام : " قد يُحرم المرء الرزق

بالذنب يصيبه " .

والذنب - أيها الإخوة - والسيئة سبب هوان العبد على ربه ،
وسقوطه من أعين خلقه .. فقد هان الله على الناس فهانوا عليه .

آخر نصيحة ، اتق الله باجتناب المحرمات تكن من التوابين ،
وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين ، وازهد فيما زاد
عن قدر الضرورة تنجو من الحساب الطويل ، وأقبل على خدمة
مولاك تنل الثواب الجزيل .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما .

كلمة قصيرة - أيها الإخوة الأكارم - لا يجوز أن تقف على
قوله تعالى فويل للمصلين ، أليس كذلك ؟ المعنى فاسد ، كما أنه لا
يجوز أن تقف على قوله تعالى عند قوله تعالى عن الشعراء : " ...
ما لا يفعلون " بل لا بد من تمام الآية الأخيرة :

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

أَيُّ مَنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٧﴾

[الشعراء: ٢٢٧]

إذن الشعر مضمونه بقيمه ، فإذا كان في مدح رسول الله ، مثلا :

انظر لتلك الشجرة ذات الفصون النضرة

كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة

فابحث وقل من أخرج منها الثمرة

ذاك هو الله الذي أنعمه منه

نو حكمة بالفنة وقدرة مقتدره

هذا الشعر ، فالشعر كما قال العلماء : كلام .. حسنه حسن ،
و قبيحه قبيح ربنا عز وجل حينما وصف الشعراء وصف شعراء
الجاهلية وغيرهم الذين تغزلوا فأفحشوا وأذوا واستثنى من بينهم
الشعراء الذين آمنوا وأحسنوا المقالة كحسان بن ثابت الذي وقف
شعره دفاعاً عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم . واقرأ أواخر
سورة الشعراء .

والحمد لله رب العالمين

القُدْرَةُ
بِأَمْرِ

القهار

أيها الإخوة المؤمنون قبل أن أبدأ باسم جديد من أسماء الله الحسنى وهو اسم القهار لابد من وقفة قبلها عند حقيقة ثابتة في الإنسان وهي أن الإنسان آتاه الله قوة إدراكية تتمثل بحواسه وتتمثل بفكره وتتمثل بقلبه ، فالحواس تشعر والفكر يدرك والقلب يعقل ، الحواس الخمس مشتركة بين الإنسان وغيره من المخلوقات ، هناك حيوانات ترى وتسمع وتذكر ببعض الحواس التي وهبها الله إياها المحيط الخارجي ، ولكن الله عز وجل ميز الإنسان وحده بالفكر ، ويسميه بعضهم العقل ، ولا خلاف في ذلك ، هذا خلاف لفظي ، هذا الذي في الجمجمة هو الفكر ، ربنا عز وجل أشار إليه في آيات كثيرة ، قال : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (٣٦ - الإسراء) .

إذا جاء الفؤاد مع السمع والبصر فهو الفكر ، كل أولئك كان عنه مسئولاً ، وأعطى الله الإنسان قلباً يعقل به ، والدليل قوله الله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا تُؤْتَى إِلَّا بِإِذْنِهِ فَجِئَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ لَا يُنْفِكُ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَآيَاتُنَا بَعَثْنَا بِهِيَ الْبَصِيرَةَ

الصدور ﴿٤١﴾

سورة الحج

الآن ما الفرق بين الإحساس والإدراك والعقل؟

الإحساس : أن ترى الضوء بعينك أو أن تسمع الصوت بأذنك أو أن تشم الرائحة بأنفك أو أن تشعر بالحرارة بجلدك .

ولكن قد يضع طفل يده على أفعى يرى لها ملمسا ناعما ، يروق له منظرها يروق له ملمسها الناعم وهي أفعى ، لو كان في سن أكبر وعرف ما الأفعى لكان له موقف آخر ، ولكنه رآها بعينه ولمسها بيده وما أدرك حقيقتها .

إذن هناك فرق بين الإحساس والإدراك ، ... يمكنك أن تقرأ مقالة عن مضار التدخين وتدخن ، الإدراك أحيانا لا يكفي للابتعاد عن الشيء ، لكن في بعض الحالات إذا وصل الإدراك إلى درجة أن يعقل القلب أبعاده، عندئذ تكف عن هذا العمل .

الفرق الدقيق بين العقل وبين الإدراك ، هو أن الشيء إذا كان ضارا وابتعدت عنه معنى ذلك أنك عقلته ، قد تدرك ولا تتخذ موقفاً، أما إذا عقلته لابد من أن تتخذ موقفاً من هذا الشيء ، فدائما ما يكون مع العقل موقف عملي ، ومع الفكر إدراك ، و الإدراك قناعة .

أحيانا تحرك الإنسان شهواته لا قناعاته ، فمعظم الناس يعرفون الحلال والحرام ، فقد قال عليه الصلاة والسلام "الحلال بيّن والحرام بيّن" ، يعرفونه بعقولهم يعرفونه بفطرتهم ويعرفونه بما يلقى عليهم

من مواعظ وخطب ودروس دينية ، فلماذا يفعل الناس الحرام ؟ لأنهم ما عقلوا خطورته .

الحواس : تشعر تحس ، والفكر يدرك والقلب يعقل ، ولكن المعول عليه هو القلب ، حينما تأخذ موقفا عمليا ، معنى ذلك أنك عقلت الحقيقة، والدليل قول الله تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُواكُمْ
فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النُّصْرَةُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبْشَرٌ
مِّمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾

سورة الأنفال

دليل آخر ، قول الله تعالى في سورة القصص :

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ
هَوَاهُ بَغْيِرٍ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٤﴾

فإنسان لا يمكن أن يُسمى عاقلا إلا إذا تُرجمت أفكاره إلى ممارسات ، وإلى سلوك و مواقف ، فالذي ينجي الإنسان يوم القيامة ليس قناعاته ولكن تصرفاته وانضباطه والتزامه واستقامته وفعله وتركه

إذن بالحواس نحس ، بالفكر ندرك ، بالقلب نعقل ، هذه الحواس وذاك الفكر وذاك القلب هي القوة الإدراكية في الإنسان ، ولو أغفلنا

جانب الإنسان الإدراكي لصار بهيمة من البهائم فالإنسان لولا العلم
لكان كالبهيمة تماما .

الحقيقة الثانية التي أتمنى عليكم أن تعقلوها هو أن العلم في
الإسلام ليس هدفا بذاته قال عليه الصلاة والسلام:

" تعلّموا ما شئتم فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم " .

وفي حديث آخر : كل علم وبّال على صاحبه ما لم يعمل به " .

فقد يحصل انحراف في طلب العلم فيصبح العلم هدفا بذاته ، أما
المؤمن دائما يرى أن العلم لذاته غير مطلوب ، ولكن العلم مطلوب
لهدف ، فتتعلم من أجل أن تعمل من أجل أن تطبق، من أجل أن تعرف
عظمة الله فتخشاه كما ينبغي، يقول الله تعالى: " إنما يخشى الله من
عباده العلماء " !!! .

اسم القهار : مر معنا سابقا أن أسماء الله الحسنى لا تتغير في
مستوياتها ، الطبيب أحيانا يكون لديه معلومات محددة فيعالج مريضا
في ضوء معلوماته ، وبعد ما يأخذ شهادة أعلى أصبحت معالجته أدق
في ضوء ما كسبه من علم جديد فكلما ارتقى علمه ارتقى مستوى
معالجته ، إذا انطبق هذا على الإنسان فإن هذا لا يجوز أن ينطبق
على أسماء الله الحسنى فإسماء الله الحسنى لا تفاوتت فيها ،
فكيف يأتي اسم غير مبالغ به كالقاهر؟ لقوله تعالى في سورة
الأنعام :

وَهُوَ الْغَايِبُ فَوَيْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً خَشِينَةً إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ
السَّوْتُ نَوَقْتُهُ رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾

وفي سورة غافر:

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١١٠﴾

وردت قاهر ووردت قهار ، فكيف نوفق بين أن الله عز وجل
أسمائه لا تتفاوت وبين أن يأتي اسم غير مبالغ به واسم مبالغ به ؟
هنا المشكلة .

قلت لكم من قبل أن الإنسان إذا أكل طعاما يسمى أكلا ولا
يسمى أكولا إلا إذا أكل وجبة كبيرة جدا أو إذا أكل مجموعة من
الوجبات المبالغة تكون تارة بالنوع وتارة بالعدد .

فأسماء الله الحسنى إذا وردت بصيغة المبالغة فالمقصود منها

التكرار وليس النوع لأن مستوى أسماء الله الحسنى لا يتبدل ، الإمام
أبو حامد الغزالي قال : "ليس في الإمكان أبدع مما كان" ، هو يقصد :
أنه ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

فالله عز وجل حكيم في خلق النملة وفي خلق المجرة ، حكيم
في خلق أصغر المخلوقات وفي خلق أكبرها ، عليم بكل شيء ،
فأسمائه من حيث المستوى ثابتة لا تتبدل فإذا تبدلت فيكون هذا

بحسب المخلوقات لا بحسب الخالق ، ولكن إذا ورد اسم مبالغ به فيه لمبالغة التكرار .

الإسان أحيانا يحارب عدواً ويقهره ، وقد لا يتمكن أن يقهر عدواً ثانياً أو ثالثاً . أما إذا قال : ربنا الواحد القهار فيعني أن كل المخلوقات مقهورة بالنسبة له .

" لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ؟ " فيجيب الله نيابةً عن خلقه : " لِّلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " ، " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ " ... و قال تعالى في سورة يوسف :

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۖ وَلَنُكِنِّيَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

" والله غالبٌ على أمره " ، هذا مغزى قصة سيدنا يوسف ، هذا المغزى موجز القصة بأكملها !!!

قصة أخرى يتجلى فيها اسم القهار ، سيدنا موسى مع فرعون ، فرعون الذي أراد أن يذبح أبناء بني إسرائيل جميعاً ليمنع حدوث رؤيا قد رآها وهي أن طفلاً من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه ، فالله عز وجل قهره بأن الطفل الذي سيقضي على ملكه هو الذي رباه فرعون في بيته !!! والحقيقة أن كل أفعال الله عز وجل تصدر عن أسمائه أو أن أفعاله كلها فيها أسماؤه كلها وهذا ما يدعو إلى تفسير بعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله

بضمير المفرد وبعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله
بضمير الجمع ، مثل :

" إنا نحن نحى ونميت وإلينا المصير " . سورة ق ، و " إنا
نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا " سورة الإنسان ، و " إني أنا الله لا
إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري " سورة طه

فإذا جاء مفردا فالتعبير عن ذات الله ، وإذا جاء جمعا فالتعبير
عن أن أسماء الله الحسنى جميعها واردة في أفعاله ، و أحيانا ربنا عز
وجل يجمع أسماءه في أسماء موجزة ، كما جاء في سورة الرحمن :

تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

فالجلال صفة تشعر بالعظمة و الإكرام ، صفة تشعر بالعطاء ،
فأنت في حياتك اليومية قد تتعامل مع إنسان تعظمه ولا تحبه ، وقد
تتعامل مع إنسان تحبه ولا تعظمه ، والبطولة أن تجمع بين التعظيم
والمحبة ، فرينا عز وجل بقدر ما هو في جلال ورفعة وعظمة وعلو
شأن وكبرياء وحبروت وقهر وقدرة وغنى بقدر ما هو رحيم لطيف
ودود كريم عفو غفور. هناك أسماء متعلقة بالجلال وهناك أسماء
متعلقة بالإكرام ، وقد وردت هذه الأسماء في آيتين ، قال الله تعالى
في سورة الرحمن :

تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

أحياناً ربنا عز وجل في موضوع الاستقامة يذكر اسمين فقط ،
مثلاً قال الله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ
لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

سورة الطلاق - آية ١٢

اختار من كل أسمائه القدرة والعلم ، لأنك لن تستقيم على أمره
إلا إذا أيقنت أن علمه يطولك وأن قدرته تطولك ، ففي موضوع
الاستقامة أنت بحاجة إلى أن تؤمن باسمي العلم والقدرة ، من أجل أن
تستقيم ويرتفع شأنك ، لا بد من أن تؤمن باسمه ذي الجلال
والإكرام .

ويقول جلّ شأنه : " يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم
شيء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار " ١٦ - غافر
وهذا الاسم ورد بشكل غير مباشر أيضاً، فقال سبحانه:

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۖ وَلَنَكِينٌ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

سورة يوسف

أي أن أمره هو النافذ ... الحديث القدسي :

" عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيعينني
رغيف أسوقه لك كل حين ؟! لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا

خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، إن رضيت بما قسمته لك
أرحت قلبك، و إن لم ترض فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا
تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته
لك ولا أبالي ، وكنت عندي مذموما " .

" أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد
و إذا لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " .
هذا الحديث القدسي يعطي معنى القهار ، ويفيد أن أمر الله هو
النافذ .

هناك أشخاص يقرءون بعض الكتب ، التي تتحدث عن مكر
اليهود في العالم ، يقول لك هذا المخطط يهودي .
اليهود بشر يخططون يمكرون ، و يخدعون ... وهم من أخبث
خلق الله ، ولكن الفعل ليس إليهم ، الفعل فعل الله ، فإذا آمنت بأنهم
فعالون وأن كل ما يجري في العالم من تخطيطهم لقد ألهمهم وأنت لا
تدري ، لكن أحيانا يقع في الأرض شيء مما خططوه ، فالله عز وجل
قد يستخدم نيتهم الخبيثة في تأديب بعض العباد بدليل قوله تعالى:

وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٦﴾

سورة الأنعام

حينما تقول : فلان يفعل ؛ وقعت في الشرك وأنت لا تدري ،
والصواب أن تقول : " والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا
يعلمون " .

القهر في اللغة يعني الغلبة ، قهراً أي غلبته ، وجعلته ضعيفاً
على سبيل الإلجاء ، قال تعالى :

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

سورة الضحى

ودائماً وأبداً هناك أسماء إذا سُمِّيَ الإنسان بها فهي صفة ذم ،
وإذا كانت من أسماء الله فهي اسم من أسماء الله الحسنى .
إذا كان هناك إنسان بحاجة إلى مساعدة وتوجه إلى إنسانين :
الأول غني ، والثاني فقير ، فقال له الفقير : أنا أعطيك أنا أمنحك ،
فهو لا يملك شيئاً ولقد كذب عليه ، وهذا نقص بحقه ، فلو قال له أنا
لا أملك شيئاً أنا فقير ، فهذا أفضل ، فالكمال بحقه أن يكون صادقاً ،
أما الغني لو قال له أنا لا أملك شيئاً أنا فقير وهو يملك وبإمكانه أن
يعينه فقد كذب و هذا نقص في حقه ، فالله سبحانه - وله
المثل الأعلى - إذا لجأ إليه العباد يعطيهم فإنه يعطيهم حاجاتهم ، قال
الله تعالى :

﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا

السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

والقهار على وزن فعال مبالغة من القاهر فيقتضي تكثير القهر
التكثير العددي لأن التكثير النوعي لا يليق بحضرة الله تعالى .

كلكم يعلم أن لله عز وجل أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء
أفعال ، قال العلماء : القهر قدرة على وصف مخصوص ، كما أن
الرحمة إرادة على صفة مخصوصة ، والقاهر هو القادر على منع
غيره أن يفعل بخلاف ما يريد ، يعني صفة لله عز وجل في ذاته ،
قدرة على نحو مخصوص يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون ،
مشيئته هي النافذة ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ، ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والاسم القهار له علاقة وشيجة
بالتوحيد ، الذي كما يقول العلماء : " ما تعلمت العبيد أفضل من
التوحيد "

* فإذا قلنا أن اسم القهار هو قدرة على نحو مخصوص فهو
من أسماء الذات .

* وإذا قلنا هو فعل يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون فهو
من أسماء الأفعال .

القهار ، قال بعض المحققين إنه قهار للعدم ، فالعدم هو ما
سوى الله عز وجل : ما سوى الله كان عدما فأوجده الله فهو ممكن ،
وهذا الشيء الموجود بقدرة الله عز وجل لا يستمر إلا بقدرة الله ،
قال الله تعالى :

• إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٠١﴾

سورة فاطر

السموات والأرض هذا تعبير قرآني عن الكون ، الكون كله
كواكب ونجوم ومجرات ، الكون كله يتحرك وإذا لم يكن يتحرك
لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، والدليل أن هناك قوى التجاذب بين
الكواكب والنجوم والمجرات والمذنبات ، قوى التجاذب تقول إن النجم
الأكبر يجذب الأصغر ، وهذا الجذب يتناسب مع الكتلة ومع مربع
المسافة ، و قوة الجذب هذه لا تُرى بالعين كما لو جنت بمغناطيس
ووضعت مسامرا وحركت المغناطيس يتحرك المسمار ، وقوى
التجاذب هذه أودعها الله في الكون لحكمة بالغة فلو لم يتحرك الكون
لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، يعني الكوكب الأكبر جذب الأصغر ،
فما الذي يمنع ؟ فمثلا أمسك وعاء ماء وأدره دائرية فإنك تستغرب ،
إذا كان في الأعلى وفيه ماء فلماذا لا ينزل الماء فقوة النبذ (الطرد)
تمنعه من النزول ، وكثير من الآلات أساسها القوة الطاردة كتجفيف
التياب في الغسالات ، وآلات عصر الفواكه .. إذن مع الدوران ينشأ
قوة طاردة ، هذه القوى الطاردة تكافئ القوى الجاذبة ، فلولا أن
الكون يتحرك لأصبح كله كتلة واحدة ، والأرض تدور حول الشمس
منذ ملايين السنين فلم تنجذب إلى الشمس قال الله تعالى :

♦ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسَكْتَهُمَا مِنْ
أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

معنى أن تزولا ، يعني يمنعها من أن تنحرف عن مسارها ،
فمن الذي قهر هذه النجوم وجعلها تبقى على مسارها ؟ الله عز
وجل ، فالله عز وجل قهار للعدم ، فهذا الشيء الذي خلقه أصله لا
شيء ، إذن هو أصله العدم ، وينتهي إلى فناء ، فكل شيء يسبقه
العدم وينتهي إلى فناء فهو ممكن ، أما الله سبحانه وتعالى فهو واجب
الوجود ، لا أول له ولا آخر له ، هو الأول بلا بداية والآخر بلا
نهاية .

ربنا سبحانه وتعالى قهار للعدم بمعنى أن هذا الممكن ممكن
بقدره الله وممكن بإمداد الله وممكن بتسيير الله ، وفي أي لحظة
يوقف الله عز وجل عن هذا الممكن تجليه وإمداده بنعدم الممكن، هذا
معنى قوله تعالى

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

سورة البقرة - آية ٢٨٥

يعني قيام كل شيء في الكون بالله عز وجل ، فأول معنى

من معاني القهر أن الله عز وجل قهر الممكن وجعله قائما... جعله مستمرا ... جعله موجودا ، قال الله تعالى :

﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ مِمَّا يَتَّبِعُونَ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

سورة طه

لو ترك وحده لكان معدوما ، فكان جوهر الممكن أنه العدم ولولا قدرة الله القاهرة في الممكن لما كان هذا الممكن موجودا ، يقول له : " كُن " فيكون ، " زَل " فيزول " !!!

فأنت وجودك بالله عز وجل ، والدليل أجهزة الإنسان ، دماغه مثلا مئة وأربعون مليار خلية ، الإدراك الإحساس الذاكرة المحاكمة التصور التخيل الغدد الصماء ، كل هذه الأجهزة أساسها أن الله عز وجل يتجلى عليك ، بينما ينقطع التجلي عن الإنسان عند الموت ..

وازن بين إنسان في أوج نشاطه يتحرك يفكر يحاكم يتصرف يرى يسمع يشم يلمس يأخذ مواقف ينشئ مشاريع ، يترك بصمات في المجتمع وبين جثة هامة ، الفرق بين الحثة الهامة وبين هذا الإنسان الممتلئ نشاطا وحيوية هو التجلي الإلهي للقهار على عبده، الله عز وجل قهر المادة فجعلها تفكر و تسمع و تعقل و ترى و تشم و تبصر و تمشي و تتحرك و تغضب و تفرح وتحزن .

قال بعض المحققين القهار للعدم والوجود لأن الممكن لو ترك

وحده لكان معدوما فكان ماهية الممكن تقتضي العدم إلا أنه سبحانه وتعالى منزّه يقهر هذه الحالة ويبدل العدم إلى وجود .

مثلا الشمس عمرها خمسة آلاف مليون سنة هذا عمر مديد وللشمس طاقة لا تخبو ، هل عندنا على الأرض مصدر طاقة لا يخبو؟! شخص ملاً خزان الوقود بعد مائتي كيلومتر ينتهي ، ملاً مستودع الوقود بمنزله بعد حين ينتهي ، كل شيء ينتهي ، أما هذه الشمس من خمسة آلاف مليون عام لا تنتهي ، هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني ، إن أصغر كوكب في الفلك أضعاف جرم الأرض ثم إن هذه الأفلاك مع ما فيها من كواكب يمسكها الله تعالى بقدرته معلقة في الهواء كما قال تعالى :

♦ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِدْنَةَ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً غَمُورًا ﴿٤١﴾

بعض العلماء يقولون بالحياة أربع مواد أساسية هي الماء والهواء والنار والتراب وهذه كلها متنافرة والله سبحانه وتعالى بقوته القاهرة أَلْفَ بينها ، من معاني قهره أنه ألف بين المتنافرات ، فأنت لا تستطيع أن تجعل البحر يحترق ، والبحر ماء لكن ربنا عز وجل قال : " والبحر المسنجور " ، أسجر النار يعني أشعلها ، كيف ؟ أنت بالماء تطفئ النار لكن هذا الماء هيدروجين وأكسجين ، الهيدروجين من أشد العناصر احتراقا والأكسجين من أشد العناصر مساعدة على

الاحتراق ، حينما تشوي لحما لماذا تعرّضه للهواء؟ أنت تحرك الأوكسجين فوق الفحم لكي يزداد توهجه فالأوكسجين يعين على الاشتعال والهيدروجين يشتعل ، وفي النهاية الماء يطفى النار !!!
فإنه عز وجل بقدرته يجعل من هذا البحر نارا ، فمن معاني قهر الله عز وجل أنه يؤلّف بين الأشياء المتنافرة ، وهذه العناصر الماء والهواء والنار والتراب كلها متنافرة ومع ذلك تأتلف في المخلوقات .

شيء آخر ، إن الروح جوهر لطيف ، روحاني نوراني والبدن جوهر كثيف مظلم و بينهما منافرة عجيبة ومع ذلك أسكن الله الروح في هذا الجسد بقهره .

مثلا إن كان لديك معدن تريد لصقه يقال لك إن هذا المعدن لا يلتحم بلحام ألمنيوم يحتاج إلى لحام خاص ، فهل يلتحم الألمنيوم بلحام حديد ؟ طبعا لا لأنهما متنافران ، فالله عز وجل جعل الروح نورانية خفيفة سماوية وجعل الجسم مشدود للأرض ومع ذلك ألّف بينهما في هذا الإنسان ، فالإنسان جسد ونفس ... أحيانا تتلأأ نفسه يبدو هذا على وجهه ، و أحيانا تُظلم نفسه ، ويبدو هذا أيضا على وجهه . فالإنسان كائن فيه عنصر سماوي وعنصر أرضي لكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه ، قال الله تعالى : " ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقلتم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! "

فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" ٣٨- التوبة

و الآية تعني : اتجهتم نحو الأرض اتجهتم نحو الشهوات نحو
الدنيا .

من معاني القهار أن الله تعالى يُذلُّ الجبابرة و الأكاسرة تارة
بالأمراض ، فترى ملكا من كبار الملوك عقيما و هو يحب زوجته ،
فهو يدفع ألوف الملايين على أن تنجب فلا تنجب .

ملك ثان يصاب بمرض ، و لا يشفى منه مهما بذل الغالي
و الرخيص ... فمن معاني القهار أن الله قهر العباد كلهم بالموت ،
لا نبي و لا رسول و لا قوي و لا غني و لا صحيح و لا مريض
و لا فقير و لا رفيع و لا وضع و لا ملك و لا وزير ، إلا و يموت .
يقول الله تعالى : " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ " (٣٠- الزمر) و حتى ملك
الموت يأتي دوره يقال له : " مُتْ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ " فيذوق طعم
الموت ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول " سبحان الله إن للموت
أسكرات " .

الله تعالى يذل الجبابرة و الأكاسرة تارة بالأمراض وتارة
بالنكبات وتارة بالموت ، قصة النمرود مع سيدنا إبراهيم مشهورة ،
لما أراد أن يذل النمرود ، أرسل الله له أضعف مخلوق من مخلوقاته
وهي البعوضة فدخلت من أنفه إلى جيوبه و بدأت تتحرش به فكان
يرجو كل داخل عليه أن يضربه على رأسه ، فبالضرب يسكن ألمه

قليلا ، فالإنسان ضعيف .

إن العقول مقهورة عن الوصول إلى كنه صمديته و الأَبصار مقهورة عن الإحاطة بأنوار عزته ، فإياك أن تقول أنا أدرك الله لأن من معاني الإدراك الإحاطة ، فإذا أمسكت شيئاً صغيراً تعرف طولَه وعرضه ووزنه ، بينما عقلك يصل إلى الله لكنك لا تستطيع أن تحيط به لأن الله عز وجل لا يعرفه إلا الله ، قال الله تعالى :

وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

سورة الإسراء

"ولا يُحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" سورة البقرة

بالقدر الذي يشاء ، فعقل الإنسان مقهور عن إدراك كنه صمديته فالإنسان العاقل لا يطمع أن يجيب عن كل سؤال متعلق بالله عز وجل فليس معناه أنه جاهل .

سأل إنسان عن البحر فقال هذا البحر كم لتر ؟ فنظر إليه شخص و قال : هذا أمر بسيط ثمانية و ستون مليون و سبعمائة وستة وستون لتر ، هذا يكون جاهلاً ما دام أعطى رقماً ، ولكن إذا قلت لا أدري تكون عالماً ، لأنه ليس لديك حجوم و لا مقاييس لأعماق البحار كلمة لا أدري هي العلم وكلمة أدري هي الجهل ، لذلك قالوا عين العلم بالله هو عين الجهل به وعين الجهل به عين العلم به ، فكلما قلت أدري وكل سؤال له عندي جواب وأنا أعلم كل شيء

فهذا دليل قطعي على أنك لا تعلم ، خاصة فيما يتعلق بذات الله عز وجل .

ربنا قهار فهناك حوادث لا تعلم كنهها ، لذلك قل: " سبحان الله لا أدري ما حكمتها" ، وبلد يقع فيها زلزال قتل فيه تسعون ألفا ، هناك حكمة ولكن لا أعرفها فعقلي قاصر عن إدراك الحكمة ، ليس من المفروض أنه كلما وقع أمامي مشكلة أن أعطي التفسير البسيط ، قد يكون التفسير البسيط ساذجا ، فإذا قلت أنهم أصيبوا بسبب معاصيهم ، فهذا كلام إلى حد ما مقبول ولكن أحيانا المؤمن يُبتلى فالمؤمن له معاملة خاصة، له ابتلاء يرفعه درجات ، فالأكمل أن لا تدّعي أنك تعرف كل شيء ، فمثلا مرض الإيدز إن قلت أنه بسبب انحراف السلوك الأخلاقي أو عقاب عاجل للعصاة للفجار ممكن ، لكن هناك أشياء صعب تفسيرها ، فمثلا : لماذا هذا الشعب فقير ؟ لعلى الله عز وجل اقتضت حكمته ذلك .

المعنى السابع و الشامل ، إن جميع الخلق مقهورون في مشيئته ، فمثلا - والله المثل الأعلى - عندك مائة جهاز في البيت كهربائيات ، وعندك مفتاح الكهرباء الأساسي فإذا أغلقته فسوف تقف كل الأجهزة ، الثلاجة و الغسالة ، و غيرها ... فالقوى المُحرّكة بيد الله عز وجل ، لا يستطيع إنسان أن يتحرك إلا بمشيئة الله ، إذن هو القهار .

و بشكل عام : لا ترى شيئا سواه إلا مقهورا له تحت أعلام عزته ذليلا في ميادين صمديته .

هناك معاني أخرى للقهار ، بعض العلماء يقول : " القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين " ، والله المثل الأعلى تكون فتاة جميلة جدا والخاطب غارق إلى قمة رأسه في حبها ، فتتحكم فيه لجمالها صاحب القوة كقوة المال ، يتحكم في الضعاف ، لذلك ، قال الله تعالى :

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾

سورة البقرة

إن كل القوى مصدرها من الله عز وجل ، فإذا أقيمت على الله تسعد أضعاف ما يسعد من أحبوا أناسا من بني جنسهم!! إذا أقيمت على الله تغنى أضعاف ما يحس به الأغنياء في الدنيا !! إذا أقيمت على الله تشعر بقوة أضعاف ما يشعر بها الموالون للأقوياء !! لهذا قيل :

" إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ،

و إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله أوثق منك

بما في يدك ،

و إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله . "

القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على طاعته ،
العباد لما أقبلوا على الله وصلوا وسعدوا فحبسوا أنفسهم على
طاعته ، فالله قهرهم بجماله قهرهم بكماله قهرهم بتجليه ، فالمحب لم
يعد يريد من الدنيا شيئا

فما مقصودهم جنات عدن و لا الحور الحسان و لا الخيام

سوى نظر الحبيب فذا مناهم و هذا مطلب القوم الكرام

شاب تعرف على فتاة في دمشق فخاف أهله أن يقع في شباكها
فأرسلوه إلى بلد أجنبي بعيد جدا ليدرّس في الجامعة وأعطوه
مصاريف الجامعة وكان مبلغا كبيرا ، أنفق كل هذا المبلغ على
مخابرات هاتفية ليتصل بها ، فهي قهرته بجمالها .

فلو عرفت الله عز وجل -ولله المثل الأعلى- لقهرك جماله
ولقهرك كماله ، القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على
طاعته .

فما حظ المؤمن من اسم القهار ؟

إذا عرف المؤمن القهار فمعتى ذلك أنه عرف حجم عبوديته ، ،
كلمة سأفعل كذا وكذا وسأعطي وسأمنع ، هذا كله يبتعد عنه المؤمن
لأنه يتنافى مع اسم الله القهار . ولكن يمكن أن يكون المؤمن قهارا
بمعنى خاص ، أن يقهر شهوته وأن يقهر متعلقات شهوته ، لأن

شهوته هي أعدى أعدائه ، فإذا قهر ميله وشهوته وهواد معنى ذلك
أنه انتصر على ذاته ، وهذا معنى قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُدٍ لِلْيُسْرَىٰ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيَرُهُدٍ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

سورة الليل

فكل إنسان ينساق مع شهواته وميوله وأهوائه ، يتكلم كلاما لا
يرضى الله عز وجل ، يغتاب الناس ، يأخذ ما ليس له ، وأي حركة
يتحركها الإنسان دون منهج الله عز وجل معنى ذلك أنه ينساق مع
شهواته مع رغباته إذن ما طبق في نفسه اسم البقار .

إذن إن استطعت أن تقهر شهوتك التي هي أعدى أعدائك فقد
حققت في نفسك هذا الاسم العظيم ، بهذا الاسم تعرف ربك وبهذا
الاسم تتخذ السبيل الى طاعته ومحبته ومرضاته .

والحمد لله رب العالمين

السلامة
السلامة

الكريم

أيها الإخوة الأكارم : الاسم اليوم اسم " الكريم " ، و هذا الاسم أيها الإخوة له دلالات كبيرة ، و يمكن للإنسان أن يتخلق بهذا الاسم لأنه من الأسماء التي يمكن أن يتخلق بها الإنسان ، فكما تعلمون أن أسماء الله عز وجل ، منها ما هو خاص بالله عز وجل الخالق ، القديم ، ومنها أسماء أمرنا أن نتخلق بها . واسم الله " الكريم " من الأسماء الإلهية التي أمرنا أن نتخلق بها ، واسم الكريم ثابت بنص القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّهُ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

سورة الانفطار

وهذه الآية تخاطب القلب والعقل معا. وقد ورد هذا الاسم ورد

بصيغة اسم التفضيل في آية أخرى بقوله تعالى :

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سورة العلق

قبل أن نصل إلى ما تعنيه كلمة كريم في حق الله جل وعلا نريد
أن نبدأ الحديث بما تعنيه كلمة كريم في التعامل اليومي ، كلمة كريم
نستخدمها كثيرا ، فقال العلماء : " كل صفة محمودة تسمى كرما على
خلاف ما يظنه معظم الناس " ، فلان كريم يعني يعطي ، كثير
العطاء .

و معنى كلمة كريم : الخلم كرم ، السخاء كرم ، اللطف كرم ،
الصبر كرم ، المروءة كرم .. الكرم أية صفة حميدة يتصف بها
الإتسان ، بل إن الصفات الحميدة كلها تلخص بكلمة واحدة هي
الكرم ، وإن الصفات الخسيسة كلها تلخص بكلمة واحدة هي
اللؤم .

قيل : الذُّلُّ : أن يقف الكريم بباب اللئيم ، فالخسيس لئيم
والمتكبر لئيم ، والجحود لئيم ، والذي يحب ذاته على حساب الآخرين
لئيم ، والبخيل لئيم ، كل الصفات الخسيسة تجمعها كلمة لئيم ، وكل
الصفات المحمودة تجمعها كلمة كريم ، فالناس رجلان ؛ برُّ كريم
و فاجر لئيم هكذا قال عليه الصلاة والسلام ؛ فليس معنى كريم الذي
يعطي ، الحلیم كريم اللطيف كريم ، الرحيم كريم ، الصافي كريم ،
الودود كريم ، المنصف كريم ، ومنه : حَجَر كريم ، مثل : اللؤلؤ ،
الألماس الياقوت المرجان فالياقوت حجر لكنه كريم ، والماس حجور
لكنه كريم يقول الشاعر :

محمدٌ بشرٌ وليس كالبشر بل هو ياقوتة والناس كالحجر

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ومن معاني الكريم : من كان كريم النسب ، فسيدنا يوسف ،
هو الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم ، " يوسف أكرم
الناس " كما قال عليه الصلاة والسلام .

أو نقول : فلان كريم الطرفين ، يعني أمه كريمة و أبوه كريم ،
فقد حاز الشرف من طرفين ، من طرف أمه و أبيه .

من معاني الكريم : من كان ذا صورة حسنة ، والدليل قول الله
عز وجل حينما وصف سيدنا يوسف

فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة يوسف

فالكرم يستعمل بمعنى النسب الشريف ، ولا يتحدث عن شرف
النسب إلا بعد معرفة الله وتطبيق منهجه ، فإذا تحدثنا عن النسب
فقط ؛ فأبو لهب ، تعرفون من أبو لهب :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٧﴾

سورة المسد

أنا جد كل تقي ولو كان عبدا حبشيا .

لا نتحدث عن النسب إلا بعد الإيمان ، إذا أضيف النسب إلى
الإيمان نور على نور ، أما كما قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي

المقام الكريم ؛ هو الجنة ، لا تعب هناك ولا نصب ولا خوف ولا
حزن ولا حسد ولا تباغض ، ولا شيء يزعج ، مقام كريم في
الجنة .

من معاني الكريم : الشيء العزيز ، الذي تشد الحاجة إليه
يحتاجه كل شيء في كل شيء ، ويقل وجوده ولا يستغنى عنه
إطلاقا ، والدليل قوله تعالى :

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

سورة الحجرات

والكريم الشيء الذي تكثر منافعه ، قال تعالى :

قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

سورة النمل

كتاب كريم ؛ كله منافع ، كله فوائد ، كله حقائق ، كله توجيهات صائبة ، كله خيرات ، كله بركات ، اذن معنى القرآن الكريم ؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الكريم ليس فيه باطل ولا غلط ، ليس فيه خلل ولا تناقض ، ليس فيه مخالفة للواقع ، ولا ضعف ، ليس فيه معالجة سريعة ، ولا معالجة متناقضة ، قرآن كريم ، خلا من كل شائبة ، يعني المعنى الذي يجمع كل هذه المعاني ، الكرم ، يعني الكمال ، قرآن كريم : أي خلا من كل عيب .

نقول ناقة كريمة ، أي غزيرة اللبن ، درها كثير ، والنبي عليه الصلاة والسلام - كما روى ابن عباس - حينما أرسل سيدنا معاذاً الى اليمن ، قال له :

" إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم

أموالهم و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب
أخرجه البخاري

كرائم أموالهم : يعني عنده بقرة يحرص عليها حرصا شديدا
دعها له خذ بقرة أخرى يختارها لك هو ، لا كما يفعل بعض الناس ،
حين يأخذون ما يعجبهم ، إذا فرضنا عليهم شيئا نأخذ ما يعجبنا
وندع ما لا يعجبنا ، أما السنّة المطهرة، فهي كما قال له : " إياك
وكرائم أموالهم " .

و سمي العنب كرما لأنها فاكهة كثيرة الخير ، ظل ظليل ،
و ثمار يانعة وقطوف دانية ، وغذاء جيد وفاكهة محبة .

أحيانا ينصب الناس خياما على مداخل البيوت هذه الخيام من
حين لآخر تتمزق ، تعصف بها الرياح ، تتلفها الأمطار ، ولكن أناسا
يزرعون الكرم على مداخل البيوت ، فهذا الكرم ظل ظليل وفاكهة
دانية ويانعة ومفيدة وإلى ما شاكل ذلك .

و إذا قلنا مكارم الأخلاق ، يعني أفضلها و أحسنها و أرفعها
و أسماها .. فهناك مكارم الأخلاق ، و الكرم و هو العنب ، و هناك
ناقة كريمة كثيرة در اللبن ، و هناك الكتاب الكريم ، كثير الفوائد ،
و هناك الأحجار الكريمة الصافية من كل شائبة ، و هناك العزيز ،
الشيء النادر، و هناك مقام كريم ، و هناك الجمال الصوري .

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَاتَتْهُنَّ
وَجْرَةً مِنْ فِضَّةٍ وَسِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَى لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦١﴾

سورة يوسف

فإذا قلت : قرآن كريم يعني كتاب الله ، الله سبحانه وتعالى كماله
مطلق وكلامه في كماله مطلق ، وفضل كلام الله على كلام خلقه
كفضل الله على خلقه . وقال بعض الشعراء :

وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان القدوم على الكريم

الآن اذا وصفنا الله سبحانه وتعالى كما وصف هو نفسه بأنه

كريم :

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦١﴾

سورة الانفطار

كلمة ما غرك ، ما الغرور ؟ .. الغرور أن ترى علبة في الأرض
تظنها شيئاً ثميناً تنكب عليها تلتقطها فإذا هي علبة فارغة ظننت فيها
قطعة ماس أو ظننت فيها قطعة ذهب ، أو ساعة ثمينة انكببت
عليها ، فإذا هي علبة فارغة ، هذه الحادثة اسمها الغرور ، أنت
اغتررت بها ، هذا المعنى هل يمكن أن ينسحب على هذه الآية ؟ لا ،
فالمعنى الذي يليق بهذه الآية هو أنك إذا ظننت أن هذا القاضي
يقبض الرشوة ، فإذا أعطيته مالا حكم لك وأنت ظالم ، تكون قد

اغتررت بنزاهة هذا القاضي . فإذا قد ي ايها الإنسان ما غرد
بربك الكريم " ، يعني ظننت بربك غير الحق ، ظننته غير عادل
ظننته غير رحيم ، ظننته غير قدير ، إذن نفيت عنه القدرة والرحمة
و العدل والإنصاف ، وأنه لا ينسى عباده المؤمنين ، وأنه لن يضع
الذين أفنوا حياتهم في طاعته في النار ، ولن يكافئ الذين ناصبوه
العداء بالجنة ، إذا ظننت بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فقد اغتررت
بربك الكريم ، لأن الله كريم كيف تغتر به .

التعريف الدقيق لاسم الكريم ، هو الواجب الوجود المنزه عن كل
عدم وعن كل نقص ، العزيز الذي لا إله غيره .

هذا الكلام يلخص بكلمات ثلاث ، وجوده ووحدانيته وكماله ، الله
كريم يعني موجود وواحد وكامل .

الآن التعاريف الدقيقة لهذا الاسم العظيم :

الكريم : هو الذي يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ، تفضل علينا
وأوجدنا دون أن يكون لنا حق في أن نوجد ، ليس لنا حق عنده
تفضل علينا و أوجدنا ، فنعمة الإيجاد ابتدأها الله دون استحقاق منا ،
أنت كإنسان عندك موظف ، وأخلص إخلاصاً شديداً ، وقدم جهداً طيباً
ربما تكافئه ، فهذه المكافأة ، جاءت منك ليس ابتداءً ولكن عقب
إحسانه وإخلاصه ، مقابل شيء فعله ، أما الكريم الحقيقي ، الكريم
المطلق هو الذي يبتدئ بالنعمة دون استحقاق ، حيث أنه أوجدنا

وأنعم علينا من دون اختيار ، و دون طلب فهو يتبرع بالإحسان من غير سؤال ، فإذا قلت يا كريم العفو .. ما هو العفو الكريم ؟ .. قد يعفو عنك شخص ، من حين لآخر يقول لك لا تنس أنك فعلت كذا ، يريحك أسبوع ، أنت فعلت كذا تقول : نعم .. جزاك الله خيرا عفوت عني ، من حين لآخر يذكرك بمسألتك ، لكنك إذا قلت يا رب ، يا كريم العفو ، فعفو الله عز وجل ليس معناه أن يلغي العقاب وليس معناه أن ينسى الناس ذنبك ، ولكن عفو الله معناه ، أن ينسى أنت ذنبك ، وهذا معنى دقيق جدا ، يعني أنت صاحب الذنب من كمال عفوه عنك أن ينسى ذنبك . " إذا تاب العبد توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وملأته ، وبقاع الأرض كلها خطايا وذنوبه ، و أنساه هو نفسه " فالمؤمن - من كرم الله عز وجل - له جاهلية ، و قد ينسى أن له جاهلية ، فيعيش في جو لطيف ، الله عز وجل يكرمه ، هذا معنى كريم العفو .

و من معاني الكريم أنه يستر الذنوب و يخفي العيوب ، إنسان قد يلقي من إنسان آلاف الأعمال الطيبة ، فإذا عثر على نقص ، تشبث به و أظهره و أذاعه بين الناس ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " اللهم إني أعوذ بك من جار سوء ، إن رأى خيرا كتمه ، و إن رأى شرا أذاعه اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء ، إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر " .

لكن الكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب . حتى قال بعض
العارفين ، والله لو عرفوا قبيح طويتي لأبى السلام علي من يلقياني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي .

فربنا عز وجل يُظهر من عبده الكرم الجميل ويستتر القبيح ،
فإذا قلت يا ستار ، ستار العيوب ، يجب أن يقشع جلدك ، لأن الله
سبحانه و تعالى إذا ستر .. ستر ، أما الإنسان لا بد من أن يذكر هذا
العيب ، يهمسه بأذن إنسان آخر يقول : انتبه هذا الرجل فيه
من العيوب كذا .. ما ستره ، لكن جميل الستر هو الله سبحانه
وتعالى .

الكريم هو المتغافل ، أي الذي يتغافل، فهو لا يفغل ولكنه يتغافل،
واللثيم يدقق العيوب ، و يتبع العيوب .. قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً غَمًّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ
تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

سورة إبراهيم

النبي الكريم مع أصحابه ، كانوا في وليمة وتناولوا طعام
الجزور توضعوا وصلوا الظهر جميعا ، يبدو أن أحد أصحاب رسول
الله انتفض وضوؤه من دون قصد ، وعرف بعضهم ذلك ، فلما أذن
العصر قال عليه الصلاة والسلام : " كل من أكل لحم جزور فليتوضأ ،

قَالُوا : كَلْنَا اَكْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : اذْنُ كُلِّكُمْ فَتَوَضَّؤُوا . لِأَنَّهُ
كَرِيمٌ ، تَغَافَلُ عَنْهُ فَاللَّئِيمُ يَتَّبِعُ ، يَحْمَرُّ الْوَجْهَ ، يُحْرَجُ ، يَفْضَحُ
فَضَاحًا ، طَعَانَ ، لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَانَ وَلَا فَاحِشًا ، وَلَا لَعَانَ .

الكَرِيمُ يَتَغَافَلُ وَاللَّئِيمُ يَتَّبِعُ ، وَ الْكَرِيمُ ؛ إِذَا اسْتَغْفَرَهُ عِبَادُهُ غَفَرَ
لَهُمْ وَلَا يَذْكُرُهُمْ بِأَنْوَاعِ مَعَاصِيهِمْ وَ قَبَائِحِهِمْ وَ فَضَائِحِهِمْ .

مَرَّةً وَقَفَّتْ بِمَنْطِقَةِ مَشْرِفَةِ عَلَى دِمَشْقٍ ، بِهَا بَيْتٌ ، يَسْكُنُهَا
فَوْقَ الْخَمْسَةِ مَلَائِينَ مِنَ الْبَشَرِ ، تَلَوْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى :

وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

هَذِهِ الْبَيْتُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ مَا فِيهَا مِنْ طَاعَاتٍ أَوْ مِنْ مَعَاصِي
وَمَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ
الْقُدْسِيِّ : " عَبْدِي لِي عَلَيْكَ فَرِيضَةٌ وَلَكَ عَلَيَّ رِزْقٌ ، فَإِذَا خَالَفْتَنِي فِي
فَرِيضَتِي لَمْ أَخَالَفْكَ فِي رِزْقِكَ " . وَ الْكَرِيمُ إِذَا آتَاهُ عِبَادُهُ بِالطَّاعَاتِ
الْيَسِيرَةِ قَابَلَهُمْ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ .

إِنْسَانٌ يَطْعَمُ لُقْمَةً ، هَذِهِ اللَّقْمَةُ تَصْبِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَجَبَلٍ أَحَدٍ ، لَا
أَعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا يَوْجَدُ نِظَامٌ تَدْفَعُ لَهُ لَيْرَةٌ وَتَأْخُذُ مِنْهُ خَمْسَةٌ
آلَافٍ مَلْيُونِ لَيْرَةٍ ؟ بِالْآخِرَةِ تَأْخُذُ أَكْثَرَ ، أُعْطِيَتْ شَيْئًا يَسِيرًا ، أُعْطِيَتْ

بعض الطاعات أنفقت بعض مالك ، ضبطت شهواتك ، التزمت طريق الحق ، فأعطاك الجنة وما فيها قال تعالى :

• وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

سورة آل عمران

الكريم جعل هذا العبد الحقير ، هذا العبد الضعيف هذا العبد الذليل يرتفع !!! رفعه فقال :

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾

سورة البقرة

فهل لنا عهد .. هل نحن ند إلى ند !!! لا ، ولكن هذا من كرم الله عز وجل خاطبنا ، حينما خاطبنا علل أو امره ، وتعليل الأوامر إكرام لنا قال تعالى :

أَتْلُمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

سورة العنكبوت

الإنسان القوي يعطي أمرا لإنسان ضعيف دون تعليل افعل كذا فقط ، ولكن الله عز وجل حينما أمرنا أعطانا التعليل ، قال تعالى :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

سورة البقرة

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾

سورة التوبة

فلذلك جعلنا أهلاً لمعاهدته فقال : " وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم
وإياي فارهبوني " .

كريم ، والكريم جعلنا أهلاً لمحبهه ، قال تعالى :

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

سورة المائدة من الآية ٥٤

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

الكريم أعطانا الدنيا كلها ، والدليل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

سورة البقرة

الهواء ، هل له ثمن عندكم ؟ .. إنه نعمة بلا ثمن ، تستنشق
الهواء في أي مكان ، والماء ، و هذا الذي تدفعه ثمن الطعام ، هذا
شيء رمزي ، من منكم بصدق أنه يدفع ثمن التفاح ، هذا ثمن خدمة
(زراعة وحصاد ونقل وتخزين وتقديم) التفاح ، أما هو فليس له
ثمن ، هذا الفلاح الذي اعتنى بهذا البستان وسقاه وسمده وقطف

الفواكه و أنزلها إلى السوق ، أعطيته ثمن كيلو التفاح ، أما التفاح نفسه ، فلا يقدر بثمن ، لأنه من الله عز وجل .

و الآخرة أيضا ملكها لعباده المؤمنين و سخر الله سبحانه و تعالى ما في السماوات و الأرض جميعا منه ، تسخير تكريم و تسخير تعريف .

الكريم هو الذي يعطي من غير منة ، من الصعب أن ترى إنسلنا يعطيك بلا منة ، يقول لك " لحمك من خيري ، أنا تفضلت عليك ، أنا أنقذتك من العدم ، أنت كنت لا شيء " . لكن العطاء من الله سبحانه و تعالى من غير منة .

كما أنه لا يحوجك إلى وسيلة ، أحيانا لا تعطي الشخص حتى تهلكه ، تقول له : قدم طلب ، هات ما يثبت هويتك ، تعال بعد جمعة ، تعال بعد يومين ، سنجري تحقيق ، يكره العطاء لشدة التحقيقات و شدة التأجيلات و التأخيرات و التعقيدات و الوثائق ، أما الكريم لا يحوجك إلى وسيلة . و الكريم لا يقنط العصاة من توبة ، قال تعالى :

● قُلْ يَدْعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْتَظِرُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

سورة الزمر

الكريم ؛ إذا أعطى أجزل ، و إذا عصي أجمل لأنه حلیم .

الكريم ؛ هو الذي لا تتخطاه الآمال .. أحيانا إنسان يأتي إليك يعرض عليك حاجته يتذلل ، يبذل ماء وجهه ، فترده ... عندها ، ينزعك من قائمته ، ينزعك من مخيلته ، لأنك خيبت أمله ، أما إنسان يسأل الله عز وجل ويخيبه؟ لا هذا مستحيل ، فهو لا تتخطاه الآمال .. إذا أولى فضلا أجزله ثم ستره ، يعني الكريم إذا أعارك بذلته ، يقولك : ارتديها لا شيء عليك ، ثم يفضحك أمام الناس . كثيرا تلاحظ ذلك على شخص أعطى حاجة إلى إنسان .

و الكريم دائم المعروف كثير النوال ، ذو الطول والإنعام يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، هذه كلها أوصاف قرآنية .

و إن الله حيٌّ كريم ، ومن حيائه وكرمه أنه يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما خائبتين .

يقول الله في الحديث القدسي : " يا ابن آدم كبرت سنك وانحنى ظهرك ، وضعف بصرك ، وشاب شعرك فاستح مني فأننا نستحي منك " !!!

و في الحديث القدسي أيضاً : " ما أنصفتني عبي ، أستحي أن أعذبه و لا يستحي أن يعصيني " .

" و ما قال عبد قط يا رب ثلاثا إلا قال الله : لبيك يا عبي " .

بل إن الكريم يغضب على من لا يسأله ، قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله عز اسمه كريم يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها " .

سفاسف الأمور يعني إذا رآك سخيفا ، تافها ، بخيل ، وأناني ، ومحور حياتك مصالحك ، هذه سفاسف الأمور ، و إذا اطلع على قلبك فرآه قلبا يهتم لعامة المسلمين فهذا من مكارم الأخلاق ، فالله عز وجل لا ينظر الى صوركم ، هذا طويل هذا قصير ، هذا عيونه كبيرة ، هذا عيونه صغيرة هذا ناتي الوجنتين ، هذا غائر العينين ، هذا حواجبه متصلة منفصلة خده أسيل ،

عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله لا ينظر الى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم " صحيح مسلم . و القلب محل نظر الرب .

قال : الكريم الذي لا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، بل إن الكريم من إذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى .

أحيانا تذهب إلى إنسان تقول له : إياك أن تسأل أحدا غيري ، هذه أعلى درجة في الكرم ، أنا أغضب لو سألت غيري .

تصور إنسانا والأمر كله بيد الله عز وجل ، يقف أمام إنسان ضعيف حقير ، لنيم يتذلل له ، يبذل ماء وجهه أمامه ، ثم يرده ،

والله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين ، فلذلك الكريم من إذا رفعت
حاجة إلى غيره لا يرضى .

الكريم من إذا جفي عاتب وما استقصى ، وعدك أحدهم أن
يزورك ، لم يأت ، عاتبته ، قال لك ابنتي كانت مريضة ، اتصلت
بجاره صحيح كانت ابنته مريضة ، هذا اسمه استقصاء ، ولكن الله
عز وجل يستحي منك، ويلتمس لك العذر، فمن عدم الكرم أن
تستقصى الأمر .

لو إنسان اعتذر منك قال : جاءني أخي - متصلا من ذنبه -
فلتقبل منه محققا كان أو مبطلا ، فالكريم ؛ من إذا جفي عاتب ولم
يستقصى .

حديث أسره النبي إلى بعض أزواجه ، فلما نبات به وأظهره الله
عليه عرف (قال) بعضه وأعرض عن بعض ، لن تكون كريما إلا
إذا كان أمامك عشرة أخطاء، ففضضت البصر عن تسعة وحاسبت
على العاشر ، لأن كثرة العتاب تورث البغضاء ، فالكريم عرف بعضه
وأعرض عن بعض .

الكريم ؛ لا يضيع من لاذ به ، ولا يضيع من التجأ إليه ، هذه
تعريف دقيقة جدا ، الملخص : يجب أن تعتمد على الله وحده ، وأن
تلتجئ إليه ، و أن تعلق عليه كل الآمال ، وأن تقطع آمالك من البشر

جميعا ، إذا كنت ترغب أن تسعد في الدنيا والآخرة ، فحيثما تعلقت
بالبشر ، واعتمدت عليهم وعقدت عليهم الآمال خيبوك .

رجل له صديق تولى منصبا رفيعا ، لزمه حاجة ، فذهب إليه
أقسم بالله أنه وقف أمام مكتبه ، ولم يقل له تفضل استرح ، وعندما
سأله ما تريد قال : كذا ، قال ما في موافقة !!! لكن الكريم يغنيك عن
الوسائل والشفعاء فصنع المعروف ، أن تكرم إنسانا دون تعقيد ،
دون أن تمن عليه ، دون أن تضعه أمام عقبات تعجيزية . والكريم
من إذا هجرته وصلك .

أحيانا الإنسان العادي يكون فقيرا مثلا ، أموره غير مريحة ،
تنفر نفسه من الدين ، تراه يتزك الصلاة ، لكن الله عز وجل لا
يدعه ، أحيانا يكرمه ، فيحل مشكلته ، يريه مناما طيبا ، العبد هجر
لكن الله عز وجل وصل .

الكريم من إذا هجرته وصلك ، إذا مرضت عادك ، إذا وفيت من
سفر زارك ، إذا افتقرت أحسن إليك ، فمن أدق معاني الكرم ،
أن الكريم من بنى البشر إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه لأنه لم
يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله هذه الحاجة !!! هذا والله معنى
دقيق .

أحيانا يكون لك أخ وهذا الأخ له كرامته ، وله مكانته ، له
عزته و لكنه افتقر ، بينما حالتك المادية جيدة ، وأخوك يفضل أن

ينسحق سحقاً ولا يسألك وإذا سألك ، إعلم علم اليقين أنك إذا أحوجته إلى أن يسألك فقد أسأت إليه .. دققوا في هذا الكلام ، إذا كنت كريماً فعلاً تتقصى شؤون إخوانك أقربائك ، أخواتك دون أن تحوجهم إلى أن يسألك فالكريم من إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه لأنه لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله .

الآن حظ العبد من هذا الاسم ، قال : قد يتصف العبد بأنه كريم ، هذا العبد الكريم ألح عليه بطلبك ، زره واجلس عنده ثلاث ساعات ، النتيجة هي أنه يتأفف يتضايق ، يسكت ، أو يقول لك عندي موعد ، ألح عليه بالطلب مرات عديدة يضجر منك ، قد ينهرك ، قد يقسو عليك ، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان كريماً كرماً مطلقاً ، لا بد من أن يكون كريماً كرماً نسبياً ، لكن الكريم كرماً مطلقاً هو الله وحده ، إن الله يحب الملحّين في الدعاء أحضر لي إنساناً واحداً يحب من يلح عليه أما الله عز وجل " إن الله يحب الملحّين في الدعاء " ، و يقول : من لا يدعني أغضب عليه ، الإنسان كي يكون كريماً يجب أن يتجاوز عن ذنوب المسيئين ، ويجب أن يوصل النفع إلى جميع الخلق ، أحياناً ترى بلداً متقدماً المواطن في هذا البلد يحيا أرقى حياة ، له حقوق كثيرة جداً ، الطعام الشراب المسكن ، أنواع الأطعمة ، الحريات ، لكن هذا البلد المتقدم الذي يوفر لهؤلاء الناس حياة رفيعة المستوى ، هو ينهش بلحوم بقية الشعوب ، إذن هؤلاء ليسوا كرماء

هؤلاء أنانيون ، لكنهم بنوا أمجادهم وحضارتهم ورفاهية شعبهم
وغنى أبنائهم وتوافر الحاجات عندهم على نهب ثروات الآخرين ،
وعلى قهر الآخرين ، وعلى سرقة ثرواتهم ، هؤلاء ليسوا كرماء ،
لن تكون كريما إلا إذا عم نفعك كل الناس وكل الخلق حتى
الحيوانات .

في المداجن إذا وجدوا إنتاج الكتاكيت أكثر مما هم بحاجة إليه
يضعونه في محارق... هكذا أوروبا ، هكذا التعليمات .

هل يفعل هذا مسلم ؟ كتكوت يسبح الله عز وجل تحرقه؟ ماذا
عمل ؟ اجعله ينمو واذبحه وكله ، واستفد منه ولك أجر بهذا
العمل ، أما أن تحرقه بنار الدنيا هذا الكرم ؟

لن تكون كريما إلا إذا عم خيرك الناس جميعا و أنا أقول لكم
والله إذا أسأت إلى مجوسي ، أو إلى عابد صنم أو إلى ملحد ، والله
هذه الإساءة إثمها أضعاف مضاعفة عن إساءتك لمسلم ، لأن هذا
عرف الدين من إساءتك ، أبعدته عن الدين من إساءتك .

فالكريم من بني البشر صفوح عن الذنوب، ستار للعيوب تارك

للانتقام مسبغ للإيعام .

سمعت حادثة إنسان كان على وشك أن يلقي كيس القمامة في
الحاوية فرأى كيسا فيه حركة ، دهش ، أخذ الكيس المتحرك ففتحه

فإذا فيه طفل قد وُلد حديثًا ، يبدو انه ألقى خلال نصف ساعة . اخذه إلى البيت ، وأسرع به إلى المستشفى ، و وضعه في الحاضنة ، واعتنى به ، إلى أن أصبح هذا الجنين طفلًا ، أدخله المدرسة ، حتى أنهى الابتدائية ، ثم الإعدادي ثم الثانوي ، سمعت أنه اعتنى به عناية كبيرة ، القصة إلى هنا انتهت ، لو أن هذا الإنسان تابع العناية ، حتى جعله طبيبًا ، جاء ، اشترى له عيادة ، زوجته ابنته ، أعطاه رأس مال ، هذا الإنسان الذي أنعم عليك كل هذا الإتمام ، ما موقفك منه ؟

وبعد ان أصبح طبيبًا وهو راكب سيارة ، شاهد عمه الذي التقطه من الحاوية ، قال له يا بني أوصلي إلى البيت ، تردد خمس ثوان ، قال له إلى البيت ؟ قال : نعم قال : تفضل . هذا التردد إجرام بحق هذا العم . كان في الحاوية كان سيموت ، صنع منه طبيبًا ، فهذا إنسان فكيف خالق الأكوان ؟ من أنت ؟ .. عندك في البيت كتاب قديم مطبوع سنة الثلاثين مثلًا وأنت ولدت في التاسع و الثلاثين في الأربعين في الستين ، ابحث عن كتاب تاريخه قبل ولادتك ، قل عندما صفوا الحروف أين كنت أنا ؟ .. عندما ألفه المؤلف أين كنت ؟ وقت باعوه أين كنت ؟ وقت نشره أين كنت ؟

هذه القصة ذكرتني بموقف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحه ،
لما رأى صاحبيه قد استشهدا وهو على وشك موت سريع جدا
قال :

أقسمتُ عليك يا نفسُ لتَنزِلينَّ مالي أراكِ تَكرهين الجنةَ؟

يا نفسُ إلا تُقتلي تموتي هذا حِمام الموت قد صليت

إن تفعلني فِ عليهما فقد رضيت وإن توليتِ فقد شقيتِ

أروي القصة إن صحت قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أخذ
الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل ، وإني لأرى مقامه في
الجنة ، ثم أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى
مقامه في الجنة ، ثم سكت النبي ، فقالوا ما فعل عبد الله قال: ثم
أخذها عبد الله وقاتل بها حتى قتل ، وإني لأرى في مقامه ازورارا
عن صاحبيه ، يعني هبط مكانه درجة في الجنة لأنه تردد ..

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

سورة الإنسان

فلذلك حق الله كبير . حينما قال ربنا في حق المنافقين : " ولا
تصلُّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون " سورة التوبة حينما اقترَب أجل
النبي أسراً الى سيدنا حذيفة سرا أعطاه سبعة عشر اسماً قال له

هؤلاء ، إذا ماتوا بعدي لا تصلوا عليهم ، لأن الله نهانا عن أن
نصلي عليهم ، كما جاء في الآية

فسيدنا حذيفة أمين سر رسول الله ، فمات سيدنا الصديق ،
وجاء سيدنا عمر ، سيدنا عمر عملاق الإسلام ، الخليفة الراشد ،
ثاني خليفة ، جاء إلى حذيفة قال له : يا حذيفة أنشدك الله هل رأيت
اسمي بينهم .. والله ما قالها تمثيلا لا والله ، والله قالها صادقا ،
لِعَظَمِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاكْمَلِ عَمْرٍ : " لعلي مقصر ، لعلي منافق ، لو
تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها ، جاءه من أذربيجان
رسول ، كره أن يطرق بابه ليلا ، جاء للمسجد رأى رجلا يصلي
ويبكي ، ويقول : " يا رب هل قبلت توبتي حتى أهني نفسي أم
رددتها حتى أعزيتها " قال له : من أنت ؟ قال أنا عمر ، قال : ألا تنام
الليل ؟ ، قال له : " يا أخي إن نمت ليلى كله أضعفت نفسي أمام
ربي ، وإن نمت نهاري أضعفت رعيتي " أخذه إلى البيت قال : يا أم
كلثوم ، ماذا عندك من طعام لضيفنا قالت له والله ما عندنا إلا خبز
وملح ، قال هاته لنا ، وخيرته أحب أن تأكل مع فقراء المسلمين
(الفقراء يأكلون اللحم) ، أم تحب أن تأكل عندي ؟ قال : لا والله
عندك يا سيدي ، أنت خليفة ، عنده خبز وملح فقط قال له ما الذي
جاء بك إلينا ؟ قال جئتكم بهذه الهدية من أذربيجان ، علبة فيها
حلوى ، لكنها درجة أولى ، قال : أو يأكل عندهم عامة المسلمين هذا

الطعام ، قال لا هذا طعام الخاصة الطبقة الراقية . الغنية ، فأرسل كتابا إلى عامله على أذربيجان عنفه فيه وقال له كل مما يأكل عامة المسلمين وقال أعط هذه الهدية لفقراء المسلمين في المدينة ، و حرام على بطن عمر أن يذوق طعاما لا يطعمه فقراء المسلمين .

رأى إبلا سمينة في الطريق ، قال لمن هذه الإبل ، قالوا هي لابنك عبد الله ، قال : ائتوني به ، قال له : لمن هذه ؟ بقسوة ، قال : هذه إبلي اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فماذا فعلت ؟ اشتريتها بمالي و أسمنها لأبيعتها و أرتزق بها " ، قال له : ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ؟ اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ؟ وهكذا تسمن إبنك يا ابن أمير المؤمنين لأنك أنت ابني س مننت هذه الإبل ، ثم قال له : بع هذه الإبل وخذ رأس مالك ورد الباقي لبيت مال المسلمين .

وكان ذات مرة جالسا مع أصحابه ، قال أحدهم : والله ما رأينا خيرا منك بعد رسول الله (والله كلام لطيف كان عليه أن يقول : بارك الله فيك) ولكنه أحد إليهم النظر ، حتى كاد يأكلهم بنظراته ، إلى أن قال أحدهم : لا والله لقد رأينا من هو خير منك قال : من هو ، قال : أبو بكر ، فقال رضي الله عنه كذبتم جميعا وصدق .. عد سكوتهم كذبا ، قال : والله كنت أضل من بعيري وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك . وذات مرة سأل أحد عماله (ولاته) ، قال

ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ، قال أقطع يده ، قال له : إذن من جاعني من رعيته من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك ، إن الله قد استخلفنا على خلقه لنسد جوعتهم ونستر عوراتهم ونوفر لهم حرفتهم ، إن وفيناهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملا التمسست في المعصية أعمالا ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية .

هذا هو عمر بن الخطاب الخليفة الذي قال لسيدنا حذيفة : أنشدك الله هل رأيت اسمي بين أسمائهم ، قال : لا والله أنت أكرمنا وأنت أرحمنا ، و أنت كذا .. خجل سيدنا حذيفة ، فهذا الكرم .

هذا الاسم الإلهي العظيم ، أمرنا النبي عليه الصلاة و السلام أن نتخلق به ، بأخلاق الله ، أن تصل من قطعك ، و أن تغفر لمن ظلمك ، و أن تعطي من حرمك ، وأن يكون صمتك فكرا ونطقك ذكرا و نظرك عبرة .

الآن مع قصتين أو أكثر ، قال سيدنا موسى حينما ناجى ربه ، قال يا رب : إنه لتعرض إليّ الحاجة أحياتا فاستحي أن أسألك ، أفأسأل غيرك ؟ فأوحى الله إليه أن يا موسى لا تسأل غيري ، وسألني حتى ملح عجيبك وعلف شاتك .

ربنا عز وجل يحب الملحين ، لم لا تسألوه في السجود في صلاة السحر ؟ لم لا تسألوه عن حاجاتكم كلها ؟!!!

حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جاءه إنسان ليلة يسأله حاجة ، فقال يا غلام ارفع السراج ، ولما رفع السراج : قال سئني حاجتك ، لماذا فعل هذا ، قال : لئلا أرى في وجهه ذل السؤال ، حتى لا يخرج ، حتى لا يخجل ، لا يعرف من هو ... هذا من كرم سيدنا علي .

أحد العلماء ، كان لا يناول الفقير شيئا بيده ، يضعه على الطاولة يقول له خذ هذه لئلا تكون يده عليا ويد الفقير سفلى !!!

يحكى عن أبان بن عياش " أبان أحد الصحابة أما عياش ليس صحابيا " ، يحكى عن أبان بن عياش ، أنه قال خرجت يوما من عند أنس ابن مالك في البصرة ، فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ، ولم يكن معهم رجل آخر ، قلت سبحان الله ، سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد فلاكونن خامسهم (إذا رأى رجل جنازة ومشى فيها فلا مانع وإن كان لا يعرف الميت ، فهو ثواب له وعبرة) ، فاتبعت الجنازة ، فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى ، قالوا لي : تقدم قلت : أنتم أولى ، قالوا كلنا سواء لا نعرفه ، حتى دفنوه ، وصليت عليه ، وقلت لهم ما القصة ، قالوا اسأل هذه المرأة ، فهناك امرأة واقفة بعيدا ، قال : فلما سألتها ، قالت : هذا ابني كان مذنبا ، و قال لي يا أماه إذا مت فلا تخبري بوفاتي جيرانتي لئلا يشمتوا بي ، و اكتبني على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله

واجعليه في كفني ففعل الله تعالى يرحمني ، وضعت رجلك على خدي
وقولي هذا جزاء من عصي الله ، فإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله
تعالى وقولي إني راضية عنه ... تقول هذه المرأة فما رفعت يدي
إلى السماء حتى سمعت صوته بلسان فصيح يقول : انصرفي يا أماء
فقد قدمت على رب كريم .. هذا سر القصة .

فإذا كان الإنسان يخاف الله عز وجل ويستحي منه ، فهذه
فضيلة ، أما الأكل ، للإنسان أن يكون بالرخاء تائباً منيباً مستقيماً
وباب رحمة الله واسع .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتغمدنا برحمته ، وأن يلهمنا أن
نكون كرماء لأنه كريم ، والكريم بالمعنى الموجز : ما كان خالياً من
كل شائبة فكتاب كريم ومقام كريم ورب كريم وإنسان كريم ومؤمن
كريم . أي أن الكذب والنميمة والغيبة وتتبع العورات هذه كلها تقدر
بكرم الإنسان ...

والحمد لله رب العالمين

الانوار
عبدالمجيد

النور

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم ، هو النور ، والنور من أسماء الله الحسنى التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة .

في اللغة النور هو الضوء أياً كان ، لا نحسب أن ندخل في تفسير النور العلمي ، سواء إشعاع ، تفاعل في بنية الذرة ، موجات تخرج من الذرة إلى الفضاء ، وكيف أن الجسم إذا سار بسرعة الضوء أصبحت كتلته صفرًا وحجمه لا نهائياً هذه موضوعات في الفيزياء لها مجال آخر .

على كل في اللغة النور هو الضياء والسناء الذي يعين على الإبصار، أنتم موجودون ولكم أعين ولكن هذه الأعين لا قيمة لها من دون هذا الضوء الذي يُعد وسيطاً بينكم وبين المرئيات ، كي يعين على الإبصار .

النور نوعان : دنيوي وأخروي ، و الدنيوي نوعان :

١- معقول بعين البصيرة

٢- محسوس بعين البصر.

١- المعقول بعين البصيرة : أحيانا تكون الفكرة الواضحة ،
الأسلوب الذي تعلّمه الإنسان في حل المشكلات ، يُعد نورا مجازيا ،
أحيانا يعاني إنسان مشكلة في آلة ، وعنده خبرة ، فيجعل هذا الشيء
مكان هذا الشيء ويصل هذا الشيء بهذا الشيء فتعمل هذه الآلة ،
هذه الخبرة التي يملكها ، أو هذا الأسلوب الجاهز في حل هذه
المشكلة يمكن أن نسميه نورا .

وأحيانا يواجه الإنسان مشكلة لا يستطيع أن يفعل شيئا كأنه في
ظلام ثم تلمع في ذهنه فكرة تحل هذه المشكلة - فالفكر استنباط
واستدلال - فإذا شبهناها بالنور التشبيه صحيح فالنور معقول بعين
البصيرة و محسوس بعين البصر ، من هنا قالوا : " العلم نور " !!!

العلم يحرسك وأنت تحرس المال

والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق .

العقل نور، و القرآن الكريم نور، أريد أن أوضح مثلاً : قارورة
تحتوي مادة كيميائية أنت لا تعرف هذه المادة ، يا ترى مادة تلتهب أم
تتفجر ! سامة ! مادة مؤذية ! نافعة ! مخدرة ! مسرطنة ! مادة في
قارورة ، إذا لُصق على هذه القارورة لصاقة مكتوب عليها : كلوريد
الصدىوم هذه الكلمة كأنها نور كأن شيئا لا تراه سلطت عليه ضوءا
فعرفته كذلك هذه اللصاقة نور ، فالنور مادة محسوس ، وفي نفس
الوقت معنوي معقول .

٣- النور المحسوس بعين البصر: هو المحسوس كنور القمر

وضوء الشمس ، النور المعقول ورد في قوله تعالى :

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ



سورة المائدة

قد جاءكم من الله نور " الإنسان خلق في الأرض لماذا خلق ؟
ماذا ينبغي أن يفعل ؟ يأكل ويشرب وينام وانتهى الأمر؟ أم عليه
مهمة لا يعرفها ؟ متى يموت ؟ لماذا يموت ؟ لماذا يعيش ؟ يحسن
يسيء يصدق يكذب يؤتمن يخون ماذا يفعل ؟ يأتيه كتاب من الله
يقول له أنت خلقت الجنة عرضها السماوات والأرض أنت خلقت في
الدنيا من أجل عمل صالح تبقى به في الجنة ، أنت لا يسعدك إلا أن
تتصل بالله عز وجل ، و لا تسلم إلا إذا أطعت الله ، لا تسعد إلا بقرب
الله ، الله الذي خلق السماوات والأرض هو إله عظيم ، رب كريم ،
سميع بصير ، عليم قوي ، مجيب ، هذا القرآن عرفك بالله ، عرفك
بالكون ، عرفك بحقيقة الحياة ، عرفك بحقيقة الإنسان ، قال لك :
افعل و لا تفعل ، بين لك الحلال و الحرام ، الخير و الشر ، الحق
و الباطل ، ما ينبغي و ما لا ينبغي .

إن نور المؤمن له راحة لا يعرفها غيره إطلاقاً ، فكل الأمور
عنده واضحة ، يعرف أن لهذا الكون خالقا ويعرف لهذا الكون مربيا
ولهذا الكون مسيرا ، وأن الله موجود وواحد وكامل وأن أسماءه كلها
حسنى ، وأن صفاته كلها فضلى ، وأن الله عز وجل سميع قريب ،
مجيب رحيم ، ودود . الدنيا مزرعة الآخرة ، الإنسان يسعد بطاعة
الله ويشقى بمعصية الله هذا الكتاب الذي بين أيدينا (القرآن) يقدم لنا
راحة لا تُعد ولا تُحصى ولا تُوصف ، هي راحة التوازن ، أحيانا
الإنسان يجد شيئا غامضا ، ويبقى في قلق منه فإذا اتضح انتهى
الأمر ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ



سورة المائدة

هذا الكتاب هو النور ، أحيانا تشتري آلة معها تعليمات تقول:
إضغط على المفتاح كذا ثم الثاني ثم الثالث تظهر على الشاشة هذه
الكلية ، افعل كذا افعل كذا كأنك تمشي على طريق واضح مستقيم
كذلك القرآن الكريم فهو نور ، ومن النور المحسوس ذاك النور
المعقول وهو القرآن الكريم ، أما النور المحسوس فورد في قوله
تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُمْ مَتَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ
الْيَمِينِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

سورة يونس

و الإنسان قد يقف عند الشمس قليلا ، يقدر علماء الفلك أن
عمر الشمس لا يقل عن خمسة آلاف مليون عام وأنها لن تنطفئ قبل
خمسة آلاف مليون عام وأنها تصدر من الطاقة الحرارية والضوئية
ما لا سبيل إلى وصفها ، فبيننا وبين الشمس مئة وست وخمسون
مليون كيلو مترا ، ومع ذلك لا تستطيع أن تقف أمام أشعة الشمس
طويلاً ، فكيف أشعتها هناك ؟ لسان اللهب لا يقل عن مليون كيلو
متر ، الحرارة ستة آلاف درجة على سطحها ، بينما في مركزها
عشرون مليون درجة !!!

كنت أقول لكم دائما إن في برج العقرب نجما أحمر اللون اسمه
قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما

من أبداع أصل النور ؟ الله عز وجل ، إن النور تفاعل يجري في
مادة في بنيتها النووية ، هذا التفاعل ينتج موجات ، فينتشر ... هذا
النور ، هل له وزن ؟ لا ليس له وزن ، فحجمه لا نهائي وكتلته
صفر ، بل إن بعض علماء الفيزياء يقولون إن أي جسم لو سار
بسرعة الضوء - الضوء سرعته ثلاثة ألف كيلو متر بالثانية - أي

جسم لو أتينا بكتلة حديد استطعنا أن نقذفها بسرعة الضوء تصبح نورا ، وتصبح كتلتها صفر وحجمها لا نهائي !!! إن موضوع النور يحتاج لجلسات علمية خاصة .

على كلِ فالنور المحسوس مثل ضوء الشمس والقمر والقرآن الذي فيه تعليمات الصانع نور معقول ، التعليمات النظرية نور ، و البيان نور ، و الدليل نور ، و التفصيل نور ، و التوجيهات نور .

الإمام الغزالي رحمه الله يقول في تعريفه للنور في حق الله تعالى بأنه ظاهر : النور شيء ظاهر ، أحيانا ضوء ضئيل جداً يكون في الظلام الدامس ظاهراً جداً ، فالنور هو الشيء الظاهر أما أي شيء ليس له إشعاع فليس ظاهراً ، أحيانا يقود الإنسان سيارته بالليل يصدر ضوءاً بعيداً ، يرى نقاط مضيئة فالنور هو الشيء الظاهر ، يقول الإمام الغزالي " الله عز و جل هو الظاهر الذي به كل ظهور ، فهو ظاهر مُظهر " لعل النور الخفيض جداً يكون ظاهراً ... لكنه ليس مُظهر ، أحيانا قطعة فحم متأججة واضحة لكن هذه القطعة المتأججة لا تُنير غرفة !! أما مصباح كهربائي فينير غرفة .

فالإمام الغزالي يقول : " النور هو الشيء الظاهر الذي به كل ظهور ، فالنور هو الشيء الظاهر في نفسه المُظهر لغيره " ، مصباح تسلطه على مكان ترى السجاد و الكرسي و القلم و الورقة

و المحبرة ... إلخ بهذا المصباح يظهر غيره ، ثم يقول هذا الإمام :
" لذلك العدم ظلام والحادث نور ، أي : الشيء الموجود نور
والمعدوم ظلام ، هذا معنى أعمق .

من لوازم الشيء الموجود أنه ظاهر منير بينما من لوازم
الشيء المعدوم أنه مختفي ، قال مهما قوبل الوجود بالعدم كان
الظهور علامة الوجود والخفاء علامة العدم ، قال : ولا ظلام أظلم
من العدم فالمُظهِر لكل الأشياء من ظلمة العدم إلى نور الوجود يسمى
نوراً ، وهو الله عز وجل وهو معنى قوله تعالى :

• اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

سورة النور

" الله نور السماوات " ظاهر بذاته مُظهِر لغيره ، مُنَزَّه عن
العدم بل عن إمكان العدم ، ومُظهِر غيره من ظلمة العدم إلى ظلمة
الوجود ، إن الذات الظاهرة المُظهِرة هي النور وهي الله عز وجل ،
إذن هو نور السماوات والأرض .

الإمام ابن عباس رحمه الله تعالى يقول : " النور هو الهادي
الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء فيبين له الحق ويلهمه
اتباعه " .

هناك أشياء عويصة جدا ، فنجد مخترعا يعمل ذهنه سنوات
طويلة وفجأة تلمع أمامه فكرة جديدة ، هذه الفكرة التي لمعت أمامه
في رأي أهل الدين من إلهام الله عز وجل لأن الله نور قذف في قلبه
وذهنه هذه الحقيقة فالتمعت فسُمي عند الناس مكتشفا أو مخترعا ،
وفي الحقيقة أن هذه الومضة فضل من الله عز وجل !!

حدثني صديق عما يسمى بزرع الأسنان ، فالجسم كما تعلمون
يرفض الأجسام الغريبة . فهذا الصديق وضع ذات مرة ملقط من معدن
معين على قطعة عظم ونسيه في المخبر ، بعد حين التأم هذا العظم
حول المعدن فانتبه هذا العالم إلى أن هذا المعدن يمكن أن يدخل في
فك الإنسان ويلتئم النسيج العظمي حوله... هذه بارقة !! فلقد أمكن
الآن زراعة الأسنان بأن نضع وتدا ضمن الفك نبنى عليه سنا!!
يقولون أن الاختراع أو الإبداع قفزة في المجهول ، لمعة في
الذهن ... إلهام من الله عز وجل والدليل كما قال الله عز وجل :

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٦﴾

سورة يس

وما علّ مناه الشعر وما ينبغي له " نفى الله عز وجل عن نبيه
الشعر بمعنى أن الذين يُبدعون الشعر يلهمون من الله عز وجل !!
فالقُرآن مُنزل عليه صلى الله عليه وسلم وليس إلهاماً !! ... معنى
ذلك أن كل اختراع وكل اكتشاف هو في الحقيقة إلقاء من الله عز
وجل في ذهن هذا العالم كبراقة أو ومضة إلا أن هذا الإلقاء يحتاج
إلى ثمن ، الثمن هو الصدق في البحث ، لذلك قال بعض العلماء :
العبقرية تسعة وتسعون ، منها العرق وبذل الجهد .. و واحد بالمئة
إلهام !!! فثمن هذه البارقة ثمن هذه الومضة ثمن هذه الفكرة الرائعة
ثمن هذا الاكتشاف هو البحث الدعوب ، فالبحث الدعوب هو ثمن هذا
الاختراع . لذلك هذا ينتهي بنا إلى معنى آخر ، هو معنى الصدق .

فالله عز وجل لا يتعامل مع الناس بتمنياتهم ولكن يتعامل
بصدقهم وإخلاصهم .

قال بعض العلماء : " النور هو الهادي " لو أن إنساناً أضاع
إبرة في الليل ولا يوجد ضوء فلن يراها في الليل أما في النهار
فسوف يراها لأنه اهتدى بنور الشمس ، فإذا اهتديت إلى حقيقة
الإنسان وإلى سر وجوده وإلى غاية وجوده من الذي هداك ؟ هو
الله ، إذن الله نور لأنه هو الهادي ؛ فلا يعلم العباد إلا ما علّمهم الله
عز وجل ولا يدركون إلا ما يسّر الله لهم إدراكه فالحواس والعقل

فطرته وخلقه وعطيته . النور هو الظاهر الذي ظهر به كل ظهور
فإن الظاهر في ذاته المظهر لغيره يسمى نورا وهو الله عز وجل .

قال بعض العارفين : " النور هو الذي نورّ المعالم فأوجدتها من
العدم " - فنقل الشيء من العدم إلى الوجود نور كل شيء له
خصائص : كل نبات ، كل حيوان ، كل جماد ، المعادن لها
خصائص ، الله عز وجل الذي أبدعها من عدم وأظهرها إلى حيز
الوجود وأعطاهما خصائصها :

قَالَ قَمَنَ رَبُّكُمَا

يَبْمُوتَنِي ﴿١٧﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿١٨﴾

سورة طه

الذهب مثلا لا يتأثر بكل العوامل المحيطة به لا بماء ولا بملوحة
ولا برطوبة ولا يتأكسد ولا يتأثر ، أنا قرأت مقالة عن سفينة غرقت
قبل مئة وعشرين عاما ، وعليها خمسة أطنان من الذهب استطاعوا
أن يصلوا إليها الآن وأن يستخرجوا هذه السبائك ، وصلت هذه
السبائك - صدقوني أيها الإخوة - كأنها صببت الآن !!! مئة
وعشرون سنة في قاع البحر والذهب هو لم يتأثر، الله عز وجل
أعطى الذهب خصائص، أعطى الألماس خصائص ، أعطى الفضة
خصائص ، أعطى الرصاص خصائص ، أعطى الحديد خصائص :
الحديد لا يصهر إلا في ألف وخمسمائة درجة ، بينما الرصاص

يُصهر في مائة درجة على موقد عادي ينصهر معدن الرصاص فكل معدن ظهر وخصص نقل من العدم إلى الوجود فأعطي خصائصه والنور هو الذي نور الموجود الظاهر بالشمس والكواكب .

العوام يقولون والحق معهم : هذه جلسة فيها نور فيها سرور فيها تجلي ، أحياناً تجد إنساناً موصولاً بالله عز وجل تشعر بأنس معه ، وبسرور كأنه ينعشك ، هذا نور الله عز وجل ، فالله عز وجل خلق نوراً محسوساً هو نور الشمس والقمر وفي الليل عندنا إضاءة اصطناعية لكن الله إذا تجلى على قلب الإنسان تألق هذا القلب !!!!! والدليل كما جاء في سورة الأنفال :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾

و قوله تعالى :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾

سورة الحديد

فإذا طلبت مني أن أضغط الدين كله في كلمة ، أقول لك :
" المؤمن معه نور بينما الكافر أعمى " و الدليل قول الله عز وجل :

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَيَأْتِيهِمْ يَظُنُّونَ رَبَّيَا أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٨﴾

سورة التحريم

بينما الكافرون في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم
يكد يراها ، و الدليل :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾

سورة طه

يقال له : لقد كنت أعمى في الدنيا ... إنها لا تعمى الأبصار
و لكن تعمى القلوب التي في الصدور ، لذلك قال تعالى :

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

سورة التوبة

الذي شعره أصحاب رسول الله من رسول الله شيء لا يوصف
كانوا إذا جلسوا معه ارتاحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وكأنهم في
جنة !!! .

و الله سبحانه و تعالى نور إن اتصلت به أخذت من نوره المعنوي و شعرت براحة ، و أصبحت لك رؤية صحيحة ، الأمر كله أن هناك إنسانا يرى رؤية صحيحة و إنسانا أعمى ... فالأعمى في متاهة و الذي يرى رؤية صحيحة يتحرك على هدى من ربه .

و قيل : النور هو الذي حسن الأبصار بالتصوير فأعطاك شكلا جميلا والأسرار بالتنوير ، و قيل هو الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته و أحيا نفوس العابدين بنور عبادته ، و قيل هو الذي يهدي القلوب إلى إثمار الحق و اصطفائه و يهدي الأسرار إلى مناجاته و اجتنابه قال الله تعالى :

• اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَوْكَبٍ مِثْلُ نُورِ شَجَرَةٍ أَلْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

سورة النور

المشكاة : كوة في الجدار ، فيها مصباح ، المشكاة هي الصبر و المصباح هو القلب لا قلب الجسد بل قلب النفس :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الضُّدُورِ ﴿٤١﴾

سورة الحج

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينور قلوبنا بنوره ، فالمؤمن
رؤيته واضحة تماما مرتاح من أي مشكلة يحسن التصرف ، يملك
زمام الأمر ، ينظر بنور ساطع يكشف دقائق الأمور و ملابسات
الحوادث ، يقف الموقف السليم ، ينطق الكلمة المناسبة ، يفعل الفعل
المناسب ، يرتاح ويريح الآخرين ، بينما إذا كان الإنسان في عمى
أساء التصرف ، أساء الكلام ، أساء الحركة أساء الموقف ، يتخبط
خبطة عشواء ... هذا كله واضح .

قال بعض العارفين : " النور معناه الظاهر في نفسه بوجوده
الذي لا يقبل العدم المظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور
الوجود ، وجوده سبحانه وتعالى نور فائض على الأشياء كلها وهو
الذي مد جميع المخلوقات بالأنوار الحسية والمعنوية ، فعينك تحتاج
إلى نور حسي وقلبك يحتاج إلى نور الوحي .

أيها الإخوة : الآن دخلنا في موضوع أنا أعده من أخطر
الموضوعات : أنت لك عين ترى بها الأشياء ولك عقل تدرك به
الحقائق ، فإذا قلت لك أن المعادن تتمدد بالحرارة فأنت ترى ميزان
الزئبق ضع يدك عليه الخط يرتفع ترى بعينك أن هذا المعدن الرجراج

الزئبقي يتمدد بالحرارة لكن تقول : رأيت العلم نافعا لكن هل ترى العلم ؟ إن العلم لا يرى بالعين لكن ترى إنسانا متعلما متزنا يحسن التصرف حكيما سعيد في بيته يحسن معاملة زوجته ، يحسن كسب المال ، يحسن معاملة الناس ، مورده حلال ، صادقا أميناً محبوباً معززاً مبجلاً ، لأنه متعلم ، لأنه حصل علماً دينياً ، لأنه عرف الله عز وجل فهو في سعادة ، فهذا قد نفعه علمه بالدين، فرأيت أثر ذلك عليه ... فهذه رؤية قلبية إذن هناك رؤية حسية و رؤية معنوية ، الرؤية الحسية أساسها ضوء الشمس أو القمر أو الكهرباء ، و الرؤية العقلية المعنوية أساسها نور الله عز وجل ... يقول الشاعر

شَكَوتُ إلى وكيعٍ سوءِ حِفْظِي فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وأنبأني بأن العلم نور ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

إذن أنت بحاجة لنور الشمس كي تستطيع عينك أن ترى الأشياء وأنت بحاجة لنور الله ليعرف عقلك حقائق الأشياء... ماذا نستنبط من هذا ؟ أن الإنسان مهما كان ذكياً ، و مهما كان عبقرياً ، و مهما كان ألعياً ، ان لم يستنير بنور الله فهو في عمى ، لذلك تجد بعض الناس وهم في أعلى درجات الذكاء يرتكبون حماقات لا تُوصف .

و الإمام القشيري يرى أن الله تعالى سمي نفسه نورا لأن منه
النور ، هو منور الآفاق بالنجوم والأسوار ومنور الأبدان بأثار
العبادات ومنور القلوب بالدلائل والحجج .

سبحان الله إذا الإنسان اتصل بالله تجدد على وجهه نورا
وقد يكون ملونا لكن يوجد نور في وجهه ، فالنور الذي على
وجه الإنسان - سيماهم في وجوههم من أثر السجود - بعضهم
يفهم أن في جبهته أثر . لا ، ثم لا - كان النبي عليه الصلاة
والسلام له وجه كالشمس ، و يصف بعض الصحابة الكرام أن
الحوار العين لو أطلت على أهل الأرض لغلب نور وجهها
ضوء الشمس والقمر هنا يوجد معنى ثالث و هي أن العبادة
تُكسب الوجه نورا لذلك قال عز وجل :

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّضِرَّةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾

سورة القيامة

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٢٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ

عَلَيْهَا غَمْرَةٌ ﴿٣٠﴾ تَرَاهُنَّا قَتَرَةٌ ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ ﴿٣٢﴾

سورة عبس

إذن العبادات تنير الوجه !!!

قالوا : الطاعة هي زينة النفوس والأشباح ، والمعارف زينة
القلوب والأرواح ، والله عز وجل يزيد قلب المؤمن نورا على نور
يؤيده بنور البرهان ثم يؤيده بنور العرفان قال تعالى :

نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ

الْأَمْثَلِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

سورة النور

أحيانا يوجد برهان بياني أما بعد ذلك فهناك عرفان إشراقي ،
أنت ممكن أن تعرف أن هذه المادة كلور الصديوم من لصاقه لكن
يوجد من يعرف هذه المادة من دون لصاقه ، هذه أرقى ! هناك إنسان
علمه أعمق يعرف كل خصائصها وكل مؤداها ، هناك نور إشراقي
ونور بياني وقال بعضهم : الله جل جلاله يهدي القلوب بنوره إلى
محاسن الأخلاق ليؤثر العبد الحق ويدع الباطل .

يقول الإمام ابن عباس رضي الله عنه : الله هادي أهل الأرض
والسماوات . مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي
يضئ قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء
فيزداد نورا على نور ، في سورة التوبة قال تعالى :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ

كُرِهُوا الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾

إذا أراد انسان أن يقاوم الحق كأنه أراد أن يطفىء نور الله عز وجل ، وفي سورة الزمر قال تعالى :

أَقْمِنِ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

و في السورة نفسها :

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءتْ السَّيِّئَاتُ
وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾

و في سورة الصف :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

أيها الإخوة الإنسان يطلب العلم ليكون قلبه منيرا ، كان عليه الصلاة والسلام - كما روى الترمذي - يقول في دعائه : " اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي اللهم أعظم لي نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا رواه الترمذي .

إن إقبالك على الله ، واتصالك به ، ودعاؤك له ، وطاعتك له ،
تكسبك هذا النور وهذا النور من أئمن عطاءات الله عز وجل ،
فإنسان منور يرى الحقيقة لأن قلبه منير ، الآن سمعه منور فإذا
استمع إلى كلام عنده ميزان يقول لك هذا الكلام غلط وهذا صواب ،
بصره منور إذا نظر إلى الجبل يرى عظمة الله عز وجل بينما الكافر
ينظر إلى أعلى جبل يرى مناسبة جميلة جدا كي يتزحلق على الثلج
فهو لا يتعامل مع الأشياء إلا بالنفع ، أما المؤمن فيتعامل معها
بالمعرفة فنجد في نظره عبرة ، إذا استمع قيم تقييما صحيحا ، ما
كل شيء يسمعه يقبله ، إذا تحرك فإلى الخير ، في يده نور إذا أعطى
يعطي بالعدل ، في رجليه نور إذا مشى مشى إلى طاعة الله عز وجل
فمعنى النور أن يهديك إلى ما يرضي الله وثانيا : عندك ميزان فالنور
ميزان وهدى .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه
وسلم .

والحمد لله رب العالمين

اللَّهُمَّ

الهادي

أيها الإخوة المؤمنون ، إن الله سبحانه وتعالى ، خلق ثم هدى .
كما شققنا الطريق ، ثم وضعنا الشاخصات ، صنعنا الآلة وأصدرنا
كتيب التعليمات ، والله المثل الأعلى ؛ الله سبحانه وتعالى خلق الكون
ثم نورّه .

و كلمة الهادي مأخوذة من فعل هَدَى ، والهادي اسم فاعل ، ما
معنى هدى ؟ الحقيقة ربنا عز وجل يقول :

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

سورة يونس

يعني خلقك ليسعدك ، لا سعادة تنقطع عند الموت ، ليسعدك إلى
الأبد ، وما الحياة الدنيا إلا إعداد لهذه الحياة الأبدية ، و الصراط
الذي أشارت إليه الآية الكريمة هو الطريق ، فالله عز وجل أعطى
الإنسان حرية الاختيار ؛ فمن شاء الهدى ، هداه إلى صراط يؤدي
إلى دار السلام ، فأنت خلقت لدار السلام ، و دار السلام هي الجنة ،
خلقت لدار السلام وأنت مخير ، فإذا اخترت دار السلام هداك الله إلى
الصراط المستقيم الذي يوصلك إلى دار السلام ، آية دقيقة جدا ، لا
تظنوا كما يظن بعض الناس أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس

ليعذبهم، لا تظنوا أن هذه المصائب عشوائية ؛ هذه المصائب مقررة
من قبل الله عز وجل لإلحاح العباد إلى بابه قال تعالى :

ما معنى الهداية ؟ الهداية هي الإمالة ، و هداة أي أمالته ، أي
وجهه نحو الحق ، فالهداية في اللغة معناها الإمالة ، وتسمى الهدية
هدية لأن من شأنها أن تميل قلب المهدي إليه .

يقول الإمام الجنيد قال تعالى : " إهدنا الصراط المستقيم " ؛
يعني يا رب مل بقلوبنا إليك ، و أقم هممنا بين يديك ، وكن دليلنا
منك عليك " ، النقطة الدقيقة ؛ هو أن الإنسان مخير ، و معنى مخير
أمامه عدة خيارات ، قال تعالى :

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

سورة الإنسان

من هو الداعية ؟ هو الذي يقنعك بأن تتجه إلى طريق الحق ،
عن طريق ماذا ؟ عن طريق الإقناع ، و عن طريق الدليل ،
و عن طريق التبيين ، و عن طريق التوضيح ؛ فربنا عز و جل هو
الهادي .

الآن : كم طريقة من الطرق يهتدي بها الإنسان ؟ .. بادئ ذي
بدء الله سبحانه هدى الإنسان إليه عن طريق الخلق ، الكون ، فهو
قوي ، و في الكون مظاهر قوته . هو الغني و في الكون مظاهر

الغنى . هو عليم وفي الكون مظاهر العلم . هو رحيم وفي الكون مظاهر الرحمة . يعني بإمكانك أن تقول : إن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ولصفاته الفضلى . فإذا أردت أن تفكر في الكون وصلت إلى الله ، إنه صنّعه ، منه تصل إلى الصانع . إنه خلقه ، منه تصل إلى الخالق ، إنه كوّنهُ ، منه تصل إلى المكوّن . إنه تنظّمه ، منه تصل إلى المنظّم . به ترى العلم ، به ترى الحكمة ، به ترى القدرة ، به ترى اللطف ، به ترى العطف ، به ترى الرحمة ، به ترى الخبرة ، كل ما في الكون يدل على الله عز وجل .

لكن أحيانا ننظر إلى وردة فكأن الله سبحانه وتعالى تجلّى عليها باسم الجميل . فإذا رأيت البحر هائجا ، تجلّى الله عز وجل على البحر باسم الجبار . تارة ترى اسم الجبار ، تارة ترى اسم القهار ، تارة ترى اسم المنتقم ، تارة ترى اسم العليم ، تارة ترى اسم الحكيم ، تارة ترى اسم العلي الكبير . فكل مظهر في الكون ؛ يدل على اسم من أسمائه ؛ أو على كل أسمائه فكيف هدانا الله ؟ قال عز وجل :

قُلِ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

سورة يونس

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٥﴾

سورة عبس

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الْصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

سورة الطارق

فإذا أردت أن تهتدي إلى الله فحسبك الكون ، وقد قال عليه
الصلاة والسلام : " حسبكم الكون معجزة " .

هذا أول باب ، ولكن أقول لكم : إن باب الكون أوسع أبواب
الهدى ، وأقرب طرق الهدى ؛ لأن الكون يضعك وجها لوجه أمام
قدرة الله ، وأمام عظمته ، وأمام حكمته ، وأمام رحمته ، وأمام
علمه ، وأمام خبرته . فالله سبحانه وتعالى هداك بخلقه ؛ إذن الهادي
اسم من أسماء أفعاله .

يمكن أن تتأمل آلة و تقول : المهندس خبرته رفيعة المستوى .
تقول : هذه الألوان التي أعطاهما للآلة لطيفة فيها ذوق رفيع .
تكتشف علمه ، و ذوقه ، و خبرته ، لكن أحيانا توجد مع الآلة نشرة
مكتوبة بتعليمات التشغيل ، والله المثل الأعلى إن ربنا عز وجل أيضاً
يهدي الإنسان لا بخلقه فحسب بل بكلامه ، قال :

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

سورة الحج

وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

سورة التوبة

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

سورة النحل

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

سورة البقرة

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾

سورة البروج

إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٦٠﴾

سورة هود

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ
الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

سورة الرعد

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾

سورة الشورى

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سورة هود

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾

سورة الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

سورة الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾

سورة فصلت

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾

سورة الشورى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ
وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

سورة الشورى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾

سورة الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

سورة الروم

أول بند من بنود الهدى : خلقه ، فالهادي اسم من أسماء أفعاله .

البند الثاني : أن الهادي اسم من أسماء ذاته ، لأنه المتكلم ، الله متكلم ، والقرآن كلامه .

أحيانا تنظر لشيء رائع ، أحيانا يقول لك صانع الشيء هذه صنعتها لكذا و هذه لكذا ، وهذه المادة الأولية من أعلى مستوى ، و هذه الآلة لأجل كذا ، الآن أعطاك تعليمات من عنده مباشرة ، فالله سبحانه و تعالى - و له المثل الأعلى - يهدي بكلامه ، إذن الهادي اسم من أسماء ذاته أيضاً .

إذا قرأت القرآن فإنه يبين لك أصل الخليفة ، حقيقة الحياة الدنيا ، ما بعد الدنيا ، يبين لك أسماء الله عز وجل ، يبين لك صفاته ، يبين لك أنبياءه السابقين واللاحقين ، يبين لك حكمة الوجود ، يأمرك بالصلاة ، يأمرك بالصوم وبالزكاة وبالْحج ، يبين لك لماذا تصلي حين يقول سبحانه .:

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

سورة البقرة

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

سورة التوبة

فهو هادي ، الله هداك بكلامه ، فإذا أردت أن تقرأ
القرآن ؛ فالقرآن باب إلى الله عز وجل . الكون باب ؛ لكن الكون
لغة عالمية ، تتحدث إلى المسلم وغير المسلم ، العربي
وغير العربي ، إفريقي ، صيني ، أمريكي ، أوروبي ، من أي
مكان ، الشمس ساطعة ، النجوم زاهرة ، الكواكب متألقة ، الماء
عذب زلال ، من جعله عذبا زلالا بعد أن كان ملحا أجاجا ؟
الكون يقرأه كل إنسان ، لكن القرآن يقرأه العربي .

على كل ؛ إذا تعمق الإنسان في معرفة الله عز وجل ،
تعلم العربية حبا بالله عز وجل ، وقد تجد شعوبا من غير
العرب أتقنوا العربية لا لشيء إلا حبا بالله عز وجل . كما أنك
إذا أردت أن تأخذ شهادة عليا من بلد أجنبي ، فإتك تسعى لأن
تتعلم لغة هذا البلد ، يقول لك : لابد من أن تقضي سنتان تتعلم
لغة .

طالب من طلابي نال بعثة إلى تشيكيسلوفاكيا ، فتعلم لغتهم في سنتين ، من أجل شهادة دنيوية ، من أجل حياة محدودة تعلم لغة هؤلاء كي يتعلم علمهم ، لذلك إذا عرفت الله عز وجل ، ورأيت أن كلامه شيء ثمين جدا ، وكنت غير عربي ، تجد نفسك مسوقا إلى تعلم اللغة العربية . والإخوة الأكارم الأفارقة مثلا ، الأتراك الذين وفدوا إلى هذه البلدة الطيبة ، لتعلم أمور الدين ؛ تراهم يتقنون اللغة العربية ، بل إنهم ينزعجون انزعاجا شديدا لو تكلمنا بكلمة واحدة في الدرس عامية ، لأنهم لا يفهمون إلا اللغة الفصحى .

إذن إذا بلغ حبك لله عز وجل حدا معيناً ؛ ترى نفسك مسوقا إلى تعلم اللغة العربية . إذن القرآن ؛ باب آخر من أبواب الهدى . الكون ؛ هداك بخلقه . والقرآن ؛ هداك بكلامه . لكن لا تنسوا أن الله عز وجل جعل الكون كله في كفة ، وجعل القرآن كله في كفة ، قال :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

سورة الأنعام

لأنهما يدلان عليه ، لأنهما يشيران إليه ، لأنهما يظهران أسماءه

الحسنى ، و قال :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُدِ عَوَجًا ۝١

سورة الكهف

الكتاب ؛ هدى بياني ؛ والكون ؛ هدى استدلالى .

لاحظ نفسك ، أحيانا تشتري آلة من دون نشرة تعليمات تنظر إليها ، تدقق ، تستنبط ، تحرك بعض أزرارها ، تشغلها ، تحرك هذا المفتاح ، انقطع التيار ، تحرك هذا المفتاح على الصوت ؛ إذن هذه للصوت ، تحرك هذا المفتاح أصبح الصوت صافيا ؟ إذن هذا للتصفية ، تكشف خصائصها بالتأمل والملاحظة ، لكن إذا رأيت معها نشرة باللغة العربية تقرؤها .. مفتاح رقم واحد للصوت ، اثنين للتصفية .. تطابق ، يمكن أن تتأمل في هذه الآلة فتصل إلى بعض خصائصها ؛ لكنك إذا قرأت التعليمات التي أصدرها الصانع تصل إلى خصائصها الكاملة . الآن هناك ميزة ؛ فأنت من طريق التأمل تصل إلى أشياء كثيرة جدا ، لكن ما كل شيء يصل إليه من خلال الكون .

الكون ؛ يدل على وجود الله ، يدل على عظمته ، يدل على أسمائه لكن الكون لا يدل على الصلاة ، مهما تأملت في الكون أين الصلاة ؟ أين الخمس صلوات ؟ أين الفرائض ؟ أين السنن ؟ أين الزكاة ؟ أين الحج ؟ أين الصيام ؟ أين غض البصر ؟ هذه لابد لها

من منهج أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام . من اكتفى
بالكون فقد أخذ شطر الدين ، لكن لابد من أن تهتدي بالكون ، ومن
أن تهتدي بالقرآن .

القرآن فيه أحكام ، القرآن فيه أوامر ، القرآن فيه نواه ، فيه
منهج ، فيه أخبار السابقين و اللاحقين ، فيه بيان للمستقبل البعيد ،
فيه بيان ذات الله عز وجل . لا يكفي الكون وحده لا بد من أن يتكامل
الكون مع القرآن .

فإذا دخلت إلى جامعة ، تأملت في قاعاتها الفسيحة ، تأملت في
قاعات المحاضرات الكبيرة ، تأملت في حدائقها الرائعة ، تأملت في
بيوت طلابها ، تأملت في مخبرها ، تأملت في مسرحها ، تأملت في
مكتبتها أخذك العجب العجيب ، لكن مهما تأملت في هذه الجامعة وفي
أقواسها وقاعات محاضراتها ، مهما تأملت في بيوت الطلاب فيها
وفي حدائقها وفي مكتبتها ، لا يمكن أن تصل إلى نظامها الداخلي ،
لا يمكن أن تصل إلى طريقة النجاح والرسوب ، لا يمكن أن تصل إلى
أسماء الأساتذة ، تأمل في الجدران ، من هم مدرسو هذه الجامعة ؟
لابد من كتاب تقرأه في الكليات ، أقسام الكليات ، رؤساء الأقسام ،
عمداء الكليات ، أسماء الأساتذة ، اختصاصاتهم ، ميزاتهم ، موقع
كل كلية ، نظامها الداخلي ، طريقة النجاح ، طريقة الرسوب ، طريقة

الانتقال ، طريقة الدرجات ، امتياز ، مرتبة شرف ، جيد ، جيد جدا .
مقبول هذا شيء لا بد من أن تقرأه في النظام الداخلي .

أنا أقول هذا الكلام وأريد منه أنك إذا فكرت في الكون عرفت
عظمة الله عز وجل . أما إذا أردت أن تعرف منهجه ، لا بد من قراءة
القرآن . والقرآن في أساسه موجز ، فيه كليات الدين ، جاء النبي
عليه الصلاة والسلام فشرحه وبينه ، فإذا فكرت في الكون عرفت أن
لهذا الكون خالقاً عظيماً كبيراً عليماً قديراً حكيماً لطيفاً .. الخ .

لكنك إذا أردت أن تعبد ، إذا أردت أن تتقرب إليه ، إذا أردت أن
يحبك ، ماذا تفعل ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات من قبل الخالق ،
يقول لك صم شهر رمضان ، أدّ زكاة مالك ، غضّ بصرك ، أحسن
إلى أخيك ، إغف عنه ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات هذا الخالق ،
أنت بعقلك عن طريق الكون آمنت بالخالق ، لكنك إذا أردت أن تعرف
منهج الخالق ، أمره ونهيه ، أخباره ، ماذا يريد منك ، لماذا خلقت
لا بد من أن تقرأ كتابه .

أذكركم مرة ثانية بمثال الجامعة ، دخلت إلى الجامعة ، أطلعوك
على قاعات المحاضرات ، على بيوت الطلاب ، على الحدائق الغناء ،
على الملاعب ، على المكتبة الضخمة ، أعجبت بها ؛ مهما تأملت في
هذه الجامعة هل تعرف هذه الجامعة كم كلية فيها ؟ هل تعرف نظام
النجاح فيها ؟ هل تعرف نظام الإقامة في بيوت الطلاب ؟ لا تعرف ،

هل تعرف من هم المدرسون ؟ لا تعرف . ما أسماء الكتب المقررة ؟
لا تعرف .

إذا كان الكون يدلك على وجود الله وعلى أسمائه الحسنی ،
و القرآن يدلك على منهجه ، يعني إذا أردت أن تؤمن به ففكر
بالكون ، و إذا أردت أن تعبده فاقراً القرآن ، بالكون تعرفه ،
وبالقرآن تعبده ، و لا يغني أحدهما عن الآخر . إذا قرأت القرآن ولم
تفكر في الواحد الديان كأنك ما قرأت القرآن ، لماذا ؟ لأن القرآن
يأمرك أن تفكر ، فإذا لم تفكر فقد عطلت آيات التفكير في القرآن . إذا
فكرت في الأكوان ولم تقرأ القرآن عرفت الصانع ، كيف تصلي كيف
تصوم ؟ أين أمره ؟ ما عباداته؟ ماذا يريد منك لا تعرف ذلك .

إن هو هداك بالكون ؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وهداك
بالقرآن ؛ فالهادي اسم من أسماء ذاته لأن الله متكلم ، هداك
بكلامه .

الآن بعد أن خلق الكون ، والكون ذلك عليه ، وأنزل القرآن ،
والقرآن بينك منهجه ، وأمره ، ونهيه ، الآن يوجد حوادث ، يوجد
تصرفات ، شيء ما يحدث ، أمطار تنهمر ، سماء تمطر ، سماء لا
تمطر ، تأتي موجة صقيع :

فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَابِتُونَ ﴿١١﴾

سورة القلم

ترى محصولا بمه الف مليون بثلاث دقائق ينتهي بالصقيع
ونعوذ بالله من الصقيع ، فله سبحانه أفعال ، كالصقيع ، والرياح
العاتية ، والأعاصير والفيضانات والبراكين ، والزلازل ، والأمراض
الوبيلة، فقر هذه أفعاله . خلقه يدل عليه ، و كلامه يدل عليه ، الآن
أفعاله تدل عليه :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

سورة هود

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

سورة الشورى

فلو فرضنا أن طالبا ضرب رفيقه فضربه المعلم ، المرة الثانية
لم يضرب رفيقه فلم يضربه المعلم ، و المعلم ساكت ، المرة الثالثة
ضرب رفيقه فالمعلم ضربه ، ألا يستنبط هذا الطالب من ضرب المعلم
له كلما ضرب رفيقه ؟ أن المعلم لا يرضيه أن يضرب الطالب
رفيقه ؟ الآن علمك لا بكلامه ، ولا بخلقه ، علمك بفعله . فإذا منع
المسلم زكاة ماله فتلف ماله بقدر زكاة ماله ، فإن هذا تعليم له .

و إذا استطلت في أعراض الناس ، فالناس استطلوا في
عرضك . هذه بتلك . وإذا تكبرت ؛ فأهانك الله . تواضعت ؛ فرفعك
الله . و إذا أنفقت ؛ فعوض الله عليك ، و إذا بخلت ، فأتلف الله
مالك ، تعلمت الإنفاق . وإذا غضضت بصرك عن محارم الله ،

أسعدك الله في بيتك . أما إذا أطلقت بصرك ، ثم أشفاك في بيتك .
كنت مع الناس صادقاً ، ووثق الناس بك ، وإذا . كذبت عليهم ، فضح
أمرك .

الآن بعد كتاب الله ، و بعد خلق الله ، تعال إلى أفعال الله ،
أفعال الله وحدها تعلمك ، مرة ثانية ؛ المعلم ساكت لم يتكلم و لا
كلمة ، حينما رآك وكزت رفيقك وأنت خارج إلى الباحة ضربك على
رأسك ، في الساعة الثانية ما وكزته فلم يضربك ، في الساعة
الثالثة ، و كزته فضربك و المعلم ساكت ؟ سكوته كاف ، فعله يعلم ،
أليس كذلك . طبعاً قس على هذه الفكرة آلاف القصص ، أفعال الله
وحدها تعلمك . كما ان خلقه يعلمك ، و كلامه يعلمك ، ربنا عز و جل
قال :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾

سورة النمل

هذا الذي غش الناس لماذا صودرت أملاكه ؟ و هذا الذي
نصحهم لماذا نعى الله ماله ؟ هذا الذي أكرمهم لماذا أكرمه الناس ؟
هذا الذي أعطاهم لماذا أعطاه الله ؟

إذن : هو الهادي بخلقه ، و الهادي بكلامه ، و الهادي بأفعاله ،

لا أعتقد أن واحداً من الإخوة الحاضرين إلا وعلمه الله بالأفعال ..

صليت الصبح في جماعة ، شعرت طوال النهار أن كلامك شديد ،
وأن عقلك رشيد ، وأن أحوالك عالية ، وأن قلبك عامر ، وأن الناس
قد هابوك ، وأن الأمور ميسرة .

في اليوم التالي لم تُصلِّ الصبح ، فاتتكَ صلاة الفجر ، فتعرض
لأول مشكلة بالطريق ، و الثانية بالمحل ، و الثالثة جِءك موظف
تطاول عليك ، والرابعة ذهبت إلى فلان فلم تجده .

الآن علِّمك بأفعاله ، يوم صليت الفجر في جماعة ؛ فأنت في
حفظ الله وفي ذمته ، فلما فاتتكَ صلاة الفجر ، نبعت لك المشاكل في
الطريق وفي العمل وفي البيت ؟ هذا تعليم ، الله يهديك إليه بأفعاله ،
كما لو تصدقت فجاءتكَ منحة لم تكن بالحسبان . وكما حين سألك
إنسان سؤالا أعطيته وأنت مضطر للمال ، ففتح الله عليك رزقا .

قال لي أخ : اتصلت بي أختي صباحا ، قالت لي أريد خمسة
آلاف ليرة ، قال معي المبلغ ولكنني في ضيق شديد ، فنشأ صراع في
نفسه ، ثم غلب نفسه وذهب إلى بيت أخته وأعطاه المبلغ.

و كان له دكان في البزورية ، يقول : " جاعني شخص ، قال لي
أريد هذه السلعة ، قلت : والله ليس عندي هذه السلعة ، قال أين
توجد قلت في المعمل الفلاني ، قال دلني عليه ، فذهبت إليه ودللته
عليه وعدت إلى محلي ، مساء يأتيني صاحب المعمل وقد أعطاني
مبلغا من المال " طبعا هذا المبلغ إذا حسبته على الزبون فيه شبهة

أما إذا أعطاه له التاجر من ربحه فلا شيء فيه " قال: "أخذت
ضعف ما أنفقته على أختي صباحا !!!"

وأنا متأكد أنه . لا يوجد واحد من الحاضرين إلا وعامله الله
كذلك ، قال عليه السلام : " أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش
إقلاً " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : " قال الله تعالى في الحديث القدسي: " أنفق يا ابن آدم
أنفق عليك "

لقد علمك الله عز وجل ، هو يعلمك باستمرار ؟ لذلك عندما
قال :

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

سورة البقرة

يعلمك بأفعاله ، لكن الإنسان حينما يفهم رسائل ربه : هذه
للك ، وهذه لتلك ... وحينما تنعقد صلة مباشرة ، و إدراك مباشر ،
بينه وبين ربه فإنه يظل رتقي بدينه ودنياه..

شخص له استقامته ، وله انضباطه ، وله ورعه ، سافر إلى
أوروبا وفي أول مطار ينزل به أطلق بصره إلى الحرام ، فلما وصل
إلى بلد آخر استبدل العملة ، ولما ركب تاكسي ، ودفع لسائق

التاكسي أجرته ، أخذه سائق التاكسي إلى مكتب الشرطة ، لأنه اتضح أن النقود مزورة ، قال : " أنا مدعو إلى مؤتمر في أعلى درجة ، فإذا بي في قفص اتهام ؟!!! . قال : والله دمعت عيني كأنني عاتب ربي ، قال : ووقع في قلبي " لماذا أطلقت بصرک يا عبيدي " ، فهو بالأفعال يعاملک ، فهو : الهادي بالخلق ، و الهادي ؛ بالقرآن ، و الهادي بأفعاله .

الآن ، صممك الله تصميمًا دقيقًا ، مثال ذلك في بعض المحلات التجارية ، على البضاعة يوجد سعر ، و يوجد مادة على لصاقة السعر ، إذا أخرجت هذه البضاعة دون أن تدفع ثمنها وأنت خارج تحت قوس معين يصدر صوت عال ، أما إذا دفعت ثمنها يعطل الموظف هذه المادة بمادة أخرى ، فلو رأى واحد شيئًا ، قليل الحجم غالي الثمن وضعه في جيبه ولم ينتبه ، وخرج من هذا المحل ، هذا القوس الذي يخرج منه يصدر صوتًا مزعجًا ، كأنه يقول هذا سارق خذوه ؛ هذه البضاعة مصممة بحيث أنك إذا أخذتها من دون دفع ثمنها تصيح بك ، وهكذا صنعة الإنسان ، الله سبحانه وتعالى صمم لك نفسًا إذا أسأت تشعر بالضيق ، تسميه وخز ضمير ، تسميه كآبة ، تسميه ضيق أو ، ضجر ، تقول:ضماقت علي الأرض بما رحبت ، لأن فطرتك عالية ، فأنت حينما أسأت خرجت عن قانون

فطرتك ، هكذا علمك بالفطرة ، علمك بخلقه و علمك بكلامه ،
و علمك بأفعاله ، والآن علمك بالفطرة والدليل :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

سورة الشمس

يعني ؛ إذا فجرت ، تعرف أنها فجرت ، و إذا اتقت ، ترتاح ،
الآن كل واحد منكم - وأنا لا أبالغ - يحس براحة نفسية لا تُقدَّر
بئمن لأنه مطيع لله فكيف يعرف ذلك ؟ ، لو أنه زلت قدمه لا سمح
الله ، لو أنه لم يغض بصره ، لو أنه فاته فرض صلاة ، لو أنه كذب
في كلمة ، لو أنه اغتاب ، لشعر كأنه سقط من السماء إلى الأرض ،
يشعر بالضيق ، يحس بالحجاب يحس أن الله أبعد ، أن الله لعنه ،
أن الله لم يقبله ، هذا التعليم الرابع ! هداية الفطرة ، الآية الكريمة :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

سورة الروم

إقامة وجهك للدين حنيفا ؛ هو نفسه فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا ترتاح إلا إذا عرفت الله ، لأنك إذا عرفت آوينا إلى ركن
وثيق ، فمثلاً - والله المثل الأعلى - إذا وجد موظف في دائرة من
الدرجة الخامسة ، ومؤهله هو الثانوية العامة مثلاً ، لكن المدير العام
يكون زوج أخته ، ترى أن هذا الموظف له وضع خاص ، مطمئن ،

يُحس بأمن عجيب بهذه الدائرة ، لا يخشى لا من رئيسه المباشر ولا من أعلى من رئيسه ولا من المدير المعاون ، كلهم مربوطون بالأعلى والأعلى من طرفه ، فهذا إنسان مع إنسان يحس بالأمن ؛ فإذا كنت مع الله ؟

إذا كنت مع الله فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟

عَلَّمَكَ بالفطرة ، الإنسان متى يرتاح ؟ إذا أوى إلى الله ، إذا شعر أن الله يحبه ، إذا شعر أنه بعين الله ، إذا شعر أنه بحفظ الله ، إذا شعر أنه يحب الخلق إكراما لله ، إذا نام مساء و لم يؤذِ مخلوقا ولم يعلق حقا برقبته ، لم يبين مجده على أنقاض الناس ، لم يبين ثروته على فقر الناس ، لم يبين أمنه على خوف الناس ، لم يبين حياته على موت الناس ، كان معطاء ، كان خيرا . إذن أنت لك فطرة قال تعالى : " و نَفْسٍ و ما سِوَاهَا فَأَنهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقد خابَ مَنْ دَسَّاهَا " .

كنت في عقد قران تبعني شاب كريم ، سألتني سوألا ، هو حينما فعل هذا الشيء جاء بمبررات غير صحيحة ، و حينما عاد إلى بلده ، قال : والله ما أعجبتني هذه المبررات ، كأتني رسبت في امتحان الله عز وجل ، لم يعلمه أحد ولا سأل أحدا ولكنه أدرك .

إذن : الله عز وجل هداك بخلقه ، وهداك بكلامه ، وهداك بأفعاله
وهداك بالفطرة . الله عز وجل له أساليب كثيرة في الهدى ، أحياناً
يهديك بِالإلهام قال تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ

الآية ٧ من سورة القصص

هذا وحي إلهام ، يقول لك : الله ألهمني أن أسافر ، الله ألهمني
أن لا أشتري هذه الصفقة ، الله ألهمني أن لا أشارك فلان ، الله
ألهمني أن لا أشتري هذا البيت ، ما عندي دليل ، لأنه مجرد إلهام ،
كما جاء في الآية السابقة .

مرة في أحد أيام الأعياد ، نويت أن أذهب لأزور صديقي غربي
دمشق ، ولكنني وجدت نفسي أنساق إلى بيتي فأعود مرة ثانية دون
سبب ، ولا مبرر ، فلما وصلت إلى البيت فإذا رجل يأتيني من مكان
بعيد من بلد في الشمال جاء لزيارتي في العيد ، وليس له في الشام
بيت آخر يبيت فيه ، كيف ؟ هذا إلهام . عندما يستسلم الإنسان لله
عز وجل يلهمه الله ، وإلهامات المؤمن كلها لصالحه ، بينما إلهامات
الكافر ، والفاسق ، والمنحرف ، كلها لغير صالحه ، يلهمه أن يعقد
هذه الصفقة ، يفلس من خلالها . يلهمه أن يشارك فلاناً بنهبه ،
يلهمه أن يفتح هذه المصلحة يتدمر فيها . هذا إلهام شيطاني ، أنت
بين إلهام الرحمن أو وسوسة الشيطان ، فإذا كنت مع الرحمن

ألهمك ، وإذا كان المرء مع الشيطان وسوس إليه . هذه طريقة أخرى في الهدى ، الله يلهمك ، لذلك قال تعالى :

ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَذُقْنَاهُ كَمَا نَذُقُهُ ﴿٤٠﴾

سورة طه

أحيانا يلهمك أن تزور مثلا هذا المسجد ، هناك أخ اهتدى إلى الله عز وجل عن طريق هذه الدروس ، كنت أسأله سؤالا صغيرا ، أقول له كيف عرفت هذا الجامع ؟ أسمع قصصا عجيبة واحد دخل ليصلي المغرب مصادفة فرأى جمعا فجلس ، كان هذا أول درس وما ترك بعده درس ، هناك إنسان اهتدى عن طريق صديق ، عن طريق قريب ، عن طريق صاحب عن طريق موعد أحيانا ، هذا إلهام .

إذن فهو يهدي بخلقه ، بكلامه ، بأفعاله ، بالفطرة ، بالإلهام ، الآن بالرؤيا الصالحة هناك أشخاص إذا رأوا رؤيا صالحة ، واضحة ، صارخة ، بارزة ، هذه الرؤيا تحملهم على طاعة الله عز وجل ، وهذا شيء مؤيد ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول " الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة " ، يعني الله عز وجل إذا أراد أن يعلمك شيئا ما بطريق مباشر ، لا إستنباط ولا تأمل ولا إدراك ، من طريق الأفعال :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

سورة الأنعام

.. تفكروا في خلق السماوات والأرض ، الكون تفكر ، والأفعال
نظر ، والقرآن تدبر ، لكن أحيانا يريد الله عز وجل أن يعلمك
إعلاما ، مباشرة ، سريعا ، حازما ، واضحا ترى نفسك تسير في
طريق الهاوية ، كأن الله يحذرك ، يعني أحيانا تتساءل عن سؤال
كبير ، الله عز وجل يجيبك عن هذا السؤال في الرؤيا .

كثير من الإخوان قالوا لي انهم قبل أن يناموا حين صادفتهم
مشكلات ، يتضرع كل منهم بقوله : " يا رب ألهمني الصواب " ،
فرأى رؤيا صالحة كأنها إجابة لهذا السؤال ، إذن هذا هدى عن
طريق الرؤيا ، لكن هنا يوجد نقطة دقيقة جدا ، أية رؤيا خالفت
أوامر الشرع ؛ اسمعوا ما أقول ؛ اركلها بقدمك ، لأن الشرع هو
الثابت وكل ما جاء في الرؤيا خلاف القرآن الكريم من الشيطان ،
لو رأى واحد رجلا صالحا ، قال يا أستاذ ويضع لفة خضراء ووجهه
يشع نورا وقال له لا تُصَلِّ ، نقول له هذه الرؤيا اركلها بقدمك ،
لا تُصدق ، كل ذلك كلام فارغ ، نحن عندنا مقياس الشرع ، أية
رؤيا تخالف أوامر الله تخالف شرع الله عز وجل ، لا تعبأ بها ، ولا
تقم لها قيمة ، ولا تأخذ بها ، ولا تحفل بها فإنها قطعاً من الشيطان .

لكن الرؤيا التي من الرحمن لها خصائص ، إذا كنت لا سمح الله
منحرفا ، ورأيت رؤيا مخيفة ، فهذه من الرحمن قطعاً ، وإذا كنت
محسنا ، ورأيت رؤيا مبشرة ، هذه من الرحمن قطعاً .

فإذا كنت محسنا ، ورأيت رؤيا مخيفة ؛ هذه من الشيطان لكي
تخاف ، وإذا كنت لا سمح الله مسيئا ، ورأيت رؤيا مبشرة ؛ هذه
أيضا من الشيطان .

أحيانا يهديك عن طريق خلقه ، لا عن طريق مخلوقاته عن
طريق الأشخاص يعني ، يجمعك مع شخص يحكي لك موضوعا ، أنا
أحيانا حينما ألتقي بإنسانا ويتكلم هذا الإنسان ، أشعر بطريقة
أو بأخرى أن هذا الإنسان من الذي جمعني به ؟ هو الله ، من الذي
ألهمه ؟ هو الله ، من الذي أنطقه ؟ هو الله ، يعني حينما تكون في
طريق غير صحيح ، ويأتي إنسان يبين لك اعتقادا صحيحا أن
هذا الإنسان قد ساقه الله إليك ليبلغك ليعرفك ، هذا أيضا هدى عن
طريق الخلق .

هناك هدى من نوع آخر ، هذا الهدى الانقباض والانبساط ،
يقول لك انقبضت ، أزمعت أن تسافر إلى جهة ما ، ثم شعرت
بانقباض ، أو شعرت بانسراح ، أو الأمور تيسرت أو تعسرت ،
فالانقباض والتعسير والانسراح والتيسير هذا تعليم أيضا ، فإذا كان
الله راضيا يصبح هناك انسراح وتيسير ، الله غير راض وأنت مؤمن
عندك حساسية وعندك إدراك دقيق أنت مؤمن أصبح هناك انقباض
وتعسير إذن هذا شيء لا يرضي الله عز وجل .

آخر شيء : أحيانا يسلب الله سبحانه و تعالى لب عبده أي عقله
ويسيره تسييرا في جهة ما ، هذا أيضا هدى . فإذا قلنا الهادي يعني
هدانا بخلق الكون ، وهدانا بالقرآن وهدانا بأفعاله وهدانا بالفطرة ،
وهدانا بالإلهام ، وهدانا بالرؤيا ، وهدانا عن طريق الأشخاص ،
وهدانا عن طريق الانشراح والاتقباض والتيسير والتعسير ، ثم هدانا
عن طريق التسيير المباشر . هذه كلها تعني أن الله هو الهادي قال
تعالى :

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ نَعْمَاءً وَخَوَّى ﴿٥﴾

سورة الأعلى

العلماء لهم تفسيرات دقيقة للهدى الإلهي ، قالوا : الهدى أربعة

أنواع :

١- الهدى العام : الله عز وجل زودك بحاسة الشم ، تقول
رائحة غاز . كيف هداك أنه يوجد غاز خطر بالبيت ؟ عن طريق
الشم . أحيانا تسمع صوتا في الغرفة الثانية ، كيف هداك أن هناك
حركة في البيت ؟ عن طريق السمع ، أعطاك حاسة الشم ، أعطاك
حاسة السمع . أعطاك حاسة الإستدلال والتفكير ، أعطاك علم ،
أعطاك خبرة ، أعطاك حواس خمس ، هذه كلها القدرات التي أودعها
الله في المخلوقات هداهم إلى مصالحهم .

إنت بنملة ضع أصبعك أمامها تقف وتغير طريقها ، معناها
أعطاها بصر ، أعطاها إدراك أنه هنا خطر يوجد حاجز ، الله عز
وجل هدى كل الحيوانات ؛ عن طريق الغريزة إلى مصالحها .

أحد الأشخاص كان في بستان ، فرأى قنفذا يأكل أفعى ، أكل
قطعة ثم تركها وذهب إلى نبات وأكل منه ورقة ، ثم عاد ، أكل قطعة
ثانية ثم ذهب إلى هذا النبات وأكل ورقة ثانية ، فهذا البستاني
أمسك النبات وقلعه ، أكل قطعة ثالثة ذهب للنبات فلم يجده فمات
القنفذ ، من هداه إلى أن هذا النبات يتناسب مع هذا الطعام ؟ الله عز
وجل

مثلا : لو أحضرنا أعلى ربان في العالم ، أعلى ربان على وجه
الأرض ، معه شهادات عليا ومعه ألفا ساعة قيادة سفن ، وعنده
دراسات وعنده اختصاص ، وعنده خبرات ، لو وضعناه على سفينة
بلا بوصلة على ساحل فرنسا ، وقلنا له : اتجه بها إلى مصب نهر
الأمازون ، لا أبالغ ربما جاء في البرازيل في الجنوب ، لا يوجد
إمكانية ، لو انحرف درجة ينحرف في النهاية خمسمائة كيلو متر ،
أما سمك السلمون يتجه من سواحل الأطلسي إلى مصبات الأنهار في
أمريكا ، وكل سمكة ولدت بمنبع نهر تتجه إلى مصب النهر ، وهذه
السمكة ليست هي التي جاءت ، أمها التي جاءت إلى هنا ، تعود إلى
مسقط رأسها هناك وتلد وتموت بعد أن تخرج من البيوض تتجه نحو

الشرق إلى سواحل فرنسا ، فإذا كبرت عادت إلى مصبات الأنهار ،
قال تعالى في سورة طه :

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَدْعُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى ﴿٥٠﴾

هذه هداية ، فأول هداية : هداية عامة ، هدى الإنسان إلى
طعامه صنع نسيجا ولبس ، صنع بيتا ، طهى الطعام ، فطهى الطعام
شيء معقد جدا ، تأكل الأكلة إذا فيها خلل تتضايق منها ، من هداك
لوضع ملح وطحينة وكمون وفلفل وعصفر ؟ من ؟ يوجد هدى ،
هدى إلى كسب الرزق ، هدى إلى تأمين المعاش ، هدى إلى تأمين
الحاجات ، فهذا الهدى الأول هداية عامة .

٢- هدى الإيمان ، يهديك إليه ، يهديك إلى كتابه يهديك إلى

الحق .

٣- هدى التوفيق ، قال تعالى في سورة الكهف :

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَّتْهُمْ
هَدَى ﴿١٣﴾

٤- هدى الجنة ، قال تعالى في سورة محمد :

وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٤﴾
سَيَقْدِرُ لَهُمْ وَيُضِلُّهُم بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴿١٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿١٦﴾

يوجد هداية عامة ، يوجد هداية الإيمان وهداية التوفيق والهدى إلى الجنة ، هذا بعض ما يمكن أن يقال في موضوع اسم الهادي . لكن ختام هذا الدرس قوله تعالى : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " هذه الواو .. الجملة ليست شرطية ، ليس اتقوا الله يعلمكم .. بل : اتقوا الله ، لماذا لا تتقونه ؟ لأنه يعلمكم ، يعلمكم دائما ، بالخلق ، وبكلامه وبأفعاله وبالفطرة وبالإلهام ، وبالرؤيا وبالخلق ، وبالقلب وبالانقباض والتيسير وبالتعسير وما إلى ذلك . " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " .

و الحمد لله رب العالمين

Ი Თ Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ
Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ Მ

الوهاب

يا أيها الإخوة الأكارم : بادئ ذي بدء ، أقول : إن الإنسان عقل وقلب ، بعقله يعرف الله وبقلبه يحبه ، وهذا الاسم اليوم متعلق بالحب ، وقبل أن أشرح معنى الوهاب لغة واصطلاحاً أضرب لكم مثلاً منتزعا من حياتكم اليومية : قد يوجد شاب فقير جداً يعاني من شظف العيش ومن خشونة الحياة ، لو أن إنسانا اختاره زوجا لابنته - وابنته مهيبة متعلمة مؤمنة طيعة - ومنحه منزلا ومنحه متجرا ومنحه مركبة ، ألا يمتلئ قلب هذا الشاب حبا وحمدا وشكرا لهذا الرجل الذي أنعم عليه بكل هذه النعم؟! هذا شأن الإنسان .

" يقول ربنا عز وجل في الحديث القدسي : " يا داوود ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جُبِلت على حب من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها " .

القصد من معرفة اسم الوهاب أن تحب الله عز وجل ، لأنه لا إيمان لمن لا محبة له ، ليس الإسلام حقائق ندركها وحسب ، بل هو حقائق ومشاعر ، أن يكون العقل مدركا لوجود الله ولعظمته ولأسمائه الحسنی وأن يكون القلب مفعما بحب الله ، سأضع بين أيديكم هذه الحقيقة : أقول لكم إن الذي يحرك الإنسان حبه أكثر مما يحركه عقله ، فالإنسان بدافع الحب يقدم الغالي والرخيص والنفس

والنفس ، أما بدافع العقل فقد يقتنع وقد يعتقد وقد يوقن ولكن لا يتحرك .

لذلك فالدعاة إلى الله يحب أن يخاطبوا العقل والقلب في وقت واحد ، ربما إذا أحدثوا في العقل القناعة فهذا نصف النجاح ، أما إذا أحدثوا في الإنسان بالإضافة إلى قناعة العقل موقفاً أساسه الحب فهذا كل النجاح ، أنت قبل كل شيء إنسان لك عقل ولك قلب ، العقل إذا أعملته في الكون عرفت الله ، وإذا أدركت النعم الإلهية أحببته بقلبك ، وإذا أحببت الله فقد أحسنت الاختيار ، لا يسمى الإنسان إنساناً إلا إذا أحب .

مرة كنا في الجامعة وقد أحيل أحد الأساتذة إلى التقاعد وأقيمت له حفلة طيبة وهو أستاذ في علم النفس ، قال هذه الكلمة و لا أنساها :

" الإنسان الذي لا يشعر برغبة أن يحب و لا يشعر برغبة أن يُحَب فليس من بني البشر !! فلا يمكن أن تُسمى إنساناً إذا كان قلبك صخراً ، أو إذا كان قلبك جامداً ... إنن لا بد من أن تحب .

الشيء الذي يلفت النظر هو : لماذا فعل أصحاب النبي عليهم رضوان الله ، المستحيات ؟ لماذا باعوا أنفسهم لماذا قَدَّموا كل شيء ؟ أهدنا لو جرحت يده أو أصبعه لصاح ولضمدَّها ولاعتذر عن لقاءاته ولأخذ إجازة ... سيدنا جعفر تأتيه ضربة سيف تقطع يمينه

فيمسك الراية بشماله ، تأتيه ضربة سيف أخرى تقطع شماله فيمسك
الراية بعضديه إلى أن يخر شهيدا ، ما هذا الحب ؟!

الخنساء قبل أن تسلم ملأت الدنيا صخبا وعويلا على أخيها
صخر ، فلما استشهد أولادها الأربع في معركة القادسية ، ما زادت
على أن قالت : " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو الله أن
يجمعني معهم في مستقر رحمته " !!!

خُبَيْب بن عَدِي وهو على مشارف القتل ، صلبه المشركون في
جذع نخلة ، تمهيدا لرميه بالسهام ، قال له أبو سفيان : أتحب أن
يكون محمد مكانك ؟ قال : " والله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي
وعندي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله بشوكة " ما هذا
الحب ؟ اقرءوا تاريخ الصحابة أيها الإخوة تجدوا العجب العجيب ،
تجدوا شيئا لا يُوصَف .

سيدنا الصديق وهو خليفة رسول الله ، من أعماله الطيبة أنه
كان يحلب شياه جيرانه ، يبدو أنه قد توفي الزوج وليس عندهم من
يرعى شؤونهم ، فكان يقوم بخدمة حلب شياههم ، فلما صار خليفة
ظن الجيران أنه سينقطع عن هذه الخدمة ، ولكنه ذهب إليهم
وطرق الباب ، ففتحت البنت ، قالت الأم : يا بُنيتي من الطارق ؟
فقالت البنت : يا أمي جاء حالب الشاة ... ما هذا ؟ رئيس دولة ،
خليفة رسول الله ..

الذي ظهر من الصحابة في عهدهم شيء لا يُصدّق ، أساسه
الحب ، لأنهم أحبوا الله عز وجل .

و أنا أقول لكم : الذي يبذل ويضحّي ويقف عند حدود الله
ويتجشم المشاق في سبيل الله فإن الذي حرّكه هو الحب ، والذي
يُسعد هو الحب ، فلن تسعد إلا إذا أحببت الله عز وجل ، والله
سبحانه وتعالى بابه مفتوح في كل وقت لمن يريد ، بينما هناك
شخصيات من البشر لا تفتح بابها في أي وقت ، وتفتح بابها لأناس
دون أناس ، يقبلون أناسا ولا يقبلون آخريّن يُسترضون وقد لا
يرضون ، و لكن سبحانه وتعالى بابه مفتوح لكل الخلق ورضاه
سهل ، وقلبه رحيم وعطاؤه جزيل ... فإذا رجع العبد العاصي إلى
الله ، نادى مُنادٍ في السماوات والأرض أن هتئوا فلانا فقد اصطلح
مع الله !!! .

إذا تأملنا في اسم الوهاب بحسب فطرتنا لوجدنا أنه يجب أن
يمتلئ قلبنا حبا لله ، فإذا امتلأ قلبنا حبا لله رأينا من معاملة الله لنا ،
رأينا من تجلّيه على قلوبنا رأينا من التوفيق ، رأينا من الصداد ،
رأينا من الرّشاد ، رأينا من الشعور بالتفوق ، رأينا من الشعور
بالفلاح ما لا سبيل إلى وصفه .

إذن الإيمان أساسه الحب ، هذا القلب متى يضطرب ؟ من علامات الإيمان أنه إذا ذكر الله وجل قلب المؤمن ، و الدليل قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٠٠﴾

سورة الأنفال

هذا من العلامات القلبية ، فالإنسان لا يجامل نفسه ولا يتملق نفسه، بل يتعهد قلبه ويتفحصه ، ويسأل نفسه السؤال الحرج ، من أحب ؟؟؟ إن ادعاءات الحب كثيرة ، فلما كثر دُعاة المحبة طالبهم الله بالدليل ، قال الله تعالى :

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة آل عمران

إذن دليل حب الله هو طاعته وطاعة رسوله واجتناب ما نهى عنه الله ورسوله .

فنحن غارقون في النعم ، لاحظ نفسك لو ركبت سيارة عامة وبجانبك صديق دفع عنك ثلاث ليرات ونصف ، تشكره و تبالغ في شكره وتخجل وقبل أن تنزل تدعوه إلى البيت ، لأنه دفع عنك ثلاث

ليرات ونصف .. راقب نفسك ، لو أن إنسانا قدم لك هدية فإنك تذوب
خجلا أمامه ، تعبر عن امتنانك وعن شكرك وعن محبتك وتوعده
بزيارة وتدعوه لأنه قدم لك هدية ، هكذا النفس البشر.

فما الفرق بين المؤمن و الكافر ؟ الكافر يبقى في النعمة
والمؤمن ينتقل منها إلى المنعم .. معقول أن تدخل إلى بيت وأنت في
حال جوع شديد ترى طعاما نفيسا ألوانا متنوعة ، أظعمة فاخرة ،
مقبّلات ، طعام من الدرجة الأولى ، وراءه الحلويات وراءه الفواكه ،
تأكل بنهم وتنتهي من الطعام وتتجه نحو الباب وتخرج؟ هذا شأن
الإنسان !!! لا حظ نفسك لو أن أحدا دعاك إلى طعام فقبل أن تنتهي
من الطعام تقول له أكل طعامك الأبرار أو تقول له نعمة دائمة. أو
أكرمتنا أكرمك الله ، والله يديم عزك والله يبارك فيك ، تتفنن
بالعبارات ، تذوب خجلا .. فلماذا إذا جاءتك نعمة من إنسان تذوب
خجلا وإذا أنعم الله عليك بنعم لا تقدر فإنك تسهو عن شكره !!!

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٥﴾

سورة البلد

هاتان العينان ترى ابنك الصغير ترى أهلك ترى إخوانك ترى
الغابات ترى الأشجار ترى الأزهار ترى من تحب ترى معالم الطبيعة
ترى الألوان ترى الأشخاص ، تسير في الطريق مرتاحا مطمئنا ،
الطريق واضح أمامك ، تقرأ ، تطلع تطالع تنظر تستمتع :

مرة ذهبت إلى إنسان لا يتكلم ويعمل في طلاء الأثاث وأردت أن أتكلم فأشار إليّ أن أتحدث مع الصانع ، فتكلمت مع الصانع ، نظرت فرأيت لغة جديدة بينهما ، هي لغة الإشارة ، فحمدت الله على نعمة النطق !!! قال الله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

سورة البلد

تتكلم وتعبر عن مشاعرك وعن أحوالك وعن قناعاتك ، تقول أنا اليوم قرأت مقالة كذا ، تعبر عن تفسير آية ، عن قصة ممتعة ، تصدر المجالس تتحدث مع أهلك وأولادك .

علمونا في الجامعة في التربية أن الإنسان حينما يولد لا يملك إلا رد فعل واحد ، فلو فرضنا أن أحدهم مسك بجمرة فإنه يسحب يده فوراً دون تفكير - صنع الله الذي أتقن كل شيء - فإذا جاء تنبيهه عصبي بالحرارة يأتي الأمر لا من الدماغ بل من النخاع الشوكي ، هذا يسمونه المنعكس (أو رد الفعل) الشرطي اكتشفه عالم يدعى " بايلوف " ، ولولا هذا المنعكس لما كنا في هذا المسجد ، لما عاش إنسان ... لمجرد أن يولد الطفل يعطى ثدي أمه يضع شفثيه على ثدي أمه ، يحكم شفثيه على الثدي ، ولو سمح للهواء أن يمر لا يستطيع الرضاعة فلابد من إحكام شفثيه على حلمة الثدي وبعدها

يسحب الهواء ، هذا منعكس معقد جدا ، حينما يولد الإنسان يكون مزودا بهذا المنعكس .

و ما سوى ذلك من المفاهيم من التخيلات ، يقول لك الطفل الصغير عن كل رجل أبوه ، بعد حين يقول عمو ، فصل بذهنه مفهوم الوالد ومفهوم العم ، أول فترة كل رجل أب وبعد ذلك يظهر عنده مفهوم الرجل ، إنسان يفصل مفهوم الرجل عن مفهوم العم والوالد ، كيف تنشأ هذه المفاهيم ؟ يقول شجرة يتصور الطفل معنى الشجرة ، لا يتصور برتقالة ولا جوز ، يتصور مفهوم مجرد ، شجرة ، لو تتبعنا كيف تتشكل في الدماغ المفاهيم والمصطلحات ، كيف يتعامل الإنسان ويفكر ، كيف يتعامل بالرموز ، لعلمنا أنه عالم قائم بذاته .

مائة وأربعون مليار خلية سمرء لم تُعرف وظيفتها بعد في الدماغ فالدماغ عاجز عن فهم ذاته . فالفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن ينتقل من النعمة إلى المنعم ، وغير المؤمن من الكفار و الفساق و الفجار يستمتعون بالنعمة أعلى استمتاع و لكنهم غفلوا عن المنعم وغفلتهم عن المنعم سوف تودي بهم إلى النار إلى أبد الآبدين . أما المؤمن فيفكر من أين هذه النعمة ، كل أخ منكم يدخل إلى بيته يلقي زوجة لها مشاعر وتفكير ، تجد الطعام جاهزا والبيت نظيفا ، هذه هدية من الله عز وجل .

الإنسان في ساعة غفلة يقول أنا تزوجت وأنا كديت وسعيت بكد
 يميني وعرق جبيني وأسستُ هذا البيت وفرشته وجمعت مهرا
 واخترت فلانة هذه هي الغفلة عن الله عز وجل ، هذه الزوجة هدية
 قدمها الله لك ، وهذا الطفل الذي يملأ بيتك سرورا وسعادة من جعله
 بهذه النفسية اللطيفة ؟ من جعله بريئا من جعله ساذجا ؟ لو كان
 الطفل الصغير يتعامل معك تعامل الكبير لن تحبه ، إذا تكلمت معه
 كلمة ، يخاصمك شهرا .. قد تؤنبه وتوبخه وبعد قليل يقبل عليك
 ويقبلك ، من جعل الطفل بهذه النفسية من الصفاء بهذه الذاتية ،
 من جعل الطفل بهذا الحب الذي أودعه الله عز وجل بقلبه لأمه
 وأبيه .

في علم النفس تجربة هي أن حياة الإنسان النفسية أساسها
 الدماغ هكذا يقول العلماء ، فوجدوا طفلا دماغه سائل ، حالة نادرة ،
 فصار يبكي فلما جاءت أمه سكت ، معنى ذلك أن في الإنسان
 نفسا ، هذه النفس حتى الآن لا يستطيع أحد أن يكشف حقيقتها ،
 أساسا " الإنسان ذلك المجهول " عنوان كتاب شهير محوره أن
 العالم الآن ما عرف إلا شيئا طفيفا عن طبيعة الجسد ، أما طبيعة
 النفس فلا تزال سرا مجهولا ، قال الله تعالى :

وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾

سورة الإسراء

يعني إذا تحدثنا عن اسم الوهاب ورأيت النعم التي وهبك الله
إياها يجب أن يكون رد فعلك هو الحب لله تعالى ، والحب من علامته
الطاعة . يقول الشاعر :

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتِ تَظْهَرِ حُبَّهُ؟! ذَاكَ لِعِ مَرِي فِي الْمَقَالِ شَنِيعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا تحدثنا عن الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الله الوهاب :

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴿٨﴾

سورة آل عمران

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ وَإِلَيْهِ
يَمُنُّ بِقَاءِ الذُّكُورِ ﴿٤٩﴾

سورة الشورى

وَإِنِّي حِفْظٌ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
وَلِيًّا ﴿٥٠﴾

سورة مريم

وَهَبْ ، فعل ماض ، يهب فعل مضارع ، هب فعل أمر ، معقول

أن إنسانا يأمر الله عز وجل ؟ لا فقد قال علماء البلاغة :

إن الأمر إذا كان من أدنى إلى أعلى فهو دعاء

هُتَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾

سورة آل عمران

فإذا كان من مساوٍ إلى مساوٍ هذا التماس ، مثلا .. أنت موظف من المرتبة الأولى جالس إلى المائدة وأمامك بالغرفة نفسها موظف بالمرتبة الأولى لست رئيسه ولا هو رئيسك قلت له: رجاء ، أعطني المسطرة مثلا ، هذا ليس أمرا ولا دعاء هذا التماس ، فمن مساوٍ إلى مساوٍ التماس ، لكن لو وجهت أمرا وأنت معلم إلى طالب أو من ضابط إلى ذي رتبة عالية إلى مرؤوسه فهذا اسمه أمر " الأمر – التماس – الدعاء " وهناك أمر إباحة ، قال الله تعالى :

وَكُلُوا

وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ

سورة البقرة – من الآية ١٨٧

رجل استيقظ في السحور ليس جائعا فإذا لم يأكل يكون قد

عصى ؟ لا قال العلماء هذا أمر إباحة :

وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا

سورة المائدة : من الآية ٢

فإذا كان لا يريد الصيد ، فهذا أمر إباحة . وهناك أمر ندب ، أي استحباب :

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

سورة النور

و هناك أمر وجوب :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥١﴾

سورة النور

و هناك أمر تهديد :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٦﴾

سورة الكهف

إكفر وانتظر ماذا يحصل لك !!! كما تقول الأم لابنها اكسررها لقرى ، تقول له اكسررها ، قالت له اكسررها أمر تهديد ، فالبلاغة ضرورية جدا لفهم كلام الله " .

' رب هب لي " .. معنى هب لي هذا دعاء ، وهب يهب هب .

سؤال : ما اسم الفاعل من هذا الفعل وهب ؟ ..إنه واهب ،
لكن ربنا وهَّاب ، ووهاب صيغة مبالغة لاسم الفاعل .

فإذا أعطاك رجل قلم حبر ، هذا اسمه واهب .. وإذا أعطاك
سيارة قال لك هذه هدية ، هذا لم يعد في نظرك واهب بل وهَّاب ،
عندما يكون العطاء كبيرا نقول وهاب ، فإذا كان العطاء يوميا
متنوعا أو كبيرا كما هو عطاء الله سبحانه، فإننا نستخدم صيغة
مبالغة اسم الفاعل " إنك أنت الوهَّاب " .

ماذا وهبنا الله ؟ ، أول شيء وهبنا الله إياه هو نعمة الوجود ،
بقيود النفوس فلان بن فلان مقيم في مكان كذا " عمارة نارنجية
خانة ٦٧ " فأنت موجود ، لك اسم في السجلات ، من وهبك نعمة
الوجود ، الله عز وجل .

إذن أنت متمتع بوجودك متمتع بصحتك متمتع بالطعام بالشراب
متمتع بزواجك متمتع ببيت ، لك عمل لك شأن اجتماعي ، لك ،
وجودك من وهبك إياه ، الله عز وجل وهبك نعمة الوجود ، أوجدك
وأمدك بكل شيء . فمثلا ، كيف نتعامل مع الحجر بالحديد ؟ نريد أن
نضع لسان " دلالية " بالحجر لغلق الحديد ، إذا حفرت الحجر ،
وأدخلت الدلالية تنزل ، لكن ربنا خلق لنا معدنا نصهره بدرجة قليلة ،
نصبه في الحفرة وحينما يبرد يتوسع ويثبت الحديد .

مرة لفت نظري حقيقة ألغيت وقد ثبتوا سور حديد على الحجر
ولما أرادوا إلغائها قصوا الحديد قصا ، سألت نفسي سوّالا لماذا تم
قص الحديد لماذا لم يُنزع ؟ فلما سألت قالوا قصّه أهون ألف مرة
من نزعه لأنه مثبت بالرصاص ، فلو أن الله عز وجل ما خلق
الرصاص ، هل تستطيع أن تعامل الحديد مع الحجر ؟

ولاحظ طبيب الأسنان يضع لك حشوة الضرس لونها أسود ،
ففيها رصاص ، تتوسع . وخلق لك جبسا ، تصنع إسفيننا في
الحائط ، تدخل خشبة مع جبس ، فعندما يبرد الجبس يتوسع ، كل
شيء يبرد ينكمش ، لكن الله خلق مواد ومعادن على البرودة يزداد
حجمها ، هذا خلق وإمداد منه سبحانه .

خلق الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة له ، وله سيولة
عجيبة يسري في أدق المسامات ... لو كان الماء لونه زهري ،
لضاق الإنسان بحياته ، لو كان الماء حلوا ، لأصبح الطعام وكل
شيء حلوا ، لو كان الماء لزجا ، بماذا يغسل الإنسان جسده
وأشياءه ، فقد جعله الله سائلا لا لون ولا رائحة ولا طعم، ومن نعم
الله أن الماء يتبخر بدرجة أربعة عشر ، فلو كان الماء يتبخر بدرجة
مائة .. لكنا ننظف البيت ، بالشتاء فيبقى للصيف حتى يتبخر ، ولو
أنك سكبت كوب ماء في غرفة لتبخر بعد ساعتين ، والماء يغلي

بدرجة مائة لو كان يغلي بدرجة خمسمائة مثل الزيت لحرق الطعام
أثناء الطبخ !!!

من أعطى الماء خواصه ؟ إنه الوهاب !!!

لو تحدثنا عن الكون كله لتأكدنا من أنه الوهاب ، فمثلاً : جاءوا
بإنسان وضعوا له بصيوان أذنه شمعا فلم يعرف من أين يأتي
الصوت ، هذا الصيوان لو أنك درستة دراسة هندسية ، لوجدت فيه
سطح بكل اتجاه ، من أي جهة يأتي الصوت يجد سطحاً يعكسه إلى
داخل الأذن !!

من أعطاك ذاكرة صوتية ، فتعرف الأصوات وتتعرف عليها
حتى على الهاتف ؟ وإذا سحقت قطعة زجاج تحت الباب ، تنزعج
وتخرج من جلدك فهذا اسمه الضجيج وتطرب لصوت العصفور
وهذا اسمه النغم إنه الوهاب !!! .

من جعل الطعام ذا رائحة طيبة ، فمثلاً اللحم إذا فسد له رائحة
لا تطاق ... و لو جعل الله الطعام المفيد رائحته كريهة والطعام غير
المفيد رائحته طيبة ، كيف يكون الحال ؟؟؟ .

من وهبنا الشمس ؟ أنت تدفع ثمن البيت مائة ألف زيادة إن
كان البيت مُشمساً ، هذه الشمس لا تنطفئ قالوا إن عمرها خمسة

آلاف مليون سنة ، وطمأننا العلماء قالوا ستبقى خمسة آلاف مليون سنة أخرى ليس لنا مشكلة مع الشمس ، " إنك أنت الوهاب " .

من جعل القمر في السماء تقويماً ، لتعلموا عدد السنين و الحساب و كل شيء فصلناه تفصيلاً ؟ إنه الوهاب !!! .

من جعل الرياح تتحرك ، تنشط ، و تتعش الإنسان ، تتبدل الأجواء حينما يكون فيها تلوث أو غبار أو روائح كريهة ، إن تحريك الرياح و تخزين المياه في الأرض من نعم الله العظمى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٣٧﴾

سورة الحجر

مرة أجرينا حساب فلو أراد كل إنسان أن يخزن احتياجه من الماء عن سنة تقريبا لاحتاج إلى خزان يعادل مساحة بيته تماما ، فإذا كان بيتك مائة متر مربع فإنك تحتاج إلى خزان مائة متر مكعب ، قال الله تعالى : " وما أنتم له بخازنين " .

إن تخزين المياه بالينابيع شيء لا يصدّق ، من خزن هذه الأمواه ؟ ، أمواه جمع مياه . " إنه الوهاب " .

تعريف الهبة ؟ .. إذا قال رجل لآخر وهبتك هذا الكتاب بمائة ليرة هذا الكلام في الشرع عقد بيع ، ما دام قال له وهبتك ، فهذا

عقد بيع ولا عبرة لكلمة وهبتك . وإذا قلت بعتك هذا الكتاب بلا ثمن ، هذا عقد هبة ، ما تعريف الهبة إذن ، " تملك بلا عوض " لذلك بعض الناس حتى يتهربوا من ضريبة انتقال الملكية ، صاروا يقبضون الثمن سرا والعلن هبة ، فانتبهت الدولة ووضعت ضريبة على الهبة ، فهذا ليس هبة ، هذا بيع غير مصرح به ، الهبة تملك بلا عوض .

إذا كان هناك رجل عنده ابن متدين خلوقة بار بوالديه خدوم لطيف مهذب ، فإذا قال أنا تعبت في تربية ابني كثيرا ربيته وعلمته وحرصت عليه ، هذا الكلام صح أم خطأ ؟ أنا أقول لك إن هذا الكلام خطأ ، قال الله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

سورة الإنعام

يعني بلا عوض ، فإذا أعطاك الله ولدا بلا عوض فهذا هبة من الله وقد تكون أعظم إنسان ، يأتيك ولد يحيرك يجعل حياتك شقاء ، وكثير من الأشخاص في أعلى مستوى من العلم أبناءهم ضالون ، سمعت عن إمام بالمسجد النبوي إذا ذكر بابنه يموت من البكاء ، ابنه منحرف انحرافا شديدا ، فالأمر إذن ليس باليد ، فإذا وهب الله لرجل

ابنا صالحا مطيعا بارا فلا بد أن يقبل الأرض شكرا لله عز وجل ، فلا يرجع ذلك لذكائه " أنا أب ناجح أنا فوق رأس أبنّي " إذا كان الابن منحرفا فمهما كنت رقيبا عليه قد يتفقت منك ، فكلمة : " ووهبنا له إسحاق ويعقوب " تعني أنه هذا عطاء بلا عوض فأنت لم تقدم شيئا أنت تلقيت هذه الهبة من الله عز وجل .

إذن الهبة عبارة عن التملك بغير عوض ، والوهاب صيغة مبالغة من وهب ، بناء على هذا التعريف هل يصح أن نقول إن فلانا وهب فلانا ؟ أتصدق إنسانا في الأرض يعطي شيئا بلا عوض ؟ لا يفعل ذلك إلا مؤمن يرجو الثواب من الله عز وجل ، يطمع برضاء الله عز وجل ، يقدم شيئا بلا مقابل !! ينطلق إلى خدمة الناس بلا مقابل !! يسعف المريض بلا مقابل، يقول لا أريد شيئا ، أنت مصدق أنه لا يريد شيئا !؟

لو رجل قال لمعلم ، علم فلانا دروسا خاصة ، وخذ على كل درس مليون ليرة ، تأخذها مني ، ولا تأخذ شيئا منه ولما ذهب أخذ من الطالب مائة ليرة ، فلما أخذ مائة من الطالب فقد حقه عند الأول .

فالذكي لا يطلب الأجر من الناس ، بل يطلب الأجر من رب الناس فهل تصدق إنسانا يطلب شيئا بلا عوض ، أعلى عوض أن

تطلب رضاء الله عز وجل ، أن تطلب جنّته ، أن تطلب ما عنده ، أن تطلب توفيقه ، إذن لا بد من عوض .

فلا يصح أن نقول فلان وهب إلا مجازا ، لكن الإنسان أحيانا يهب شيئا وبنيته أن ينال المديح ، فهذا هو العوض ، ثناء الناس عليه هو العوض أحيانا يتفاخر أمام الناس فيدفع مبلغا ضخما لجمعية خيرية ، ويتمنى أن يشيد الناس به ، يقول أنا دفعت ، يريد لوحة رخامية ، يريد أن يُقرأ اسمه ليعرفونه، لماذا هذا الكلام ، يريد عوضا ، إذن تملك بلا عوض ، لا يصح إلا من حضرة الله عز وجل .

و شيء آخر إذا وهبك إنسان شيئا فمن هو الواهب الحقيقي ، فمن ألقى في قلبه أن أعط فلانا ؟ الله عز وجل .

أحد العلماء الأجلاء في طرابلس الشام ، يسكن في بيت أجرة ويبدو أن صاحب البيت أراد أن يخرج من البيت والقانون معه ، فأقام عليه دعوى واستحق الحكم ، والعالم ليس له بيت وهو رجل صالح ، والقصة غريبة جدا ، فأحد كبار أغنياء طرابلس رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اشتر فلان بيتا ، وهذا الرجل ميسور الحال فما صدّق ، بحث عنه حتى وجده ، فقال له انتق أي بيت تريد .

لا تظن أن إنسانا يعطي شيئا إلا والله عز وجل ألقى في قلبه الدافع ... أحيانا تكون أمام موظف يقول لك موافق ، فإذا أردت الحقيقة فهذه من الله ، فإذا كان الله يريد أن يؤدبك يخلق لك ألف عبة ، تحتاج المعاملة إلى توقيع ، تحتاج إلى تصديق من السفارة السورية في الدولة الفلانية .

فإذا عاونك إنسان يجب أن تعتقد اعتقادا جازما أن الله عز وجل ألقى في روع هذا الموظف أن يتساهل معك ، ألقى عطفًا عليك في قلبه ألقى رغبة بمساعدتك .

بناء على هذا ألا أشكر الموظف ؟ فإذا أحدهم قدم لك خدمة فلا بد أن تشكره ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ "

لأن هذا الإنسان خدمك وهو واعٍ وعاقِلٌ وخدمك بمحض اختياره ، لكن الله عز وجل ألقى في روعه ودفعه لخدمتك ، فيجب أن تشكر الله أولا على أنه ألقى في قلبه رغبة في خدمتك وأن تشكر هذا الإنسان ثانيا على أنه خدمك مختارا ؛ عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استعاض بالله فأعذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن استجار بالله فأجبروه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه .

فالمسلون يعرفون كلمة الله يجزيك الخير وأكثر الله خيرك ، هذا كله كلام فارغ ، فإذا قدم لك إنسان خدمة يجب أن تقدم له خدمة مقابلها أما إذا كنت عاجزا لا تملك ، فالآن مقبول منك أن تقول جزاك الله عني خيرا ، وهذه كبيرة جدا ، إذا كنت فعلا عاجزا عن رد جميله عاجزا عن مقابلة هديته بهدية ، وقلت له جزاك الله عني كل خير مقبولة منك .

تعلمت هذا من موقف لسيدنا ربيعة ، فسيدنا ربيعة خدم النبي عليه الصلاة والسلام . بعد أيام قال له يا ربيعة سألني حاجتك ، قلت سبحان الله نبي الله ، رسول الله ، ألا يستحق أن تقدم له خدمات بلا مقابل ، لقد رأها دينا عليه ، هذا هو الكمال .

و لا تذكر أفعالك الطيبة ولا تنس كل فعل طيب أسدي إليك ، فإذا خدمت إنسانا فالكمال يقتضي أن تنسى هذا المعروف وكأنك ما فعلته لأنك فعلته من أجل الله عز وجل ، قال الله تعالى :

إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤْفَةِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾

سورة الإنسان

أما إذا خدمك أحد خدمة فإنه يعد جريمة إذا نسيت الفضل منه مع اعتقادك أن هذا الذي جاءك عن طريق فلان من الله عز وجل ، فهو سبحانه الذي ألهمه أولاً ، وثالثا مكنه ، فلو ألهمه وما سمح له ، " يقول لك العين بصيرة واليد قصيرة " وأحيانا إنسان يحسب أن

يخدمك ، ولا يقدر ، يقول لك " لم أستطع " هو راغب في خدمتك ،
هنا يكون ألهمه ولم يسمح له ، فإذا إنسان قدم لك خدمة فهذه يجب
ألا تنسى . كما قال عليه الصلاة والسلام : " من أسلم على يد رجل
فله ولاؤه " .

الإنسان يعطيك حاجة تنتهي بانتهاج الحياة ، أما إذا ساق لك الله
الهدى عن طريق إنسان ، فهذا أعطاك شيئاً يستمر معك إلى أبد
الآبدين فربنا عز وجل قال :

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً
نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٣﴾

سورة الشورى

فإذا شرب الإنسان من نبع لا يجوز له أن يبصق فيه. ولا يكون
كما قال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني!!!

فإذا ساق الله له الهدى عن طريق إنسان ، فلا يتنكر للفضل ولا
للجميل ، و هذا من لوازم الإيمان .

فالذي ألقى في روع الإنسان أن يخدمك هو الله والذي مكن هذا الإنسان أن يخدمك هو الله ، الملهم هو الله والفعال هو الله .

ألم يحدث معك أن إنساناً خدمك وتعجبت لماذا خدمك !!! لا يوجد معرفة سابقة معه ، قد لان معك ، يسر لك أمرك ، تساهل معك ، إذن موقفك السليم الموحد ، أن تقول يا رب لك الحمد .

السيدة عائشة رضي الله عنه لما نزلت الآيات بتبرئتها قال لها أبوها قومي إلى رسول الله .. قالت لا والله لا أقوم إلا إلى الله . فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئاً ، الأصل أن الله عز وجل برأها ، ثم قامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رجل قتال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما شاء الله وشئت " ، فقال له : " أجعلتني مع الله ندأ ؟ بل قل : ما شاء الله فقط " .

قالوا الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال واللفظ والإقبال يعطي من غير سؤال ولا يقطع عن العبد فضله في كل حال .

و الوهاب من يعطيك بلا وسيله وينعم عليك بلا سبب ولا حيلة.

و الوهاب هو الذي يعطي بلا عوض ويؤميت بلا غرض .

نحن عبيد لله عز وجل ، وكل ما نحن فيه فضل من الله عز وجل فيجب أن تعلم علم اليقين أن كل نعمة أصبحت بها فمن الله ،

وكلكم يعلم أن الشكر ثلاث مراتب ، أول مرتبة أن تعلم أن هذه النعمة من الله هذا أحد أنواع الشكر ، وأن يمتلئ قلبك حمداً لله هذا نوع آخر ، وأن تنطلق لخدمة العباد وهذا أرقى أنواع الشكر ، قال الله تعالى :

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾

سورة الرحمن

يعني يا عبدي إذا استقيمت على أمري وخدمت عبادي وذللتهم علي وراعتهم ونصحتهم وعاونتهم وتكرمت عليهم ، فقد أحسنت لعبادي هل أنساك من إحساني !!؟؟ هل جزاء إحسانك يا عبدي إلا أن أحسن إليك؟! الله شكور .

و الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

و القصص التي تؤكد أن الله وهاب كثيرة جدا في كل مكان وكل زمان لكن هناك قصة وقعت لأحد إخوتنا الكرام يعمل في عمل دخله بالشهر ثلاثة آلاف ، له أخ مؤمن فقد عمله ، ففقد دخله كلياً ، فلما شكاه له همه ، قال له تعال واعمل معي وخذ نصف الربح ، وهو دخله ثلاثة آلاف ، أقسم لي وهو صادق ، أول شهر ربح عشرة أمثال الدخل السابق ، عشرة أمثال !!!! " إنه هو الوهاب " . لذلك قال صلى الله عليه وسلم لبلال الفقير : " أنفق بلالا و لا تخش من ذي العرش إقلالا " .

لكن إياك أن تؤثر الخلق على الله ، فتنفق من دينك إكراما للناس فهذا ليس هبة ، لا ينبغي أن تؤثر جهة دون الله على الله .

الشبلي أحد العلماء سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي ، قال أي اسم من أسماء الله تعالى يجري على لسانك ، قال الوهاب ، لأن أحد هيات الله عز وجل هو وجودك .

أما حظ الإنسان من هذا الاسم فهو أن يبذل مما آتاه الله عز وجل : من علمه من خبرته من وقته من عضلاته من جهده من مكانته من جاهه ، هذا الذي يستفاد من هذا الاسم .

والحمد لله رب العالمين

طالما طالما
طالما طالما

مالك الملك

أيها الإخوة المؤمنون : الاسم اليوم: مالك الملك ، وهو من
أسماء الله تعالى الحسنى ، بدليل قوله تعالى :

مَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦٧﴾

الأعراف : الآية ١٨٠

إذا قلت : يا مالك الملك بك أستجير ؛ فهذا دعاء صحيح .

و في القرآن الكريم ورد اسم الملك ، و المالك ، و المليك ،
و مالك الملك و الملكوت ، حصرا ، أما اسم الملك ففي ، قوله
تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

سورة الحشر : الآية ٢٣

و في قوله تعالى :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾

سورة الناس : الآية ١ - ٢

و أما اسم المالك ففي الفاتحة الشريفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

سورة الفاتحة : الآية ٢ - ٤

وأما المليك ففي قوله تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ

سورة القمر : الآية ٥٤ - ٥٥

و أما مالك الملك فقد ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦١﴾

سورة آل عمران : الآية ٢٦

و أما الملكوت ففي قوله تعالى :

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

يس : الآية ٨٣

أيها الإخوة الكرام : قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم

الجليل : أريد أن أقف قليلا عند خطورة هذا الموضوع . فالله سبحانه

و تعالى لا تدركه الأبصار ، و قد أمرنا أن نؤمن به ، و أن نعبده ،
و أن نتوجه إليه ، و أن نحبه . قربنا عز وجل تيسيرا لنا كي نعبده ؛
ذكر أسماءه الحسنی في كتابه الكريم ، وجعل الكون كله دالا عليه ،
وجعل الكون كله مظهرا لأسمائه الحسنی وصفاته العظمی . فأنت
حينما تبحث في أسماء الله الحسنی ، تتعرف إلى الله . وكما ازددت
معرفة بأسمائه الحسنی ، ازددت معرفة به . فالشيء المادي بإمكانك
إدراكه باللمس ، و أن تعرف وزنه ، وطوله ، وارتفاعه ، وعرضه ،
وحجمه ، ولونه ، وخصائصه ؛ لكن إذا أردت أن تتعرف إلى الله عز
وجل ، في الحياة الدنيا يستحيل أن تدركه بحواسك ؛ لا بد من أن
تدركه بعقلك . قد تقول أن هذا الكون يدل على خالق عظيم ، ومسیر
حكيم ، ومرباً رحيم . ولكن التفاصيل ؛ ما صفاته ؟ وما هي
أسمائه ؟ هو رحمن رحيم ، ملك ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ،
القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر .
فحينما تجول في هذا الموضوع ، فأنت في الحقيقة تجول في أخطر
موضوع على الإطلاق لأن الله سبحانه وتعالى هو كل شيء ؛ هو
الأول والآخر ، والظاهر والباطن . يقول سبحانه في الحديث
القدسي : " ابن آدم اطلبني ؛ تجدني ، فإذا وجدتنني ، وجدت كل
شيء " .

يا رب ماذا فقد من وجدك " وماذا وجد من فقدك " وإذا كان الله معك فمن عليك " وإذا كان عليك فمن معك ؟

أيها الإخوة الكرام : باب الأسماء الحسنی من أخطر الموضوعات في الدين ، لأنك من خلالها تتعرف إلى أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى . الحقيقة أن الإنسان لا يحب جهة ما لاسمها ؛ ولكن يحبها لصفاتها . فكلما تعرفت إلى أسمائه الحسنی ، وصفاته العلیا ، كانت عبادتك أصح ، وكانت خشيتك أكبر ، وكان إقبالك أشد .

يقول عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي هريرة لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر (و ممكن أن نقول : وتر يحب الوتر) وفي رواية ابن أبي عمير : من أحصاها

صحيح مسلم ، فما معنى من أحصاها ؟ الله عز وجل قال :

لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

مريم : الآية ٩٤

الإحصاء شيء والعد أو التعداد شيء آخر ، تقول : كم طالبا في الصف ؟ إذا ذكرت عددهم ، كان هذا تعدادا . أما إن ذكرت أعمارهم ، مستوياتهم ، ورجاحتهم ، أخلاقهم ، طموحاتهم ، اجتهدهم أو صافهم ، كان ذلك إحصاء ، فالعد كمي ، أما الإحصاء

فهو نوعي . فالله أراد منا الإحصاء لا التعداد لأسماءه ، بل أراد منا أن نحصيها ومن أحصاها دخل الجنة ، هناك معنى ضمني ؛ وهو من أحصاها أي : من تعرّف إليها فأقبل على الله واستقام على أمره ، سعد في الدنيا ، وفي الآخرة أكرم بالجنة . فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ؛ إذ أنه في الحديث الصحيح يؤكد لنا أنك إذا أحصيت أسماء الله الحسنى ، دخلت الجنة .

لكن بالمناسبة نقول : ليس كل الأسماء الحسنى وردت في الحديث الشريف ، لعل النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأسماء الحسنى التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها ؛ فهناك أسماء حسنى كثيرة وردت في كتاب الله ولم ترد في هذا الحديث ، والأسماء الحسنى التي وردت في هذا الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي

الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواحد
الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف
مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع
الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور" رواه
الترمذي

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أروي لكم هذا الدعاء النبوي ،
يروى عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قال عبد قط إذا أصابه هم
وحزن : " اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك
ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت
به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو
استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ،
ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، إلا أذهب الله عز وجل
همه ، وأبدله مكان حزنه فرحا . قالوا : يا رسول الله ، ينبغي لنا أن
نتعلم هؤلاء الكلمات ؟ قال : أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن " .
رواه أحمد

نتيجة الدعاء به : إلا أذهب الله حزنه ، وأبدله مكانه فرحا
هذا الدعاء ؛ لا بد أن يحفظه المؤمن ، حتى إذا أصابه مكروه

أو هم أو حزن دعا به ، والنبي صلى الله عليه وسلم صادق
مصدق .

قال تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٦﴾

آل عمران: الآية ٢٦

المَلِكُ هو الكون . والكون ما سوى الله ؛ فالله واجب الوجود ،
و الكون ممكن الوجود ، ما سوى الله هو المَلِكُ . لكن السؤال : "
لماذا جاءت كلمة المَلِكُ بصيغة المفرد؟ " ، مع أن هناك سماوات ،
ومجرات ، وكازرات ، ومذنبات ، وثقوب سوداء ، ومسافات بينية
شاسعة ، والأرض فيها أودية ، وجبال وصحراء وسهول وطيور
وحوانات وإنس وجن

خلق كثير لا يعلمهم إلا الله أسماك - نباتات - عوالم - في
البحار وحدها أكثر من مليون نوع سمك . كل هذا الكون سماه الله
مَلِكًا بلفظ المفرد فما حكمة ذلك ؟ هناك حكمة كبيرة جدا ؛ وهو أن
الكون كله متناسق مع بعضه بعضا ، كل جزء فيه يعمل للمجموع ،
لأن الله سبحانه و تعالى صممه لذلك؛ فالحيوان للإنسان ، والنبات
للحيوان ، والتراب للنبات ، والماء للتراب ، وحجم الأرض يتناسب

مع طاقة الإنسان وسرعتها حول نفسها تتناسب مع إمكاناته
وهكذا ... أهم كلمة في هذا الكون أنه وحدة متكاملة ، والله سبحانه
وتعالى مالك الملك وأمره نافذ فيه . يوم القيامة يقول الله عز وجل :
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ ۙ إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ تَصِيرُ
الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

الشورى : الآية ٥٣

قد يسأل سائل بيد من كانت ثم آلت إليه ؟ الحقيقة : هي إليه
في الأول و الآخر ؛ ولكن أهل الدنيا والمشركين و الكفار ، والفجار ،
والمنافقين ، وضعاف الإيمان ، يرون في الأرض آلهة كثيرة ؛ مراكز
قوى ، وأشخاصا أقوياء ، يأمرون فيطاعون ، ويدمرون ...
يرفعون ... يخفضون ... أما المؤمن فلا يرى إلا الله في الدنيا ،
يرى أن :

يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

سورة الفتح : الآية ١٠

يرى أن :

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ

سورة الحديد الآية : ٣

يرى أنه

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا
مُرْسِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ

سورة فاطر : الآية ٢

يرى أنه :

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

سورة الأعراف : الآية ٥٤

يرى

اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

سورة الزمر : الآية ٦٢

يرى :

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ

سورة هود : الآية ١٢٣

فهذه رؤية المؤمن ، لا يرى مع الله أحدا ، وهذا هو التوحيد ،
وما تعلمت العبد أفضل من التوحيد ، لكن العصاة والمشركين
والكفار يرون أشخاصا أقوياء أرادتهم نافذة ، أما الحقيقة هو أنه لا
ينفذ في كون الله إلا إرادة الله . ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم
يكن .

وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ

سورة الرعد : الآية ٤١

مَنْ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِثْلَهُ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

سورة الكهف

فالمؤمن الصادق لا يرى مع الله أحدا ، يرى صوراً وذمى
تتحرك في الخفاء ، لكن الله هو كل شيء ، قال تعالى :

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ

سورة الحديد : الآية ٣

لذلك :

آلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

سورة الشورى : الآية ٥٣

حتى الكفار يوم القيامة يرون أن الأمور كلها بيد الله . أما
المؤمنون فهم وحدهم الذين يرون هذه الحقيقة في الدنيا ، الكفار
تغيب عنهم هذه الحقيقة فيرون الأمور بيد زيد أو عبيد ، تذكرون :
أن التابعي الجليل الحسن البصري كان عند والي البصرة للخليفة
يزيد بن معاوية ، فجاءه البريد يحمل توجيها ؛ إن نفذه ، أغضب الله
سبحانه وتعالى ، وإن لم ينفذه ، أغضب الخليفة وربما أراحه من
مكانه . فوقع في حيرة شديدة فسأل الحسن البصري ، فقال الحسن

البصري : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .
بمعنى أنه إذا غضب أهل الأرض جميعاً عليك والله راض عنك ، فلن
يستطيعوا أن يفعلوا لك شيئاً .

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك
إلا بشيء قد كتبه الله عليك . "

فملخص الملخص : ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . معنى
مالك الملك ؛ فهذا الكون العظيم تحكمه إرادة واحدة نافذة فيه هي
إرادة الله . قال تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَأَرْزَيْتَتْ وُظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَنَدِرُونَ عَلَيْهَا بِأَمْرِنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَكُنْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٤﴾

سورة يونس : الآية ٢٤

أتاها أمرنا - لا أمرهم - يقول مثلاً : الدولة الفلانية عندها
قنابل نووية كافية لتدمير الأرض خمس مرات الآن هي في
الحضيض ، في الوحول ، هي الآن ، كل أنواع السقوط في هذه
الدولة ، قال تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

سورة يونس : الآية ٢٤

فهذا المَلِكُ العظيم ، فيه إرادة واحدة نافذة ؛ هي إرادة الله .
بربك إذا أيقنت هذا اليقين هل تتوجه لغير الله ؟! هل تخشى غير
الله ؟ هل ترجو غير الله ؟ هل تطمح إلى غير الله ؟ هذا هو
التوحيد ؛ كلها تؤدي إلى الله عز وجل .

يقول الإمام الغزالي : مالك الملك ؛ هو الذي تنفذ مشيئته في
مملكته كيف يشاء وكما يشاء ؛ إيجادا وإعدامًا ، إبقاء وإفناء ،
والمَلِكُ هنا ؛ بمعنى المملكة ، والمالك ؛ بمعنى القادر التام القدرة .
والموجودات كلها مملكة واحدة ؛ لأنها متناسقة مرتبطة بعضها ببعض
فإنها تعني أن حجم الأرض متناسب مع الإنسان . أحيانا لو وجدت
قفلا في بيت ، و وجدت مفتاحا في آخر ؛ هذا المفتاح فتح ذاك
القفل ، تقول : كلاهما من مصنع واحد ، طالما فيهما انسجام .

أحيانا يشتري أحدنا قطعة لسيارته ، تأتي هذه القطعة في مكانها
الصحيح بالمليمترات . معنى ذلك ؛ أن المحل واحد . والذي صمم
واحد والذي أعطى القياسات واحد . فهي وإن كانت كثيرة من وجه ؛
إلا أنها وحدة واحدة ، الكون كله يعمل بالتنسيق ، فالانسجام دليل
وحدة الخالق .

هناك معنى واسع ، وهناك معنى واحد ؛ خمسة آلاف مليون
إنسان كل واحد يحمل قزحية عين تختلف عن الأخرى ؛ من أجل
ذلك صممت أقفال لا تفتح إلا على قزحية العين . لأن إنسانا واحدا

في الأرض لا يمكن ان يشبهك في قزحية عينك ،معنى ذلك أن الله واسع . كما أن لكل إنسان رائحة جلد لا يمكن أن يشركه فيها أحد من الخلق وأساس الكلب البوليسي رائحة الجسم ، ونبرة الصوت كذلك لا يمكن أن تتشابه في الأرض نبرتان . تعرف الشخص من نبرات صوته ، فأصبح لدينا قزحية العين ، ورائحة الجلد ، ونبرة الصوت ، بصمتين ، وبلازما الدم ، كذلك اكتشفوا الآن مليارين ونصف وحدة نسيجية . يعني أن هناك واحد فقط في الأرض وحدته النسيجية تشبه وحدتك ، وبصمة اليد هذه الأتملة بمعنى أنه لو وجد مئة نقطة بين جزيرة ، وخليج ، ورأس ، ونتوء ، وفرع ، وغصن ، هناك مئة صفة لبصمة اليد . ولو تشابهت سبع صفات في بصمتين لكات لإنسان واحد بصمة اليد توقيع . فهذه الاختلافات كلها تعني أن الله واسع . بالمقابل تجد أن شركة أدوية تصنع دواء في بلد ما كندا مثلا ؛ فإذا استعمل شخص من استراليا نفعه هذا الدواء ؛ ما معنى هذا ؟ هذا يدل أن الخلق واحد في البنى الأساسية ، وفي الخصائص ، إذن هناك وحدة في الخلق . تجد طبيبا درس الجراحة ببلد ما ؛أمريكا مثلا يقول في اختصاصه أن العصب الفلاني على بعد ٢سم من مكان كذا ... بالتفاصيل الدقيقة ثم يقيم عملية جراحية بالخليج لإنسان في عروق وأعصاب كما درسها هذا الطبيب في أمريكا ، من هنا قال بعض العارفين : والله يا رب لو تشابهت ورقنا زيتون ، لما سميت الواسع . وأقرب من هذا وجوه البشر ؛ فكل

واحد من له شكل وطريقة في العيش فهذا يدل على سعة الخلق
وحيثما تكون الأجهزة واحدة ؛ القلب واحد ، والرئتان ، المعدة ،
الأمعاء ، الشرايين ، الأوردة ، الأعصاب ، العظام ، خصائص
العظام ؛ زمن التحامها ، الطبيب مثلا من مصر ودرس في روسيا ،
والمريض في أفريقيا . معنى ذلك أنه يوجد قواعد عامة في الجسم .

فإنه عز وجل واحد واسع ، أما لو قلت لمهندس ما : لنا بناء
يمكن أن يرسم مخططا وآخر و آخر ثم يقف . ومثل ذلك هندسة
السيارات يصممون شكلا بيضويا ثم شكل زوايا حادة ثم يعودون
للشكل البيضوي . أي أن طاقة الإبداع محدودة عند البشر . أما في
صنع الله ؛ إذا رأيت أنواع الأشجار في الأرض تجد أمورا لا إبرية ،
وأوراق دائرية ، وأوراق مسننة ، وأوراق مفلطحة ، أوراق خضراء
مع لون آخر ، وأوراق واسعة ، وأوراق صغيرة ، وأوراق كبيرة ،
وتلك تحمل الألوان الجذابة ؛ فلو دقت في أنواع الأوراق ، لأخذك
العجب العجاب .

أيها الإخوة : الله عز وجل مالك الملك ؛ أي مشيئته في ملكه
كما قاله الإمام الغزالي . وقيل مالك الملك ؛ هو المتصرف في ملكه
كيف يشاء ، ولا راد ، ولا أمره . والوجود كله من جميع مراتبه ،
مملكة واحدة لمالك واحد وهو الله تبارك وتعالى .

لو لاحظت البشر في كيفية ملكهم تجد أصنافاً شتى ، فإذا قلنا :
 فلان يملك هذا البيت فهو يملك ولا يملك منفعة ، المستأجر لا ، فإذا
 كنت مالك المنفعة العين يعني البيت ؛ لا تملك المصير ؛ حيث أنه لو
 صدر قانون استملاك ، يضيع البيت من يدك! . فهناك عين ، و ملك
منفعة ، و ملك مصير . أما إذا قلنا : الله مالك الملك ؛ فهو مالك
الوجود خلقا ، و تصرفا ، و مصيرا ، أحيانا مثلا : بلد يبيع آخر
طائرات . كان للطائرات ؛ فلما باعها شاريها . وأصبحت هذه
 الطائرات بأمر شاريها . لكن الله عز وجل يقول :

اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

سورة الزمر : الآية ١٢

كلمة مالك تعني : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كل شيء
 وقع إرادته الله ، وكل شيء إرادته الله وقع . هذا هو معنى مالك
 الملك .

قال تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ
 وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٦﴾

سورة آل عمران : الآية ٢٦

إذا أعطى الله عز وجل لإنسان ، يعطيه الهيبة ؛ فكلهم يخافونه ؛ فإذا أراد أن ينزع منه الملك ، ألغى هيبتَه ؛ فكلهم يجترىء عليه أحد القواد العظام في العهد العباسي بلغت شهرته الآفاق حتى صارت الأمهات أولادهن به ، فلما دخل على هارون الرشيد ، رآه صغير الجسم ، قصير القامة نحيلًا ، فقال له : أنت فلان ؟ ! فقال له : "حبذا لو رأيتني وقد أسبغ الهيبة ، أما الآن فقد نزعها " فالإنسان إذا نزع الله منه الهيبة صار شخصًا تافها ، قال تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَنِيكَ أَلْمَلِكِ تُؤْتِي أَلْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ أَلْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ أَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ



سورة آل عمران : الآية ٢٦

أروع ما في الآية ؛ أنه لو قال الله عز وجل :

قُلِ اللَّهُمَّ مَنِيكَ أَلْمَلِكِ تُؤْتِي أَلْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ أَلْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ أَلْخَيْرُ

سورة آل عمران : الآية ٢٦

صار هناك . لكن تؤتي الملك من تشاء ؛ وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ؛ بيدك الخير ، الخير فقط الإعزاز خير والإذلال خير ، فمعنى الآية دقيق فالإعطاء خير والمنع خير ، والإيتاء خير والسلب خير ؛ فكل هذا خير . ربما أعطاك

فمنعك ، وربما منعك فأعطاك . لذلك سنرى أنه يوجد أسماء لله متقابلة ؛ المعطي المانع ، القابض الباسط ، النافع الضار ، الرافع الخافض ، المعز المذل .

قال العلماء : هذه الأسماء بالذات لا يجوز أن تذكر وحدها ، فيجب أن تقول الضار النافع ، المعز ، المعطي المانع ، القابض الباسط ، لماذا هذا الاقتران ؟ لأن الله يضر لينفع ، ليعز ، ويمنع ليعطي ، ويقبض ليبسط ، وأوضح مثال على ذلك : أن تجد الأب يقسو على ابنه في الصغر ، كي يصنع منه رجلا في المستقبل كل هذه الشدة من الأب هي لصالح الابن . كل هذه الشدة صنعت منه إنسانا متفوقا فهذه الأسماء المتقابلة ؛ لا يجوز أن نذكر واحدا منها من دون ذكر ما يقابله

يقول أحد المفسرين : مالك الملك ؛ هو الملك الحقيقي . لذلك ورد في الحديث القدسي " أنا ملك الملوك و مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي فإن العباد أطاعوني ، حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرفقة . وإن العباد عصوني ، حولتها عليهم بالسخطة ؛ فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم بصلاحكم " .

يقول أحد المفسرين : مالك الملك ؛ هو الملك الحقيقي ، المتصرف بما شاء وكيف شاء ؛ إيجادا وإعداما ، إحياء وإماتة ،

تعذيباً ورحمة ، من غير مشارك ولا ممانع . وقد اسم مالك الملك مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية الأنفة الذكر .

من أدب المؤمن مع هذا الاسم أن العبد من ذكره ، وبذلك يغنيه الله عن الناس . لكن هناك وقفة قليلة . وهي: هل أنت تملك سمعك ؟ هل تملك بصرك ؟ هل تملك ؟ هل تملك أعصابك ؟ هل تملك سيولة الدم ؟ هل تملك استقامتك ؟ هل تملك نمو خلاياك ؟ فأنت إذا أصابتك جلطة دموية ، ت بحياتك إلى الهلاك . فهذا ليس إلا تجمد نقطة في الدم ، وكذلك نمو الخلايا العشوائي ، أنت لا تملك شيئاً من جسمك ، وإنما يعطيك الله صحة طيبة كي تستمتع بها ، فهو سمح لك بالاستمتاع بها ولكنه هو المالك لها . يلنا أن شخصاً ذهب إلى فرنسا وحاز أعلى الاختصاصات ، وتوظف في مناصب جيدة ، حتى حاز على درجة مساعد وزير . بعدها أصيب بذهاب بصره مما أدى إلى إخراج من عمله ، فزاره أحد الأصدقاء فقال له : أتمنى أن في الطرقات ، وأن يرجع إلي بصري فكلمة مالك الملك تعني ؛ أنك لا تملك شيئاً ، لأنك لو بخل بسيط في القلب ، أودى هذا بحياتك ؛ فأنت لا تملك شيئاً من جسدك ، و لا أعرف شخصاً معرفة جيدة وهو من الأفراد المرموقين في البلد ، أنه خرج مرة من بيته فنسي في الرجعة أين يسكن ! حتى تذكر بيت ابنه فدله ابنه على بيته . فسبحان الله هناك بعض الحالات لمفاجئ يموت الإنسان بلا أي سبب فلا يمكن

للعبد أن يكون مالكا يروي الرازي عن سفيان بن هذه القصة قال :
بينما أنا أطوف بالببيت إذ رأيت رجلا وقع في قلبي أنه من عباد الله
لله فأخلصه الله من الشوائب - فدنوت منه فقلت : هل تقول لي شيئا
ينفعني الله به ؟ فلم يرد علي ومشي في طوافه ، ولما فرغ صلى
خلف المقام ركعتين ثم دخل الحجر فجلس ، فدنوت منه فقلت : هل
تقول لي شيئا ينفعني الله به ؟ قال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟
قال : لا ، فقال : لقد قال : أنا الحي الذي لا أموت ، هلموا
أطيعوني أجعلكم أحياء لا تموتون فالإنسان إذا أطاع الله يكون موته
تحفة وعرسا و موته انتقال من الدنيا التي هو سعيد بها بمعرفة الله
إلى جنة الله في الآخرة ، لذلك من الأدعية اللطيفة : اللهم اجعل
نعمك متصلة بين الدنيا والآخرة . فالخط البياني للمؤمن في
صعود ، وموته نقطة على هذا الخط . أنا الملك الذي لا أزول هلموا
أطيعوني ، أجعلكم ملوكا لا تزولون .

لو أنك عرضت عن الدين و عن الآخرة وعن منهج الله ؛
فمهما كسبت من المال ومن المناصب ، فكل هذا نهايته قبيحة
وتجعلك في قلق . نعم هناك صعود ، لكن يوجد سقوط بعد الصعود ،
والموت هو السقوط . لكن المؤمن في صعود ليس بعده سقوط هذا
الشعور لا يوصف فهو في طمأنينة من ناحية المستقبل ، يمشي في
طريق سالك إلى جنة الله ، يمشي على طريق ينتهي به إلى الجنة .

أما أهل الدنيا ، فالطريق عريض ، ولكنه ينتهي إلى حفرة سحيقة .
وفيها وحوش كاسرة وقلق دائم لذلك فالمبالغة بالنعيم ، و المبالغة
بالانغماس بالذات؛ عملية تعويض لما يصيبه من قلق و خوف .
لذلك يبالغ بالرفاهية و الاعتناء بمظاهر الحياة و كأنه سيعيش مئات
السنين . يوجد قلق و خوف أساسه بالشعور أن بعد هذا الصعود
هناك سقوط . أما المؤمن فهو مرتاح من هذا القلق لأن حياته صعود
بلا سقوط ، و نمو بلا تراجع ، و سعادة بلا شقاء ، و حياة بلا موت
لقوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرَزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

آل عمران: الآية ١٦٩

أنا الملك الذي لا أزول ؛ هلموا أطيعوني ، أجعلكم ملوكا لا
تزولون .

أنا الملك الذي إذا أردت شيئا قلت له : كن فيكون ؛ هلموا
أطيعوني ، أجعلكم إذا أردتم شيئا أن تقولوا له : كن فيكون ، أي
أصبحتم مستجابي الدعاء . إن أطعت الملك ، كنت في معية الملك .
وإن أطعت الغني ، كنت مع الغني . وإن أطعت القوي ، كنت مع
القوي . لذلك قالوا :

إذا أردت أن تكون أغنى الناس ، فكن بما في يدي الله أوثق
منك بما في يديك

وإذا أردت أن تكون أكرم الناس ، فاتق الله .

وإذا أردت أن تكون أقوى الناس ، فتوكل على الله

فأنت قوي بالله ، وغني بالله ، وكريم بالله ، وعزيز بالله ، بينما
لو ابتعدت عن الله ؛ فتجد عزا بعده ذل ، وغنى بعده فقر ، وحياة
بعدها موت ، و سعادة بعدها شقاء !!!!

و الحمد لله رب العالمين

الْحَمْدُ لِلَّهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ

الأكرم

أيها الأخوة الكرام ... الإسم اليوم هو " الأكرم " ، قال الله تعالى
في سورة العلق :

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾

الأكرم : من أسماء الله الحسنى ، لكن هذا الاسم زائد على
الأسماء التسعة والتسعين المعروفة ، ويقترب من هذا الاسم اسم
الكريم ، كما يقترب منه اسم : ذو الجلال والإكرام .

أيها الإخوة ... يجب أن نعلم علم اليقين أنه ما من موضوع في
الدين يرقى إلى مستوى أن تعرف أسماء الله الحسنى ، لأن الله عز
وجل هو القصد ، و لأن الإنسان سوف يكون في حضرة الله عز
وجل إلى أبد الأبد ، فكلما ازدادت معرفته في الدنيا برب العالمين
سعد بقربه وكان في عداد أوليائه المقربين ، فقد قال الله تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ

﴿٢٥﴾

سورة القمر

أيها الإخوة ... انظروا إلى الإنسان أحيانا كيف يفخر إذا كانت
له مكانة عند إنسان قوي ، لا يفتأ يتحدث عنه وعن علاقته به وعن

مكانته عنده وعر حظوته بـير يديه كـيف إـدا حانت لك مكانه عـند
خالق السموات و الأرض ؟؟؟!!! الله جل حلاله يقول في سورة مريم:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩١﴾

أنت في الدنيا تتعرف إلى الناس بعينيك ، ترى قامتهم ، ولون
جلدهم لون عينيهم ، شعرهم ، أنافتهم ، ثيابهم ، تحدثهم
ويحدثونك ، تكلمهم ويكلمونك ، تعاملهم ويعاملونك ، تسافر معهم ،
تجاورهم ، فتعرفهم جيدا ... ولكن كيف السبيل إلى معرفة الله من
أجل أن تحبه ؟ من أجل أن تخاف منه ؟ من أجل أن تعظمه ؟ من
أجل أن نخضع له ؟ من أجل أن تجعله نهاية المطاف ؟ وأن تجعله
هدفك الأول والأخير ؟ من أجل أن تعرف أنه هو الأول والآخر
والظاهر والباطن وأنه بكل شيء عليم ؟ من أجل أن تعرف الله ، من
أجل أن تسعد بقربه ، من أجل أن تُفني شبابك في طاعته ، من أجل
أن تمضي حياتك في خدمة خلقه ... يجب أن تعرفه ، لذلك ما من
عمل ، ما من جهد ، ما من نشاط فكري يعلـو على عمل يـؤدّي بك
إلى أن تعرف الله ... ولكن المعرفة المختصرة لا تقوى على حملك
على طاعته ، فلا بد من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من
هو الله .. الله عز وجل يقول في سورة الطلاق :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

﴿١٧﴾

و في سورة النحل:

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾

و في سورة الروم :

• اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن

بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

ماذا يريد الله من هذه الآيات ؟ المعنى: يا عبادي اعرفوني ،فأنا

بيدي الشمس والقمر ، بيدي الليل والنهار ، بيدي خلقكم وبعثكم ،

حياتكم وموتكم ورزقكم ، بيدي المطر ، بيدي المرض ، بيدي كل

شيء فلا تلتفتوا إلى سواي.

فلذلك عندما يعرف الإنسان الله عز وجل وهو يدري من هو

ويقدر لله قدره ، وهو يعلم علم اليقين أنه ربه وخالقه ، تجده قد

التزم منهجه بشكل صحيح ، وأقبل عليه ، وابتغى مرضاته ، وسعى

إلى طاعته ... إذن : لا شيء يعلو على أن تعرف الله ، إنك إن

عرفته أطعته ، وإن أطعته أقبلت عليه ، وإن أقبلت عليه سعدت

بقربه ، وإن سعدت بقربه تافت نفسك إلى الحنة .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : تآقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تآقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها تآقت نفسي إلى الجنة ، معنى ذلك أنه أراد الإمارة والخلافة لتكونا مطيبتين إلى الجنة .. فلما بلغهما تآقت نفسه إلى الجنة .

إخواننا الكرام .. في مقتبل العمر تكون الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد .. فالشباب في أول حياته يكون الخط البياني في حياته صاعداً، ثم يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيماً ثم يبدأ ينحدر ، فإن الخط البياني عندئذ يؤذن ببدء النهاية ، نهاية المطاف وهي صعبة جداً ، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله ، إن المغادرة لا تحدث إلا لمن قدم بين يديه أعمالاً صالحة كبيرة .

الاسم اليوم : الأكرم ، والأكرم اسم تفضيل .. قال الله تعالى :
" اقرأ وربك الأكرم " ، من الكرم ، والكرم ضد اللؤم .

بالمناسبة الأخلاق لها مفردات مثلاً مثل الشجاعة ، أو الصبر ، أو الحلم ، وتحمل بعض الصفات الإنسانية معاني جامعة ، مثلاً المروءة .. صاحب المروءة كريم ، صاحب المروءة عفيف ، صاحب المروءة شجاع ، صاحب المروءة يلبي حاجة الضعيف ، صاحب المروءة صاحب نجدة ، صاحب المروءة صاحب إغاثة للهِفان ، كلمة مروءة ، كلمة تشمل عشرات الصفات .. أما

اللؤم - والعياذ بالله - فهو بخل على جبن على كبر على أثره على قسوة على دناءة .

هل تعلمون أيها الإخوة ما هو الذل ؟ الذل أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يرده ، وهناك إخوان كرام لا يسمح أحدهم لنفسه أن يقف موقف ضعف أمام لئيم ولو ضاعت منه الدنيا بأكملها .

فإذا كنت واقفا على إشارة المرور الحمراء فانتظر دقيقتين حتى تلوح الخضراء خير لك من أن تقف موقفا أمام إنسان سيحاسبك بقسوة ، الإنسان المؤمن كريم ، لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ولا ينبغي له ..

اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير ..

من جلس إلى غني فتضع له ، ذهب ثلثا دينه .

و إليكم هذه القصة :. إنسان جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام يطلب منه مساعدة ، سبحان الله : النبي الكريم أراد أن يعلمه درسا ويعلم الناس درسا ، قال له : أعندك شيء في البيت ؟ قال له : والله ما عندي إلا قعب (إناء) أشرب به وجلس (بساط) أجلس عليه ، فقال له : " إننتي بهما " - فلم يبق في بيته شيء - قال الرجل : فأتيته بهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : من يشترى هذين منكم ؟ قال أحد الصحابة : أنا أشتريهما بدرهم ، قال عليه

الصلاة والسلام : من يزد على درهم ؟ (من هنا شرعت المزايدة) ،
فقال صحابي آخر : أنا أشتريهما بدرهمين ، قال : هات الثمن ، باعه
الحلس والقعب وأخذ الدرهمين ، قال عليه الصلاة والسلام للرجل
السائل : اذهب إلى أهلِكَ فاشتر لهم بدرهم طعاما فامدده إليهم ،
وإنتني بالدرهم الآخر بقَدوم (هذه خطة النبي) : فلما جاءه بقَدوم
شد عليه النبي صلى الله عليه وسلم عصا بيده الشريفة ، وقال :
اذهب واحتطب ولا أرينكَ لخمسة عشر يوما .

العلماء فسروا هذا الموقف .. أن الإنسان إذا كان أهله جِيعاً ،
فلا يصح أن يتاجر أو يُنتج ، أما حينما يؤمن الطعام لأهله فله أن
يتاجر و ينتج كما يشاء .

فعاد بعد سبعة أيام وقد جمع عشرة دراهم ، فقال له : هذا
خير لك من أن تسأل الناس . علمه درسا في التعفف عن المسألة
كما عليه أن يقرع أبواب الرزق التي شرعها الله لعباده .

فالإنسان إذا فتح على نفسه باب مسألة ، فتح الله عليه باب

فقر . لأن الذي أعطى غيرك سوف يعطيك !!!

الذي يلفت نظري أن شابا مؤمنا تكون الطرق كلها أمامه
مغلقة ، فيطرق باب الله تعالى قائلا : يارب الأمر بيدك وقد تعلق قلبه
ورجاؤه بالله فهل يردده الله خائبا !!؟

قال لي أخ كريم : صليت قيام الليل ودعوت الله من أعماقي أن يرزقني كي أتزوج ، وذكر لي : أنه يملك محلا في أطراف المدينة لتصليح مكيفات ، ولكنه لا يجد زبونا واحدا ، ولا شيء على الإطلاق من أسباب الرزق قال : وأنا على أحر من الجمر أريد الزواج ، وخطبت فتاة صالحة وممتازة ، لكن تنتظر مني أن أقدم لها شيئا ، وأن أخطبها بشكل رسمي وأن أعقد العقد ولكني لا أملك شيئا ، فلم يجد إلا الله ملجأ وملذا ، يقول الشاب : والله صليت ركعتين في جوف الليل ، وسألت الله في السجود أن يرزقني رزقا حلالا طيبا كي أتزوج ، ولم يلبث وهو يقص القصة أن بكى ، وقال : والله خلال مدة عشرين يوما حصلت على سبعين ألف ليرة من المحل نفسه وقال لي : وصار عندي تصليح وتركيب وبيع كثير ، وقد مضى على المحل مفتوحا سنتان ، كانت أموري خلالها بائسة ، ثم بالدعاء والابتهال فتح الله ما كان مغلقا ، فالأمر بيد الله عز وجل !!!

إن ربنا عز وجل لحكمة بالغة يقطع آمالك من الخلق لأيام طويلة فإذا يئست منهم فتح لك بابه ، فأنت كن ذكيا المعيا واتجه إليه مباشرة ولا تطرق باب الخلق أصلا .

إذن: الكرم ضد اللؤم .. والكرم في أدق تعاريفه هو فعل ما ينبغي دون غرض شخصي .

أكثر الأجانب أذكاء جدا قد ينتزعون إعجابك بدقة مواعيدهم
أو بإتقان صنعتهم ، لكن غرضهم يكون هو الربح ، أو التنمية
بالتعبير الاقتصادي الحديث ، غرضهم رفع مستوى الأرباح ، لذلك
يعتنون جدا بصناعتهم و بتجارتهم وبمواعيدهم و بإتقان صنعتهم .
هم يفعلون ما ينبغي و لكن يفعلونه لغرض .. أما الكرم فهو أن تفعل
ما ينبغي دون غرض... قال الله تعالى في سورة الإنسان :

إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١٠١﴾

فمن وهب المال لجلب النفع ، أو لدفع الضر ، أو للخلاص من
ذم فليس بكريم ، وبعد ، إذا عمل الإنسان عملا بطوليا ، يقول لك
لأغراض انتخابية ضاع أجر العمل!!! والآن في العالم كله إذا عمل
إنسان عملا بطوليا فهو بمقياس الإنسانية عمل إنساني ، ما الذي
يفرّغه من مضمونه؟ أنه لأسباب انتخابية فقط ، هذا معنى إحباط
العمل .. أما المؤمن فيفعل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله لا
لمديح ولا لثناء ولا لمكافأة ولا لذكر يجري بين الناس ، والكريم هو
الصفوح عند الذنب ..

قالوا : الكرم يقترب من الحرية ، الحرية صفة مديح ، فلان
حر ، أما إذا خضع لنزواته ليس حرا فهو عبدا!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعس عبد الدينار والدرهم (أي عبد المال) و القطيفة
و الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض .

فالإنسان أحياناً يخضع لنزواته ، إذن هذا ليس حُرّاً بل هو عبد ،
الإنسان يخضع إلى عصبية الضيقة ، فيكون ابنه مثلاً على حق ولو
كان أسوأ الناس ، ورفيق ابنه على باطل ولو كان أحسن الناس ،
وهذا الشيء يظهر عند النساء حين تُثني على ابنتها وتمدحها ،
وابنتها ليس أرق ولا أحسن منها بين بنات الناس منها ، وابنتها
ذكية ، وابنتها طباحة ، وابنتها مثقفة ، وابنتها وابنتها .. وحينما
تتزوج هذه البنت يبدو منها مالا تُحمد عقباه ، فهذه المرأة ليست
حرة لأنها تزور الحقائق بدافع من عصبية ضيقة .

من هو الحر ؟ هو الذي ينطق بالحقيقة ولو كانت مرّة . من هو

الحر ؟ الذي يُنصف الناس من نفسه ، فكلمة حر تعني أنه لا يخضع
لهوى ، لا يخضع لنزوة ، لا يخضع لضغط ، لا يخضع لفقر ، لا
يخضع لطمع ، الطمع أذل رقاب الرجال ، الإنسان يحب عشيرته ،
وأبناء ملته ، وأبناء جلدته يحبهم إلى درجة الكذب والنفاق ، ويكره
أعداءه إلى درجة الظلم فيجحف بحقهم .

إلا أن العلماء قالوا : " الحرية تقال في المحاسن الصغيرة
والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ، كمن يُنفق مالا

في تجهيز جيش في سبيل الله " .. اللهم صل على محمد وآله ،
حينما جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابي الجليل جيش
العُسرة بأكمله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضرَّ عثمان
ما فعل بعد اليوم " ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يقدرُ
المعروف .

جاء رجل اسمه تميم الداري كان في الشام واشترى سرجا ،
وحبالا ، وزيتا ، وجاء مع غلمانه وعلق القناديل في المسجد ربطها
بحبال ثم حينما دخل وقت العشاء أسرجها ، فدخل النبي عليه
الصلاة والسلام وسر بهذا سرورا بالغا قال من فعل هذا ؟ قالوا :
تميم الداري ، فقال عليه الصلاة والسلام : " يا تميم نور الله قلبك كما
نورت هذا المسجد لو أن لي بنتا لزوجتك " من شدة تقديره لهذا
العمل .

أحيانا يقدم إنسان خدمات إلى المسجد مثلا ، يقدم خدمات
لدعوة ، يقوم بعمل طيب ، يسهم في خدمة الآخرين ، فالله سبحانه
وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنا لا أنسى أبدا الآية
الكريمة التي تذكر أن امرأة عمران قالت : " رب إنني وهبت لك
ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم " سورة
آل عمران .

هل يوجد بيننا نحن الحاضرين شخص - وأنا معكم - ليس له
ميزة ؟ مستحيل ، هذا يتقن الرياضيات ، مثلاً هذه المرأة تتقن
الطبخ .. وهكذا.

أصيبت امرأة بمرض خبيث في دماغها وشفأها الله عز وجل
فندرت لله عز وجل أن تعمل صالحاً ، إنها فقيرة لا تملك من حطام
الدنيا شيئاً ، ماذا تملك ؟ إستأجرت غرفة وصارت تطبخ الطعام
الشهي النفيس وتبيعه للأسر الغنية التي تحب أن تأكل طعاماً بيتياً ،
وبالربح صارت تعالج المرضى ، هذا مثل .. امرأة لا تملك إلا فن
الطبخ فوظفت هذه القدرة في العمل الصالح وبدأت تدفع نفقات
عمليات وخدمات للفقراء المرضى ، هذه تقربت إلى الله بطبخها .

هل يوجد إنسان ليس له ميزة ؟؟ . امرأة عمران ماذا تملك ؟
تملك ما في بطنها قالت : رب إنني نذرتُ لك ما في بطني محرراً .

عندنا أخ محام ، وأخ طبيب ، وأخ مهندس ، وأخ مدرس ،
وإنسان حالته المادية جيدة ، وإنسان عنده قدرة على الإقناع ،
وإنسان عنده خبرات معينة ، فتجد الحياة تحتاج إلى تعاون ، قدم
شيئاً ما لله عز وجل ولا تعجز.

والله أنا أحياناً أكون ممتن جداً ومسروراً من بعض الإخوان
يقول لي أحدهم : أنا محام إذا اتصل بك أخ فقير له قضية فابعثه
إلي ، الله يجزيك الخير.. ويقول لي آخر : أنا محلل في معمل إذا

علمت بأخ فقير يريد أن يحلّل فأنا جاهز . أنا طبيب لو أرسلت لي
أخا فقيرا أعالجه مجانا .. ذات مرة أخ من إخواننا الكرام جراح ،
قال لي : أنا مستعد أن أستقبل أي أخ يريد إجراء عملية ، بعثنا له
أول أخ عمل له عملية ، بالمستشفى وفي الدرجة الثانية ونجحت
العملية ، بعثنا له أخا ثانيا وأخا ثالثا .. هذا أدى زكاة اختصاصه ،
يجب أن نتوسع في مفهوم الزكاة ، فهناك زكاة مال ، وهناك زكاة
وقت ، و زكاة خبرة... الخ .

ومن الممكن أن تؤدي زكاة مالك بإتفاق ، وزكاة وقتك بدرس
علم ، وزكاة خبرتك بتعليمها لمن يرغب . أعرف شخصا إذا بعث له
أحد ابنه ليتعلم الصنعة بدون أجر ، فلا يعلمه ، بل يشغله فقط ،
و عندما يريد أن يفك المحرك يقول له : ذهب خارج المكان ...هذ
أقول له : " يا أحمق .. علمه ، والله هو الرزاق ، أدّ زكاة خبرتك ،
أدّ زكاة مالك ، أدّ زكاة وقتك ، أدّ زكاة صحتك عاون المرضى ، أدّ
زكاة وقت فراغك ، عاون الضعفاء " !!! .

إذن من الحر ؟ قد يقال فلان حر إن صدرت عنه محاسن صغيرة
وكبيرة ، أما لا يقال له كريم إلا إن صدرت عنه المحاسن الكبيرة ،
كمن ينفق ماله في تجهيز جيش بأكمله . كمن يتحمل ديّات القتلى
ويحقن دماء المسلمين ، فهذا عمل جليل !!! .

أما النقطة الدقيقة أيها الإخوة ... نيس المهم أن نقرأ الآية وتجري على اللسان كثيرا لكن المطلوب منك أن تدقق في معانيها .. قال الله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ " (سورة الحجرات - ١٣) .

إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .. أي : أعلام مكانة عند الله هو أشرفكم وأقربكم إلى الله أتقاكم .. المعاني مفهومة وواضحة ، فهل عملت بها ؟

الله عز وجل قال لك إن المقياس عندي التقوى أي الطاعة ، قل الله تعالى في سورة الأحزاب :

يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ قَارَىٰ قَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾

أحب أن تكون عند الله أكرم الناس ؟ أطعه .. الشيء بين يديك مبذول ، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم ، ولن تستطيع أن تخطب ود أحدهم ، ولن تستطيع أن تقابله ، لكن الله جل جلاله خالق الكون يقول لك : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " فأي إنسان يطيع الله عز وجل الله يقربه ويرفع له مكانته ، أما إذا وُصف الله عز وجل بالكرم ، فإتما هو اسم لإحسانه و إنعامه المتلاحق ..

جاء اسم الأكرم في قوله تعالى في سورة العلق : " اقرأ وربُّكَ الأكرم الذي علّم بالقلم " ، أي هو أكرم الأكرمين ، هو المعطي ، هو المسعد ، هو المُحسن ، والناس والعياذ بالله لا يرون إحسان الله .

أحيانا تدفع عن إنسان أجره الركوب في السيارة خمس ليرات تكرامة له ، فتجده طوال الطريق يشكرك بتعبيرات مختلفة وهو ممنون منك ، ويعيدها لك عدة مرات من أجل خمس ليرات دفعتها عنه !!! .

فالذي منحك نعمة الوجود بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، نعمة الإيجاد ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، خلق لك من جنسك امرأة هدية لك بها آية سكن ومودة ورحمة ، أواك في بيت ، أطعمك ألوان الطعام ، خلق لك أنواع الفواكه ، رزقك ابنا يملأ عليك البيت فرحا وسرورا ، أعطاك أجهزة دقيقة في جسمك، فقد قال تعالى في سورة البلد : " ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشففتين ، وهديناهُ النجدين ؟ " (١٠) .

فهذا الذي خلق كل هذه النعم ألا يستحق أن تشكره ، أن

تذكره . !!!؟؟ .

وفي سورة الرحمن أيضا آية ثانية :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٠﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦١﴾

العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول : " كلُّ مَنْ عليها فان " ..
وتقف بل ينبغي أن تتابع الآية فتقول : " كلُّ مَنْ عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والإكرام " .

أي أن الله عز وجل هو المُكرم هو الكريم ، هو المُعطي ، منحك
كل النعم ، أما هذا الإنسان الجاهل الغافل فهو مسكين إذ يعزو هذه
النعم إلى غير الله ، فيعزوها تارة إلى ذكائه ..

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ
مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمْ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

سورة القصص

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

سورة الزخرف

و ما إلى ذلك كان يعزوها إلى مهارته في العمل أو حسن حظه .
و الإنسان ينبغي أن يعلم حقيقة الألوهية .. فالكون كله عطاء
من عطاءاته .. فأنا أذكر ذلك كثيرا .. فهل من الممكن أن تصدق أن
هناك مليون مليون مجرة ، وفي كل مجرة فيها مليون مليون نجم ،
أي لو كتبنا رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفرا فما هذا

الرقم !!! إنه رقم خيالي وكل هذه الكواكب والنجوم مسخرة
للإنسان ، الله عز وجل قال في سورة لقمان:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾

فإذا قرأ أحدكم قوله تعالى : " اقرأ وربك الأكرم الذي علم
بالقلم " ، ألا يشعر برعشة ، بخفقان ، بجلد يقشعر ، بقلب
يخفق ؟؟؟ .

إخواننا الكرام ... الدين أساسه الحب ، و إذا أُلغي الحب من
الدين صار الدين ثقافة ، وطقوس ، وفلكلور ، وعادات ، وتقاليد ،
ومعلومات ، وكتب وهكذا ، أما إذا كان في الدين حب فإنه يفعل كل
مستحيل .

النبي عليه الصلاة والسلام من أدعيته الشريفة : " يا حيُّ يا
قيوم ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا
أنت برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة
عين ، ولا أقل من ذلك " .

و كان عليه الصلاة والسلام يكثر من قراءة هذه الآية : " كُلُّ مَنْ
عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " .

أيها الإخوة ... من إجلال الله عز وجل ألا نعصيه ، ونطيعه فلا نخالفه لأنه ذو الجلال والإكرام وذو العظمة والكبرياء ، فلا أريد أن أطيل عليكم .. الكافر يقف عند النعمة، ويعمى عن المنعم ، والمؤمن يتجاوزها إلى المنعم .

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت ، والمؤمن يتقلب في نعم الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :
أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا آل بيتي لحبي .

و أخرج البيهقي عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه عز وجل: يا رب، أي عبادك أحب إليك كي أحبه بحبك ؟ قال : يا داود أحب عبادي الي نقي القلب، نقي الكفين، لا يأتي إلى أحد سوء، ولا يمشي بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني ، وحبيتي إلى عبادي ، قال: يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى عبادك؟! قال : ذكرهم بآلاتي و نعمائي ، و بلائي (ذكرهم بآلاتي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني) ، يا داود إنه ليس من عبد يعين مظلوما ، أو يمشي معه في مظلمته ، إلا ثبتت قدميه يوم تزل

الأقدام . فالمخلص : أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم
الله ، وخوف منه وحب له .

فإذا شربت كوباً من الماء وكان طريق الخروج سالكاً فهذه
نعمة كبرى ، أما إن كان غير سالك فالأم حصر البول لا تحتمل ، وهنا
يلزم استدعاء الإسعاف في الساعة الثالثة ليلاً لفتح مجرى البول ،
وإذا أكلت طعاماً .. وكان طريقها سالكاً، فهذه نعمة أخرى كبرى ..
قال تعالى :

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن
لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ
مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي
النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٧٤﴾

سورة محمد

" وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم " .. فالأمعاء ليس بها
إحساس لا بالحر ولا بالبرد ، حتى لو وضعت فيها ماء يغلي ، أما
آلام الضغط داخلها فلا يحتمل ، فإذا مشيت متوازناً ، فهذه نعمة لأنه
إذا اختل جهاز التوازن لاحتجت إلى عصا لتمشي مستعيناً بها ،
ولكنك تمشي متوازناً ، وأجهزة جسمك تعمل بانتظام ، والحواس
الخمسة سليمة .. فهذه من نعم الله العظمى !! .

إخواننا الكرام مرة ثانية ... الألاء للتعظيم . والنعم للحب ،
والمصائب للخوف .. بالخوف تتقي أن تعصيه ، وبالحب تُقبل
عليه . وبالتعظيم تتابع الرقي إليه .. وهذا من بعض الخواطر
الإيمانية المتعلقة باسم الله الأكرم .. " إقرأ وربك الأكرم الذي علم
بالقلم " .

في النهاية أنت إنسان أودع الله فيك قوة إدراكية فإن لم تتعرف
عليه عطلتها ، وإذا عطلت القوة الإدراكية هبطت إلى مستوى لا يليق
بك .

و الحمد لله رب العالمين

الله
الجليل
الرحمن
الرحيم

۲۹۸

الرب^س

أيها الإخوة الكرام : الاسم اليوم هو الرب .. وهو من أقرب الأسماء إلى العبد ، والرب إسم من أسماء الله الحسنى إلا أنه من الأسماء الزائدة على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرب في اللغة هو المالك ، هو السيد هو المنعم ، هو الربوبي ، ولعل أقرب المعاني إلى الإنسان أنه الربوبي ، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ، رب ، أو الرب ، لا يطلق إلا على الله تعالى ، أما إذا أُضيف فيطلق على الله تعالى وعلى عباده ، كقولنا : رب الدار أي صاحبها، هنا فقط يصبح هذا الاسم مشترك بين الذات الإلهية وبين الإنسان .

و يقال : عالم رباني أي راسخ في العلم ، إنسان رباني : أي كل حياته محصورة في معرفة الله وذكره وخدمة عباده ، فالرباني هو الذي لا يتحرك إلا وفق منهج الله ، لا يقف موقفا ، ولا يعطي ، ولا يمنع ، ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يصل ، ولا يقطع ، إلا وفق مرضاة الله ، عالم رباني ، وكما يقول سيدنا علي : الناس ثلاث .. عالم رباني ، ومستمع على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

لفظ الرب مشتق من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مُربٍ ومدبر
لخلقه ، المربي له صفتان أساسيتان .. أنه مُمد ، وأنه يرعى ،
الذي يمدنا بما نحتاج هو ربنا ، والذي يمد أجسادنا هو ربنا ، والذي
يربي نفوسنا ، يهدينا إلى صراطه المستقيم ، و يُلجئنا إلى بابه هو
ربنا .

تقريباً - والله المثل الأعلى - الأب يوفر لأولاده حاجاتهم المادية ،
طعام ، شراب ، كساء ، حاجات ثم يربيهم بمعنى آخر يرعى
أخلاقهم ، يرعى دينهم ، يرعى تعليمهم ، يرعى مستقبلهم ،
ففي معنى الربوبية المشتقة من التربية معنى مادي ومعنى
روحي .

قالت العلماء : وإذا أدخلت - ال - على كلمة رب اختص الله
تعالى بها فالرب هو الله لأنها للعهد ، أي الرب المعهود ولا رب
سواه .

الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، مالك المالك والمملوك ، فما
معنى قوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين " ؟ أي مالك المالك
ومالك المملوك ، مالك السيد ومالك العبد .

الرب من معانيه أنه خالق ورازق ، وكل رب سواه غير خالق
وغير رازق .

الأب يربي أولاده لكن لم يخلقهم ولم يرزقهم ، فإذا قلنا فلان
مرب ، والأب مرب ، والمعلم مرب أي يقدم توجيهات ، يتابع ،
يحاسب ، يضيق ، يشدد ، يكافيء ، يعاقب أما إذا قلنا : الله رب
العالمين أي خلقنا وأمدنا ووجَّهنا .

لذلك أنت في نعم ثلاث : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة
الهدى والرشاد

أوجدك ولم تكن شيئا من قبل ، وأمدك بما تحتاج ، ثم هداك
إليه .

كلمة الرب وردت في القرآن الكريم بضع مئات من المرات ،
حتى إن بعض المصاحف التي تلون كلمة الله باللون الأحمر ، تلون
معها كلمة رب لأنه ورد أن الرب هو إسم الله الأعظم ، فأقرب إسم
لك هو رب العالمين .

والحقيقة أن كل واحد من الإخوة الحاضرين ، وبشكل موسع كل
مؤمن يتحدث عن ربوبية الله الشيء الكثير ، فيقول لك : فعلت كذا
فأدبني ، فعلت كذا فكافأني ، دعوته فاستجاب لي ، ظلمت فظلمت ،
اعتديت فاعتدي علي ، أكلت مالا مشبوها فأتلف الله مالي .. كل
واحد فيما بينه وبين الله يعلم أن الله سبحانه وتعالى يحاسبه حسابا
دقيقا ، هذه هي التربية الروحية ، ففي سورة الفاتحة قال تعالى :
" الحمد لله رب العالمين " .

فالله عز وجل قوي ، و قدير ، و عليم ، و جبار ، و متكبر ،
و قاهر ، أما أنت كعبد الله عز وجل ربك هو الذي خلقك ورزقك
ودلك عليه .. قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم في سورة
الشعراء :

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ
أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

الحقيقة كلمة رب .. ذات خصائص جملة أولا من خصائص
التربية العلم والرحمة ، ومن خصائص التربية القدرة ، يعلم ، وهو
على كل شيء قدير ، وهو رحيم بنا، أما معنى قول الله عز وجل في
سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين " أي أنه خالق الأكوان وجميع
العوالم التي خلقها ، فالعلاقة بين خالق الأكوان وبين جميع العوالم
التي خلقها - الأكوان - علاقة تربية أي خلق وإمداد وإكرام
وعناية ، علاقة حب ، علاقة عناية ، فأحيانا يكون هناك علاقة بين
شخصين علاقة محاسبة ، علاقة انتقام ، علاقة قسوة

و أوضح مثل : علاقة آية أم على وجه الأرض بابنها علاقة
حب ، علاقة رحمة ، علاقة صلاح ، فإذا قلنا الله رب العالمين ،
أو " الحمد لله رب العالمين " أي أن الله سبحانه وتعالى هو خالق
الأكوان ، وما سوى الله عوالم ، والعلاقة بين الخالق وبين العوالم

التي خلقها علاقة رحمة ، فالرحمة عطاء ، فيها علم ، وفيها قدرة ،
وفيها جمال ، وفيها لطف ، وفيها عناية .

لذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : " والله لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا " ، والحقيقة أنك لن تكون على نحو يرضى الله عنك
إلا إذا أيقنت بربوبيته لك .

لقد سمعت ذات مرة كلمة .. فقد كان إنسان يصيح في الطريق
ويبدو أن لديه مشكلة ما ، فصاح غاضبا وقال : " يعني : إذا لم يكن
له أب أما له رب ؟! " هذه الكلمة تركت في نفسي أثرا كبيرا ،
فالمربي هو الله ، قد تجد يتيما تولاه الله بالعناية ففاق كل الأطفال
الذين رباهم أهلوهم .

في سورة الفاتحة . يقول الله عز وجل : " الحمد لله رب
العالمين " .. و كلمة رب العالمين لا تعني أنه رب الإنسان فقط ،
فأحيانا إنسان لضيق نظره ، ولضيق أفقه ، و لمحدوديته يظن أن
الله له وحده ، أو له وإخوانه ، أو له ولجماعته ، أو له ولمسجده ،
ألا فاعلم أن ربنا عز وجل لكل عباده ، لكل المؤمنين هو ربهم ،
لكل الناس ، لكل الحيوانات ، لكل النباتات ، لكل الجمادات ، لكل
العوالم .

يقولون : عالم الحشرات ، عالم النبات ، عالم الأسماك ، عالم
الطيور ، عالم الفضاء الخارجي ، عالم الأرض ، عالم الجبال ، عالم

البحيرات ، عالم البحار ، كل المخلوقات المتجانسه اسمها عالم ،
والله رب العالمين " الحمد لله رب العالمين ، و في سورة الأنعام قل
تعالى :

قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا وَمَنْ رُبٌّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

ما من كلمة في اللغة أوسع شمولاً وأكثر استغراقاً من كلمة
شيء .. فالذرة شيء ، وجزئيات الذرة شيء ، النواة شيء ،
والكهيرب - الألكترون - شيء ، المدار شيء ، الفيروس شيء ،
عوامل المرض وهي أقل من الفيروس شيء ، الشمس شيء ،
المجرات شيء ، الكون شيء ، ما من كلمة في اللغة أوسع شمولاً
ولا أكثر استغراقاً من كلمة شيء قال الله تعالى : " قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا
وَمَنْ رِبٌّ كُلِّ شَيْءٍ " !!!؟؟ .

فإذا أردت أن تُقيم علاقة طيبة ؛ أفضّل أن تقيمها مع شرطي
وتسترضيه وأنت تعرف أن عمله محدود بساحة من الساحات وهو
فقط ينظم شؤون السير ، ولا يملك أي شيء آخر ، أم تقيمها مع
ملك يملك البلاد كلها بخيراتاتها وبمواردها ، وبثرواتها وسائر
شؤونها.. أيهما تتخذ ولياً لك !!!؟ " قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا وَمَنْ رِبٌّ
كُلِّ شَيْءٍ " !!!؟؟ ليس رب الناس ، رب العوالم ، بل رب المخلوقات

جميعا .

فربما ينام أحد في خيمة في الصحراء ، وقد يخاف من وجود أفعى ليلا وهذا ممكن في الصحراء ، ولا بد أن ينام لأنه متعب مرهق ، فينام متوكلا على الله . وأنت حينما تنام على من تتوكل ؟ تتوكل على رب العالمين ، هذه الأفعى بيد الله عز وجل وهو الذي يحول بينها وبينك إن تتوكل عليه ، أنت حينما تتعامل مع خالق الكون فإن كل المخلوقات بيده .. " ربُّ كل شيء " . وفي سورة الأعراف قال الله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

سورة الأعراف

كان هذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبية .. أحيانا نصنع طائرة و نبيعها ، فنحن صنعناها . أما أمرها الآن فييد من اشتراها ، قد يستخدمها لعدوان ، أو يستخدمها لنقل ، أو يستخدمها في أعمال الاستطلاع ، أو يجعلها على أرض المطار جاثمة ، أو يخفيها ، الذي اشتراها هو الذي يملك أمرها ، نحن صنعناها ثم بعناها ، لكن الله سبحانه و تعالى - والله المثل الأعلى- أي شيء خلقه بيده ، بملكوته " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ * تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "

هناك شيء آخر .. فهذا الشيء الذي خلقه الله عز وجل : صلاح أمره وكل الأحوال منوط بخالقه ، التوجيه الذي يسعده توجيهه خالقه ، التوجيه الذي يحفظه توجيهه خالقه .. " ألا له الخلق والأمر " أي ينبغي أن تتبع أمر الذي خلق .

فالمعنى الأول : " له الخلق والأمر " أي خلقه ويأمره دائما ، أي أمره بيده ، تحت سيطرته ، في قبضته ، في ملكوته .

المعنى الثاني .. أن هذا الشيء الذي خلق لا يصلح ولا يستقيم أمره إلا إن اتبع أمر الذي خلقه وقال الله تعالى في سورة التوبة :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

" لا إله إلا هو " .. هو الرب أي ما من حركة ، و لا من سَكَنَة ، و لا خفض ، و لا إعزاز ، و لا إذلال ، و لا قبض ، و لا بسط ، و لا سَكِينَة ، و لا خوف ، و لا قلق ، و لا طمأنينة إلا بيده .. " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " .. أي يكفيني الله ، الذي لا إله إلا هو .

فإذا قال المؤمن : " حَسْبِيَ اللَّهُ " فهو مع القوي ، ومع الغني ، ومع الرحيم ، هو مع الخالق ، ومع القديم ، ومع الأبدى ،

هو مع من بيده كل شيء ، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " حسبنا الله ونعم الوكيل " وقال الله سبحانه :

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٣﴾

قرأت عن سيدنا الصديق قال : أنه ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، لأن الله حسبه ، ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلها و قال الله عن أهل الكهف :

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾

سورة الكهف

لا أدري ما إذا كنت قد أوضحت هذه النقطة .. أنت حينما تكون مع إنسان فإن هذا الإنسان قدراته محدودة مهما علا شأنه ، لكن حينما تكون مع الخالق، ربك ، رب السماوات والأرض ، فأنت مع القوة القاهرة القادرة بلا حدود .!!!! .

" و رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " .. فكلمة الفتية هذه تعني غاية التوكل و التفويض .

أي ربك الذي يرعاك بيده الرياح ، بيده العواصف ، بيده الأعاصير ، بيده الأمطار ، بيده إنبات النبات ، بيده مسببات

الأمراض ، بيده الفيروسات ، كل شيء بيده .. " لن ندعو من دونه إليها .. " فالله عز وجل فوق الخلق جميعا وخلقه لا شيء أمامه ، ولا يصح أن نعبد أي شيء من دونه ، لذلك قالوا : " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلاها لقد قلنا إذا شططا " .

و قال الله تعالى في سورة الرحمن :

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾

هناك ظاهرة لا أحد ينتبه لها .. افتح تقويما وقلب أوراقه وافتح على يوم ثمانية وعشرين تشرين ثان فتجد أن شروق الشمس عند الساعة الخامسة وسبع دقائق ، وهذا التقويم من خمسين سنة ويمكن أن يكون من مائة سنة وهو صالح لمليون سنة قادمة ، فحركة الأفلاك بمعشار الثانية :

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾

سورة غافر

فثبات حركة الأفلاك ، دليل واضح على أن حركتها وسكونها بيد الله تعالى . حتى إن أضخم ساعة في العالم في العاصمة لندن - بيج

بن - تُضبط على نجم ، فقد تؤخر أو تقدم في السنة عدة ثوان فقط ، فمن يصححها ؟ النجم وهو أدق منها ، تُضبط عليه ، فهذا معنى قوله تعالى : " ربُّ المشرقين " فإذا كان للإنسان بيتًا مشرفًا على جهة الغرب أو جهة الشرق يقول لك : في الشتاء الشمس تشرق من ها هنا ، وفي الصيف تشرق من ها هنا ، فهناك مسافة كبيرة جدا بين المشرقين ، فالقوس الذي يسع أقصى المشرق وأقصى المشرق على مدار الفصول قوس واسع جدا ، فهو في آية .. " رب المشرقين ورب المغربين " .. هو الذي جعل الشمس تشرق وجعلها تغيب ، أما رب المشرقين النهاية العظمى صيفا والعظمى شتاء .

إذا كان بيت الإنسان يطل على الغرب فإنه يرى الشمس تغيب في الشتاء بالإتجاه الغربي الجنوبي ، أما في الصيف فاتجاهها غرب تقريبا ، السبب في ذلك أن الشمس تكون في فصل الصيف عامودية ، أما في فصل الشتاء تدخل إلى أقصى الغرف لأنها تكون في فصل الشتاء مائلة .. فمن جعلها هكذا؟! ! لو أنها دائما عامودية كنا في صيف دائم ، لو أنها مائلة دائما كنا في شتاء دائم ، أما أن تتنوع بين العامودية و بين المائلة فهو سبحانه الذي جعلها هكذا .

هذا معنى " رب المشرقين ورب المغربين " ، أما إذا قال الله عز وجل في سورة المعارج :

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾

فكل يوم لها شروق معين ، يتحرك على مدار العام من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال وبالعكس ، كل يوم لها زاوية تشرق منها ، ورب العالمين هو مالكمم .. وكل من ملك شيئا فهو ربه ، رب الدار أي صاحب الدار ، رب البيت أي صاحب البيت ، رب الأسرة أي مالك الأسرة ، ورب العالمين هو مالك العالمين!!!

و الرب هو المصلح ، والرب هو السيد ، والرب هو المدبر ، والرب هو الجابر ، والرب هو القائم .. ويقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه ربه يربه فهو رب له والرب هو المعبود .

أيها الأخوة ... أذكركم مرة ثانية بأن أقرب اسم من أسماء الله الحسنى إلى المؤمن هو اسم رب العالمين..في بعض التفاسير شرحت كلمة رب العالمين بما يشعر بأنها تعني الثناء المطلق على الله ... رب العالمين أي هو خالق ، رب العالمين أي هو رازق ، رب العالمين أي مدد ، رب العالمين أي رحيم ، رب العالمين أي عليم ، رب العالمين أي قدير ، رب العالمين أي محب ، رب العالمين أي رؤوف ، فالخلق والرزق والإمداد والعلم والرحمة والقدرة والحب والإكرام والرفقة كلها جمعت بكلمة رب العالمين .

فإذا قلت " الحمد لله رب العالمين " فإنك تثني على الله عز

وجل .

الآن تربية الله لعباده تأخذ منحيين اثنين : تربية خلقية ، وتربية شرعية تعليمية .

فأنت بشكل عام والجو برد قارص وابنك الذي تحبه بلا معطف ، تذهب وتشتري له معطفا ، هذه تربية خلقية ، يحتاج إلى غرفة خاصة ، يحتاج إلى مال ، يحتاج إلى كتب ، يحتاج إلى أقساط ، يحتاج إلى أشياء ثانوية .. فتعطيه إياها هذه كلها تربية خلقية .. لكن أحيانا رأيتك يكذب فتؤدبه ، رأيتك لا يصلي فتأمره بصلاة ، رأيتك يلهو بأشياء سخيفة تنهاه عنها ، أنت الآن عمك شرعي .

يوجد تربية خلقية وتربية شرعية ، فربنا عز وجل يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتاج ، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلا لجنته ، فتربية الله تربيتان ، لذلك ليس لغير رب الناس جهة يمكن أن تُشرع للعبادة أبدا ، العبادة لرب العالمين .

شيء آخر .. قالوا : الله عز وجل يربي نفوس العابدين بالتأييد ، ويربي قلوب الطالبين بالتسديد ، ويربي أرواح العارفين بالتوحيد ، ويربي الأشباح بوجود النعم ، ويربي الأرواح بشهود الكرم ، الأرواح يربيها ، والأشباح يربيها بالطعام والشراب ، والعارفين يربيهم تربية رفيعة جدا ، كلما ارتقى الإنسان يحاسب حسابا دقيقا ، أحيانا يحاسب نفسه على ابتسامه .

فبمستوى الدكتوراه في بعض البلاد ، إذا أخطأ المتقدم لنيل هذه الشهادة في مناقشته بحركة يعيد العام ويؤخر إلى عام قادم ، كلما ارتقى مستواه يحاسب حساب أدق ، فالعارفون بالله لنهم حساب دقيق ، كلما ارتقى الإنسان في سلم الإيمان يحاسب على الخطرات ، وكلما هبط مستواه يحاسب على الكبائر .

أيضا من معاني الربوبية قالوا : " إصلاح أمور العباد " ، فالله سبحانه و تعالى يصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ويصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ويصلح أمور الواجدين بقديم عنايته ، ويصلح أمور قوم يستغنون بعطائه ، ويصلح أمور الخلق جميعا .

الآية الكريمة من سورة النساء تقول :

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

"وكان فضلُ الله عليك عظيما" .. ربّاك وساقك إلى مجالس العلم ، ساقك إلى طاعته ، ألقى في قلبك محبته ، حبّب إليك الإيمان وزينه في قلبك ، وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان ، هذه تربية .

إذا كان أب يسمع وابنه تكلم كلمة بذينة أمامه ، فضحك له ، فإن

الولد يكررها ويتفوه بما هو أفحش وأسوأ ، أما إذا تكلم كلمة بذئنة
فنهزه وزجره ، فإن هذا الابن لن يعود للكلام البذيء أبدا ، أما إذا
وجده يقرأ القرآن فكافأه ، معنى المكافأة والعقاب هذه تربية ،
وأساسا أول صفة من صفات المربي ، أن تكافئ المحسن وأن تعاقب
المسي ، وربنا عز وجل بمجرد أن تفكر في التحرك نحوه تجد أن الله
شرح لك صدرك ، ألقى في قلبك السكينة والطمأنينة ، وتيسرت
أمورك وعاملك معاملة جديدة وأشعرك أنه يحبك ، ولمجرد أن ترتكب
معصية يلقي في قلب العاصي الضيق والكآبة والحيرة ، فالله يربينا
عن طريق قلوبنا ..

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن
يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك ، فقالت له عائشة
إنك تكثر أن تقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك قال
وما يؤمنني وإنما قلوب العباد بين إصبعي الرحمن " مسند الإمام
أحمد .

فأنت حينما تتخذ قرارا حكيما في صالح إيمانك يشرح الله لك
صدرك ، وحينما تنحرف قليلا عن طريق الحق يملأ قلبك ضيقا وقلقا
وحيرة . فلذلك ؛ القضية دقيقة جدا .

بعض العارفين قال الرب : " هو اسم الله الأعظم لكثرة دعوة
الداعين به ، ولكثرة ورود كلمة رب في الدعاء القرآني " فقد قال

الله تعالى في سورة البقرة :

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨١﴾

و في آل عمران :

الَّذِينَ يَذُكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَأَمِنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَعَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ

إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِيَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

إخواننا الكرام ... تعقيب أخير على اسم الله رب العالمين ،
صدقوني أن أحدكم إذا شعر أن الله يتابعه ، ويحاسبه على حركاته
وسكناته، ويعاقبه سريعا ويؤدبه سريعا فهو في موطن عناية
مشددة ، أما إذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يحاسبه الله عز وجل ،
ولم يتابعه فاعلموا أنه خارج العناية الإلهية لأن الله علم فيه انحرافا
شديدا ، وتمرداً وعتوا وإصرارا على انحرافه ، فأحدنا إذا كان الله
يؤدبه ويحاسبه ويحصي عليه أنفاسه ، يحاسبه على كلمة أو على
نظرة ، أو على حركة لا ترضيه ويؤدبه سريعا فهذا محض ربوبية
الله عز وجل، والإنسان بهذا في خير كبير، والله عز وجل يؤهله
لرحمته .

لذلك ورد في الحديث القدسي : " وعزتي وجلالي لا أقبض
عبي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها
سقما في جسده ، أو إقتارا في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده
حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات
الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه .

هذه تربية الله لنا ، وصدقوني أيها الإخوة .. أن المصائب كلها
لو كشفت حكمتها لكم لكنتم في درجة من قبولها لا توصف ، فأنا
أعرف أناسا كثيرين سبب توبتهم ، وسبب دخولهم في حظيرة
الإيمان ، وسبب سعادتهم وتوفيقهم مصيبة ساقها الله لهم فأرجعتهم

إني الله ، قال تعالى في سورة السجدة :

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾

" ولنذيقنهم من العذاب الأدنى " .. بالدنيا .. " دون العذاب الأكبر " .. بالآخرة .. " لعلهم يرجعون " .. فلنفهم : أن الله إذا ساق لنا بعض الشدائد فهذا من أجل أن نتوب إليه ، لذلك ورد في القرآن الكريم .. " ثم تاب عليهم ليتوبوا " .. في قوله تعالى في سورة التوبة :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة ، فإذا قلنا : تابوا فتاب عليهم ، أي قبل توبتهم ، أما إذا قلنا : " ثم تاب عليهم ليتوبوا " .. أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة .

فالإنسان المؤمن لا يتضجر إذا الله عز وجل أدبه ومعنى ذلك أنه في خير ، فإذا قال أحدهم لصديقه : أنا لست في راحة من كثرة الوظائف والتبعات والتكاليف ، فأنا في الصف الرابع في الجامعة والدروس علينا مكثفة والكتب صعبة ، والوظائف متتالية ، وعلينا

تقديم أطروحة في آخر العام الدراسي ، ودوام كثير ودروس عملية ،
فلست في راحة .

و قال له الآخر : أنا لست لدي أية مشكلة ، فأنا أنام إلى
الظهيرة ، لأنه بالطبع لا يدرس وهو خارج الجامعة ، وبدون عمل ولا
مستقبل ، فليست لديه أي مشكلة وفي راحة ، فهذه الراحة راحة
الموتى ، وتعب الشخص الأول تعب الأحياء ، إن الله عز وجل إذا
علم فيك خيرا ، ووضعك ضمن العناية المشددة وتابعك ، فلا توازن
نفسك مع من هو شارد تائه ، كالدابة المتفلته ، قوي ، غني ،
صحيح ويمارس كل شهواته بحرية بلا قيد أو شرط ، فلا توازن
نفسك معه فأنت طالب علم ، أنت ترجو رحمة الله ، أنت تطلب
الجنة ، أما ذاك شرد على الله شرود البعير ، قال تعالى في سورة
الأنعام :

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

و قال تعالى : " لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وما عند الله
خيرٌ للأبرار " (١٩٨ - سورة آل عمران) .

ملخص الدرس : .. إذا ساق الله لأحدنا بعض الشدائد ليعلم علم اليقين أنه مطلوب لرحمة الله ، وأن فيه خيرا ، وأنه في العناية الفائقة .. فإذا الطبيب رأى مريضا مصابا بالسرطان من الدرجة الخامسة ومنتشر في كل أحشائه ، فيماذا ينصح المريض ؟ يقول له : ليست هناك مشكلة فكل ما شئت .. وإذا سأله المريض عن نوع من حبوب الدواء هل يتناوله ؟ فيجيبه : كيف ما تريد وتحب وعلى حسب راحتك .. فتجده متساهلا معه كثيرا ، أما إذا كان مريضا بالتهاب في المعدة تجده تائرا عليه فيما إذا تناول طعاما غير مناسب ، فإذا كان هناك أمل في الشفاء فتجد الطبيب يعامله بشدة بالغة ، أما إذا لم يكن هناك أمل في الشفاء فتجده لا يهتم بما يفعله ، فإذا كان الله يتابع الإنسان فمعنى ذلك أن الله يحبه وهو في العناية المشددة .

لذلك .. إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة .. و إذا أحب الله عبده ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن شكر اقتناه ..
إذا أحب الله عبده جعل له وازعا من نفسه .. و إذا أحب الله عبده جعل حوائج الناس إليه .

فالإنسان لا يتضجر ولا يتأفف من تضيق الله عز وجل عليه ، فهذا التضيق محض رحمة ، ومحض إكرام ، و هو النعمة الباطنة التي فسرّها المفسرون .. " وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة و باطنة .."

في قوله تعالى في سورة لقمان :

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ وَظَهَرَ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

و الحمد لله رب العالمين

الذوق
الذوق

الرزاق

" أيها الإخوة الأكارم : نتحدث اليوم عن اسم الله تعالى ((الرزاق)) ، وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى في سورة الذاريات : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ " (٥٨) .

والرزاق - كما تعلمون - صيغة مبالغة ، و إذا جاء اسم الله عز وجل بصيغة المبالغة فمعنى ذلك أنه يرزق العباد جميعاً مهما كثر عددهم ويرزق الواحد منهم رزقاً وفيراً لا حدود له ، إما على مستوى مجموع المرزوقين ، وإما على مستوى كمية الرزق ، لذلك لم تأت الرزاق بل أتت الرزاق ، لأنه يرزق كل العباد ويرزق العبد الواحد كل شيء ، وإذا أعطى أدهش .

وورد هذا الاسم في قوله تعالى على شكل فعل مضارع في سورة العنكبوت : "وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (الآية ٦٠)

ومن دعاء سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، :
اللهم يا رازق البغاث في عشه " (و البغاث هو أحد فراخ الغراب ، و هي أضعف أنواع الطير) هذا البغاث إذا انفقت البيضة عنه خرج البغاث أبيض كالشحمة ، يعني قطعاً من الشحم ، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه ، لأن الغراب أسود اللون ، فيسوق الله تعالى له بعض

الحشرات يتغذى عليها إلى أن ينبت ريشه ويسودُّ لونه عندئذ يتعرف عليه الغراب !!! .

الحقيقة أنه من الخطأ والسذاجة أن تحصر الزرق في الطعام والشراب ، فقد قال تعالى : " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (آل عمران - ٣٧)

فقال العلماء : " رزق الأبدان بالأطعمة ورزق الأرواح بالمعرفة " ، و المعرفة أشرف الرزقين فإذا خصَّك الله بدخل وفير أكلت به أطيب الطعام وخص عبدا آخر برزق المعرفة فاعلم علم اليقين أن العبد الآخر أكثر حظوة عند الله منك لأنه منحه رزق النفوس رزق الأرواح و هي المعارف ، قال الله عز وجل في سورة القصص : " ولما بلغ أشده و استوى آتيناها حكماً و علماً ، و كذلك نجزي المحسنين " (١٤) .

يا أيها الإخوة الأكارم . أسوق لكم هذه البشارة : " الصلاة من أسباب سعة الرزق!! " .. ما الدليل .. ؟ قال الله عز وجل في سورة طه : " وَ أَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ، لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ، وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى " (١٣٢)

استنباط من الآية لطيف جدا ، فإذا أودت أن يزداد رزقك لن أقول لك صلِّ فأنت مصلِّ إنما أقول لك أتقن صلواتك ، فالخشوع من فرائض الصلاة لا من فضائلها ، وربنا عز وجل حينما أثنى على المؤمنين ، قال في سورة المؤمنون : "قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون " (١-٢) .

ومن آداب العبودية مع الله عز وجل أن يرجع العبد إلى ربه في كل ما يريد ، في الأشياء النفيسة وفي الأشياء الخسيسة ، أن يرجع إليه في كل شيء . أي إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع .. ، فمثلاً لو ضاعت مفاتيح البيت قل اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بيني وبينهم ... وهكذا .

ذكر لي أحد الأخوة أنه توجه إلى المدينة المنورة ونسي العنوان الذي سوف يتوجه إليه فدعا الله في الطريق فساقه إلى البيت بشكل يسير بينما إنسان آخر بقي عشر ساعات ضائعاً عن مكان البيت .

إذن : إسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة ، وهذا من تمام العبودية لله عز وجل .

الدليل .. سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماذا سأل الله ؟ قال رب أرني أنظر إليك ، فهذا من الأسئلة النفيسة ، وهو من أرقى الأسئلة ، ولما جاع قال : " ربَّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير " ،

وهذا دليل على أن العبد يجب أن يسأل ربه كل شيء .

سيدنا علي رضي الله عنه يقول : " لست مطالباً بطلب الرزق ولكنك أمرت بطلب الجنة " فما الذي فعله الناس ؟!!! تركوا ما أمروا بطلبه وطلبوا ما أمروا بتركه !!! هذه مشكلة !! مع أن الله سبحانه وتعالى ضمن لهم الرزق بأدلة كثيرة ، قال الله تعالى في سورة الذاريات : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ " (٥٨) .

و في سورة الروم : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، ثُمَّ رَزَقَكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ ؟!!! " ، سبحانه وتعالى عما يُشركون " (٤٠) .

و في سورة الأنعام : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَمْ وَصَّاءُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (١٥١) .

و في سورة الإسراء : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا " (٣١) .

و في سورة الذاريات : " وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَمَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ " (٣١-٣٣) .

إذن ربنا سبحانه وتعالى طمأننا بأنه تكفل لنا برزقنا ، و مع ذلك يجهد الناس ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل من أجل الرزق ، يقول الله سبحانه في الحديث القدسي : " خلقت السماوات والأرض ولم أعني بخلقهن أفيعيني رغيـف أسوقه لك كل حين ؟ يا بني آدم : لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " . فقد تكفل سبحانه لنا بالرزق وأمرنا أن نسعى للدار الآخرة ، فقال في سورة النجم : " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " (٣٩) .

و لكن ما الذي يحدث ؟! ، إن الذي كُلفت في طلبه توانيت في طلبه والذي ضمنه لك الله سعيت إليه .

سيدنا عيسى عليه و على نبينا السلام يقول فيما تروي بعض الكتب : " لا تغتموا لبطونكم " .

إنسان توفي أخوه وترك لهم خمسة أولاد ليس له مورد رزق ، فصار يبكي ، ثم التقى بشيخه فقال له ما بالك يا ولدي ؟ قال توفي أخي وترك لي خمسة أيتام ، قال ألم يترك لهم شيئا ؟ قال بلى شيئا يكفيهم سنة قال : " حسناً ، حينما تنتهي هذه المؤونة إبدأ بالبكاء " . وتروي المقولة إن هذا الرجل توفي قبل أن ينتهي الرزق بثلاثة أشهر !!! .

أعرف شخصا سيهدم منزله ، لسبب تنظيمي ، فضج
وزمجر وأرعد ، وتمزق وبكى واستعطف ، وقد وعد وعدا
قطعا بتأمين بيت لائق له ، ولكنه رغم كل الوعود والمواثيق
بقي مضطربا وضجرا ، ثم مات بعد أشهر عدة قبل أن يهدم
بيته .

إذن الإنسان لا ينبغي له أن يهتم للشئ أكثر مما ينبغي .

قال بعض العلماء : " الرزق من غذى نفوس الأبدان بتوفيقه ،
وحلى قلوب الأخيار بتصديقه " ، دائما الرزق رزقان رزق الأبدان
ورزق النفوس .

و بعض العلماء فسروا القوت برزق الأرواح ، يعني إذا صليت
صلاة وأعجبتك ، إذا صليت وبكيت إذا قرأت القرآن وخشع قلبك ،
فمعناها أنك قريب من الله عز وجل ، وأن هناك حياة ونبض ، وأن
هناك شيئا من الإخلاص .

قال بعض العلماء : " الرزاق هو الذي خص الأغنياء بوجود
الرزق ، وخص الفقراء المؤمنين بشهود الرزاق " !!! .

أعطاك طعاما و أعطى الغني طعاما و شرابا و بيتا
و دخلا و مركبة و أعطى الفقير المؤمن شهود الرزاق ، إما أن
تجد الأرزاق و إما أن تشهد الرزاق ، المجموع ثابت ، هناك

نظرية رائعة جدا : تقول : لو جمعت كل شيء أعطاك الله إياه وجمع الآخر كل شيء أعطاه الله إياه لكان مجموع الاثنين واحدا !! ، فإذا أخذ منك بعض المحبوبة عوضك عنها ببعض التجلي ، وإذا أغرقك في النعيم المادي حرمك من نعيم القرب !!! .

فهنالك توازن يعبرون عنه بأن المجموع واحد والمجموع ثابت ، وهناك نظرية أخرى ليست في المعنويات في الماديات ، فلو أعطى الإنسان - مثلاً - درجة للزوجة ، ودرجة للبيت ، ودرجة للدخل ، ودرجة للوظيفة أو المركز الاجتماعي ، ودرجة للصحة ، ودرجة للوسامة ، تجد أن معظم الناس ينالون مجموع علامات واحد لكنها متفاوتة فيما بينها ، مثلا ثمانية على الزوجة ، واثنان على الأولاد و خمسة على الرزق ... إلخ ، فالمجموع خمس عشرة ، اثنتان على الزوجة ثمان على الأولاد خمس على الرزق ، أو عشرة على الرزق ثلاث زوجة اثنتان على الأولاد المجموع خمس عشرة ، فلو دقت ترى من له دخل أقل من حاجته هو منعم براحة البال التي لا يحلم بها من آتاه الله زرقا وفيرا ، يؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : " خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها مما ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر " .

و الزرق أيها الإخوة في أدق تعاريفه هو ما يُنتفع به : المال
ينتفع به ، العلم ينتفع به ، الخلق ينتفع به ، شعور القلب بالطمأنينة
يُنتفع به ، في أدق تعاريف الرزق .

جاء رجل إلى حاتم الأصم ، فقال : " من أين تأكل ؟ فقال من
خزائنه، فقال الرجل أيلقي الله عليك الخبز من السماء؟! فما هذا
الكلام؟! قال حاتم : " لو لم تكن الأرض له لألقى علي من السماء
الخبز!! إنه يرزقني من الأرض "!!! .

هكذا تجد أن الإنسان حينما يطلب الرزق من الله عز وجل فالله
يسوق له الرزق ، يلتقي بإنسان صدفة يسأله أتعمل؟! يقول لا ،
يقول له هناك عمل .

الموضوع طويل وله آلاف الشواهد ، قد تُرزق من حيث لا
تحتسب قد ترزق بسبب تافه جدا قد ترزق بنظرة ، قد ترزق برسالة
جاءتك خطأ قد ترزق ببضاعة كاسدة .

سمعت أن أحد تجار البزورية في الحرب العالمية الثانية باع
السكر بزيادة قليلة فجاءت الضابطة فأغلقت المحل بالشمع الأحمر ،
إلى أن انتهت الحرب تضاعف السعر مائة ضعف فاغتني إلى ولد
ولده كما يقولون ، فقد تُرزق بشيء مزعج ، فالله عز وجل هو
الرزاق ذو القوة المتين!!! .

الشيء الدقيق أنك إذا علمت أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ،
أفردته بالقصد ، الناس أحيانا يتجهون إلى زيد إلى عبيد إلى فلان
إلى هذه الجهة يطمعون ليأخذوا ، ولكن إذا علمت أن الله وحده هو
الرزاق تُفرد به بالقصد ولا تسأل أحدا سواه ، تكسب العزة والكرامة
والطمأنينة والحظوة عند الله عز وجل .

قيل لإتسان آخر : " من أين تأكل ؟؟؟!! " فقال : " من خزائن
ملك لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس " !!! .

فخزائن الله عز وجل مفتوحة وخزائنه مملوءة وخزائنه فيها كل
شيء ، والدليل . قوله تعالى في سورة الحجر : " وإن من شيء إلا
عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم " (٢١) .

من أسخف النظريات أن يقول الإنسان إن موارد الأرض تُشح ،
إن الأرض مهددة بمجاعة ، إن ازدياد السكان ازدياد هندسي ،
" مالتوس " يقول الانفجار السكاني سيوقع الناس بمجاعة كبيرة ،
هذه كلها كلمات من لا يعرف الله عز وجل ، لأن كل تقنين أو تفتير
أو تقليل في الرزق هو تقليل وتقنين من نوع التأديب لا من نوع
العجز ، والإنسان وحده إذا قنن فعن عجز أما الإله إذا قنن فلغاية
التأديب فقط .

امرأة أحد العارفين بالله قيل لها كيف يرزقك زوجك قالت
زوجي ليس رزاقا بل كيال !! .

فمن الأخطاء الشائعة أخطاء في التوحيد ، يقولون فلان مُعيل ،
أي عنده عائلة كبيرة ، والصواب فلان مُعال وليس معيل . المُعيل هو
الله عز وجل ، والناس كلهم على مائدة الرحمن .

كما قلت قبل قليل إن الله عز وجل خص الأغنياء بوجود
الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق ، فمن شهد الرزاق ما ضره
ما فاته من الأرزاق ، من علامة المؤمن أنه إذا عرف الله ووصل
إليه ما تألم على شيء فاته من الدنيا قط !!! إذا تألمت ألما شديدا
وإذا احترق القلب حرقة لاذعة على شيء فاتك من الدنيا فهذه علامة
أنك لا تعرف الله وأنت ما وصلت إليه ، فلو وصلت إليه لما تألمت
ولما حزنت على شيء فاتك من الدنيا إطلاقا ، وقد قيل إن سيدنا
الصديق رضي الله عنه ما ندم على شيء فاته قط ، أحيانا تجلس مع
إنسان تحس قلبه يحترق ندما لأن هذه الأرض باعها ثم أصبح
سعرها مائة ضعف ، متألما ألما شديدا لا حدود له - بل إن معظم
الأمراض اليوم أمراض القلب والشرابين أمراض المعدة وأمراض
الأعصاب وأمراض الأوعية ، هذه الأمراض أكثرها بسبب الآلام
والندم ، أما إذا عرفت الرزاق ما ضرك ما فاتك من الأرزاق .

ومن عرف أن الرزاق واحد قصده ولم يسأل أحدا سواه ، كلكم
يعرف القصة التالية أن أحد خلفاء بني أمية طلب عالما جليلا ليلتقي
به ، فالتقى به ، فأراد هذا الخليفة أن يكرم هذا العالم ، قال له سلني

حاجتك . فقال والله إني لا أسأل غير الله في بيت الله ، فهذا بيت الله أستحي أن أسأل أحدا سواه ، فلما التقى به خارج المسجد قال له سلني حاجتك ، قال والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ فلما أصر عليه ، قال أطلب منك الجنة ، قال هذه ليست لي ، قال إذا ليس لي عندك حاجة !!! .

هذا العز عزة التعفف ، فما أجمل أن يعطي الغني الفقير ، و الأجل من ذلك أن يتعفف الفقير عن مال الغني و أن يقول الحمد لله !!!! .

قال بعض العلماء : " كما أن الله لا شريك له في خلقه ، لا شريك له في رزقه ، كما أنه لا إله إلا الله ، أيضا لا رازق إلا الله ... يقولون دائما أن الله سبحانه إذا أعطى أدهش .

و لو كانت الأرزاق تجري مع الحجي هلكن إذن من جهلهن البهائم ترى إنسانا ذكيا جدا رزقه قليل وقد تجد إنسان في منتهى البساطة والسذاجة رزقه وفير ، فمعناها الرزق له عامل آخر غير عامل الذكاء وعامل السعي ، لكن تأكدوا أن للرزق علاقة بالاستقامة ، العوام يفهمون أن هذا الرزق مكتوب ولا حيلة لأحد في كسبه ودفعه ، هذا الكلام صحيح من جانب واحد ، فالله يقول في سورة الجن : " وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا " (١٦) ، و يقول في سورة الأعراف : " ولو أن أهل القرى آمنوا

وَاتَّقُوا لِفَتْحِنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (٩٦) .

قد يُحرم المرء بعض الرزق في المعصية " حديث شريف .. إذا أردنا أن نوضح هذه الحقيقة ، مثلا إذا رأيت أن ابنك ليس أهلا لتمكُّك المال، فإنك تعطيه الحد الأدنى ، تعطيه مبلغا يسيرا يكفي حاجاته الضرورية ، أما إذا كان ابنك من أهل الصلاح ، والورع والاستقامة والحكمة، تقول له أبق معك الخمسمائة ليرة لا شيء عليك ، أما خمسمائة لولا آخر يذهب لأماكن لا تُرضي الله عز وجل تعطيه ثمن شطيرة ثمن ركوب سيارة ، وهو الحد الأدنى، والله المثل الأعلى. قال الله تعالى : في سورة الشورى : " و لو بسطَ اللهُ الرزقَ لعباده لَبَغَّوا في الأرضِ، ولكن يُنزَلُ بِقَدَرٍ ما يشاء ، إنه بعباده خبيرٌ بصير " (٢٧) .

الفكرة خطيرة وهامة جدا ، التقنين تقنين تأديب لا تقنين عجز ، أو الأصح من ذلك التقنين تقنين حكمة لا تقنين حاجة .

يروى في بعض الكتب أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، سأل الله في مناجاته ، قال: " يا رب إنني تعرض لي الحاجة الصغيرة أحيانا ، أفسألها منك أم أطلبها من غيرك ؟ " فأوحى الله تعالى إليه : " لا تسأل غيري " أي أن الإنسان أحيانا يحتاج شيئا بسيطا ، فمرة حدثني طبيب ناشئ أول ما فتح

عبادة له ووالدته مريضة في دمشق وهو في بلد آخر ، يحتاج لمبلغ معين ، فقال يا رب أريد المبلغ الفلاني ، فعلى خلاف العادة أتاه مريض وراء مريض .. إلى أن اجتمع المبلغ بكامله .

الإنسان أحيانا عليه دفع .. ليقول يا رب ليس عندي فأعطني ، عود نفسك الطلب من الله فإذا رأيت الزوجة متصلبة برأيها فقل يا رب اهدها .. ، أو رأيت الشريك مزعجاً .. فقل يا رب لطفه .. وجدت الابن منحرفاً ، فقل .. يا رب أدبه .. ، وجدت العمل مزعجاً ، .. فقل يا رب بدله لي عود نفسك أن تسأل الله عز وجل كل شيء .

أحيانا الإنسان مع أخيه المؤمن يقول إكراما له : إياك أن تسأل أحدا غيري ، كلما سنحت لك حاجة تعال إليّ وخذها مني ، هذه منتهى المودة ، فإنك إذا أحببت إنسانا حبا شديدا ، فإنك لا ترضى أن يبذل ماء وجهه لغيرك ، والله المثل الأعلى ، فكأنه - سبحانه - لشدة حرصه علينا وحببه لنا يقول : " لا تسأل غيري " .

يحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال ، كان في جوارى امرأة أرملة لها أيتام ، و كانت ليلة ذات مطر ، فسمعت صوتها ، تقول : " يا رفيق أرفق بحالي " ، قال فخطر ببالي أنها أصابتها فاقة ، فصبرت حتى احتبس المطر ، فحملت معي عشرة دنائير ؟ وقرعت عليها الباب ، فقالت : حماد بن مسلمة ؟ " يبدو أنه معروف

بالصلاح " فقلت نعم حماد ، كيف الحال ؟ فقلت في خير وعافية ،
احتبس المطر ودفي الصبيان ، فقال خذي هذه الدنانير وأصلحي بها
بعض شأنك .. وكان عندها بنت صغيرة ، صاحت هذه البنت : " ، لا
نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين الله " ثم قالت لأمها : " لما رفعت
صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد
مخلوق " !!! .

أحيانا ينالك الخير من الله مباشرة ففيها عز ، لا أحد له عليك
منةً وأحيانا أنت تشتكي ، فإذا اشتكيت لمؤمن قد يرقُّ لك قلب هذا
المؤمن لكنه الآن سيأتيك العطاء لا من الله مباشرة بل عن طريق
هذا المؤمن فإذا اشتكيت إلى كافر يشمت بك وقد يعطيك ، لكن هذا
منتهى الإهانة أن يعطيك عن طريق كافر ، فإذا كان هناك منظر يهز
أعمق مشاعري أن أرى مؤمنا يتذلل أمام كافر !!!

يبذل ماء وجهه ، يتشكى ، يتضعضع ، والآخر يشعر
أنه لو الإيمان ينفع لما اشتكى هذا المؤمن إليّ ، كأنه يشمت
به !!!! .

فمن اشتكى لمؤمن فكأنما اشتكى إلى الله ، ومن اشتكى
إلى كافر فكأنما اشتكى على الله ، وأرقى أنواع الشكوى أن لا
تشتكى .. ، كما جاء في سورة يوسف : " إنما أشكو بثي وحزني إلى
الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون " (٨٦) .

أحدهم شعر بآلام بجسمه آلام لا تحتمل ، لو قال لزوجته أو لبناته أو لأولاده ، فإنهم يتعاطفون معه ويتأثرون ، ولكن من يستطيع أن يوقف هذا الألم ؟ الله وحده .

هناك أشخاص يصبرون يكابرون ، لا يحبون أن يشركوا أحدا في مصيبتهم ، هذا مستوى من المستويات ، ولكن لا مانع إذا اشتكى الرجل لزوجته ، هذا ليس موضوع حلال وحرام ، ولكن هذا كلما رقت النفس وشفقت ، ترى أن الله عز وجل هو وحده يشتكى إليه ، فإبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار " قال له جبريل عليه السلام : " يا إبراهيم ألك حاجة ؟ " قال : " منك ؟ " ، ثم قال " لا بل من الله ، وعلمه بحالي يغني عن سؤالي " !!!! .

فإنه يراك ، ويعرف وضعك ودخلك يعرف ألمك يعرف مرضك يعرف مشكلتك مع زوجتك ، يعرف مشكلتك مع شريكك ، يعرف سوء المواصلات ، يعرف أنك أوصلت فلان والوقود غال . . . فالله يعرف كل شيء . فالله يقدر الليل والنهار ، فكما شفت نفسك وكما أقبلت على الله تستغني به عما سواه ، تشعر بعزة النفس فالمؤمن يمتلئ عزة يمتلئ إيمانا وغنى ونشوة وعزة وكرامة .

و لكني ألاحظ أن الإنسان أمام مصالحة وأمام المكاسب الدنيوية يتجشم المشاق ، لكن أمام عباداته وأمام الأعمال الصالحة ، دائما يميل إلى الراحة والى الكسل ، فمثلا : وجدت أمام أحد المصارف

ازدحاماً كبيراً، أكثر من خمسمائة شخص في الساعة الثانية والنصف ، بأشد أيام الحر ، فسألت ما القصة ، قالوا هناك تسجيل لحجز السيارات ، الساعة السادسة مساء ، فهم واقفون من الساعة الثانية بدورهم .

أحياناً ربنا يؤدب ولكن تأديب فيه ستر ، آلام داخلية و المظهر ليس به شيء ، وأحياناً أخرى يعطيك مرضاً جلياً كلما التقيت مع إنسان " يقول لك : " خيراً إن شاء الله ما هي القصة ، أين تعالجت ؟ " أحياناً الإنسان لا يحب أن تنتشر مشكلته بين الناس ، و لكن الله أحياناً يرسل مشكلة من شأنها أن تنتشر ، وأحياناً ربنا يؤدب الإنسان تأديباً داخلية ، تأديباً مباشراً " .. لذلك الدعاء : " يا رب اغفر لي مغفرة من عندك " أي يا رب إذا أردت أن تؤدبني فأدبني سرا ، أي بيني وبينك " .

حدثني شخص أحسبه مؤمناً - ولا أزكّيه على الله - وأعلم أنه بغض بصره عن محارم الله سافر إلى أوربا ، قال في مطار لارنكا في قبرص ، طائرة سويدية نزل منها نساء بزي واحد وعدد كبير جداً ، قال كيف خانتني عيني ونظرت؟ لا أدري ، وبعد ذلك ركب سيارة أجرة ثم دفع للسائق أجرة بعملة أجنبية ، فالسائق ساقه إلى مكتب شرطة ، فدخل وتكلم مع ضباط الشرطة ، خرج اثنان فأخذوه ووضعوه في قفص صغير ، هو شخصية

مهمة جدا وذاهب إلى مؤتمر ويتقن لغتين ، فما هذا الذي وقع فيه ؟!!! قال والله بكيت ، فوقع في قلبه نداء " لماذا نظرت إليهن " !!! .

فأحيانا الله عز وجل يغفر لك مباشرة من دون سجن ومن دون

إهانة وأحيانا هناك عذاب مهين !.

مرة رأيت في الطريق شخصا يرتدي أجمل الثياب وعمره من فوق الخمسين سنة ، تقاوم مع الشرطي ، من أجل المرور ، فجاء الضابط فلطمه لطمتين على وجهه ، فالآن كلما أذكر المشهد أمام الناس ، قلتُ إن الله عز وجل عنده عذاب مهين وعنده عذاب أليم وعنده عذاب عظيم : بالدنيا عذاب أليم عذاب مهين ، وفي الآخرة : عذاب عظيم !!! .

بعضهم تسنموا هممهم فلا يطلبون من الله إلا الحوائج النفيسة يقولون يا رب ارزقني الجنة ، يا رب ارزقني أن أعرفك ، يا رب لا تمتني قبل أن ترضى عني" ، دائما طلباتهم متعلقة بالجنة والمعرفة وفهم القرآن وإتمام التفسير ، وهناك أشخاص يقولون يا رب يخرج المستأجر من داري ... فهناك .. أناس يطلبون أشياء نفيسة وأناس يطلبون أشياء خسيسة ، كل حسب اجتهاده .

و لكن الحديث الشريف يقول :

عن ثابت البناني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع "

إن الله عز وجل يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح و الظواهر ، أوكد لك إذا أنت صليت صلاة صحيحة ، أو إذا أكرمك الله بالحج مثلا ، أو وقفت في عرفات وبكيت حتى انتشيت ، تبقى أحيانا شهرا في نشوة هذا البكاء أو هذا القرب أو هذه الرحمة !!! وإذا صليت صلاة أرادها الله عز وجل أن تكون خاشعة، بعدها قد يفتح الله عليك بفهم ما تتلو من القرآن ... هذه أرزاق !!! ، وإذا صام الإنسان رمضان صياما مقبولا وشعر أن صيامه كان صحيحا ، ليس فيه معاصي ، كان منيبا إلى الله فيه ، وصلى التراويح بنشاط ، يقول لي بعض الإخوة الأكارم : " لو كانت التراويح خمسين ركعة فنحن في سرور " !! طبعاً صيامه صحيح مستقيم أثناء النهار ، أكل قليلا ، نام قليلا عصرا ، جاء إلى التراويح نشيطاً !!! .

قال إن الله يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر وأرزاق القلوب الكشوفات و المعاني كما أن أرزاق الأجساد الغذاء و الأحاطي ، جمع حظوة ، الكشوفات أي أن المؤمن يرى ما لا يرى

الآخرون عنده شعور ، يعرف جوهر الحياة ، يعرف أين كان وإلى أين المصير ، يعرف أثنى ما في الحياة .

أحيانا الإنسان يضيع وقته بأشياء تافهة وأحيانا يمضي وقته بأشياء ثمينة ، وهذا أيضا رزق ، هناك نقطة ثانية ، وهي عكس الرزق ، فكما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه ، قال الله تعالى في سورة الفجر : " فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّاهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، و أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ، كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ، و لَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ، و تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ، و تَجْبُونَ الْمَالَ جُبًّا جَمًّا " (١٤-٢٠) .

تراه ذكيا ، يحمل شهادة عليا ودخله قليل ، ليس له وظيفة ولا عمل هذا بتقدير الله عز وجل ، فكما أن الله عز وجل ، يضيق على العبد رزقه المادي أحيانا يضيق عليه رزقه الروحي!! ، يصلي صلاة لا معنى لها جوفاء ليس فيها خشوع ، يشرذم في الصلاة ، قال لي شخص : " إذا كنت غلطان بالمحاسبة لا أذكرها إلا في الصلاة ، هناك أمر غير مسجل يصلي فيلقاها في الصلاة ، قال لي بالصلاة كل المشكلات تأتي إلى خاطري ، معناها أن هناك سداً بيني وبين الله ، فكما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه المادي أحيانا يضيق عليه رزقه الروحي !!! .

هذا التضييق له تفسيران ، الأول أن هناك معصية ، أو مخالفة ،
أو تقصير، هناك حقوق لم تؤدّها ، فهذا هو الحجاب بينك وبين الله ،
فكل معصية لها حجاب ، لها شؤم .

و هناك تفسير آخر : قد تكون مستقيما على أمر الله ، لكن هذا
التضييق سببه التعطيش : كأن تكون قد وصلت لمرتبة أنت راغب
بأن تبقى فيها ، تعيش فيها فترة لا بأس بها ثم تألفها و ترضى
بها ، لكن الله لا يرضى لك هذه الحالة المستمرة ، فيحجب عنك
الأحوال :

فلا صلاتك صلاة و لا ذكرك ذكر ولا تلاوتك تلاوة والله عز وجل
أراد لك أن ترتقي عن هذه المرتبة ، فكيف تنتقل من مرتبة إلى
مرتبة ؟ يحجب الله عنك الأحوال و التجليات ، فتضج وتقلق ، فتخاف
ثم تشمر وتعمل المزيد من الصالحات ، فتصعد درجة ، وهكذا إلى
أن تبلغ أعلى درجة أرادها الله !!!! .

أحيانا ترى إنسانا طليقا مسرورا مرحا وجهه فيه تألق ، على
خده تورد في عينيه لمعان ، طليق اللسان ، حركاته خفيفة ، هذه
صفات المنتشي دائما وقبل أن أتابع القصة لي هذه الملاحظة ، أنت
كمؤمن ، إن سعدت بقربك من الله عز وجل فأنت مؤمن ورب
الكعبة ، إذا كانت نشوتك وسرورك و طلاقتك وراحة نفسك وجدتها
ياقباك وقربك ، فهذه علامة إيمانك ، أما إذا تألقت عيناك وتورد

خداك وانطلق لسانك لأرياح حقيقتها أو لمكسب وصلت إليه فهذه
علامة أخرى ، فمن أنت ؟ أمن أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟

إذا سرّك عطاء البشر فأنت من أهل الدنيا ،

أما إذا سرّك عطاء الله عز وجل فأنت من أهل الآخرة .

قال الحسن البصري إذا تلوت القرآن وذكرت الله عز وجل
وصليت ولم تجد شيئا فاعلم أنك محجوب !!! قال الله تعالى في سورة
المطففين : " كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ " (١٥) .

ذاك حجاب الآخرة ، ولكن في الدنيا حجاب آخر: إذا شعرت أنك
محجوب انتبه وابحث عن السبب ، لعلك مقصر لعلك معتد بنفسك
لعلك مستغن عن الله ، لعلك وقع في نفسك سوء ظن بالله وأنت
لا تدري لعلك وقعت في سوء ظن بالنبي عليه الصلاة والسلام وأنت
لا تدري ، فإذا شعرت أن بينك وبين الله حجاب فابحث عن السبب
وإياك أن يزداد الحجاب ، والحجاب يرق ويثخن ، فإذا كان الحجاب
كثيفا فالمشكلة خطيرة جدا ، كما قال سيدنا عمر " تعاهد قلبك " ،
يعني راقب قلبك راقب أحوالك راقب طمأنينتك ، لو أن إنسانا استيقظ
بعد صلاة الشمس فإذا لم يشعر بانقباض فحاله خطيرة جدا ، لكن إذا
شعرت بانقباض شديد وألم وشعور بالخزي والعار من الله عز وجل
وشعور بالضيق ، فاحترس !!!! .

قال أحدهم : " دخلتُ على داوود الطائي فرأيتُه منبسِطًا ، وكنستُ
إذا دخلت عليه أراه منقبِضا فقلتُ أي شيء حالك ، فقال سقاني
البارحة شراب أنسه فأردتُ أن أجعل اليوم يومَ عيد " ، يعني صار له
صلة بالله أقبل على الله ، شعر بنشوة الاتصال ، هذا أجمل ما عنده
لذلك قال حاتم : " فأردتُ أن أجعل ذلك اليوم يومَ عيد " ... فقلتُ :
" أتأذن لي أن أحمل لك طعاما حتى تفطر " ، فقال " لست أشير إلي
هذا وشتان بين شراب يُدار على الكف و شراب يكون في موجب
لُطف وروية كَشَف" أي أن هناك شراب مادي وهناك شراب
معنوي !!! .

لذلك إذا رجع العبد إلى الله نادى مُنادٍ في السماوات والأرض :
" أن هتئوا فلانا فقد اصطلح مع الله " !!!! .

فنشوة المؤمن في تقربه من ربه ... واسمعوا مني هذه الكلمة :

" إذا سعد الإنسان بالدنيا فهذه علامة خطر !!! " فالأولى أن
تسعد بالله ، وهناك حقيقة ثانية :

لا يمكن أن تسعد إلا بالله ، فإذا سعد إنسان بما سوى الله فهو
في خطر !! فالقرآن أليس هو كلام الله ؟ ربنا عز وجل قال في
سورة طه : " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ،
و نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى

وقد كنتُ بصيراً !!؟ قال كذلك أتتكَ آياتنا فنسيتهَا وكذلك اليوم
تُنسى " (١٢٤-١٢٦) .

فالله عز وجل قد يعطيك الدنيا ويأخذ منك راحة قلبك ، وقد
يعطيك راحة القلب ويسلب الدنيا منك ، فالعبرة أن يكون قلبك غنيا
بالله عز وجل ... إذن الرزاق هو الله عز وجل .

و الآن ما علاقتنا بهذا الاسم !!؟ وهذه مهمة جدا ، أول شيء
أن ترضى بقسمة الرزاق بدءاً من أمك وأبيك أنت ابن فلان
و فلاة ، هذا تقدير الله عز وجل ، أنا أبي ليس مثل أبي فلان انظر
إلى أبي فلان راق جدا ، أخلاقه عالية أنا أبي شرس أبي قاس أبي
جاهل ، أبي فقير ، انظر إلى رفيقي أبوه غني أبوه مثقف ثقافة
عالية ، أبوه في منصب راق . يجب أن ترضى بوالديك لأن هذا منتهى
الحكمة ، ويجب أن ترضى بشكلك ، فالله أقامك بهذا الشكل ، طول
زائد ، قصر ، وسامة ، دمامة ، صحة ، ضعف ، هكذا أقامك الله ،
فإذا اعترضت على الله فلست مؤمناً ، ولكن يجب أن ترضى عن
اختيار الله لك من أي رجل وامرأة كان وجودك وبأي شكل كان
وجودك ، وعن رزقك وعن زوجتك ، فالله اختار لك هذه الزوجة ،
أكثر الأشخاص غير المؤمنين يمضي كل حياته في عذاب يقول
ماوَفَّقْتُ في هذه الزوجة ، فالله اختارها لك ، علم فيك خيراً فضمها
إليك لعلك تهديها إلى الله !!! .

انظر إلى المؤمن عنده حسن ظن بالله ، لو أن الله ساق له ولد سيئ لا يتبرم ، يقول لك الله عز وجل هكذا اختار ، لو زوجه امرأة سيئة ، وفي القصة . أن رجل قيل له عن زوجته: "طَلَّقَهَا قَالَ : "والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين " !!!! .

هذا يعني أن ترضى عن رزق الله لك .

و الشيء الثاني : أن تجعل يدك على مالك وأن تجعل مالك خزانة ربك ، يدك على المال يد الأمانة لا يد الملك ، قال الله تعالى في سورة الفرقان : " والين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (٦٧) .

إذن : أول درس من معاني الرزاق أن ترضى بما قسمه الله لك ، وإذا رضيت بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس .

الدرس الثاني : أن تجعل مالك مال ربك وأنت عليه أمين ولست مالكا .

و الحمد لله رب العالمين

البرق
القطب
القطب
القطب

الرقيب

أيها الإخوة الكرام : الرقيب اسم من أسماء الله الحسنى ، و المؤمن إذا آمن بهذا الاسم ، انعكس هذا الإيمان على سلوكه انعكاساً واضحاً صارخاً ؛ فأنت إذا شعرت أنك مراقب فلابد من أن تنضبط ، فشعور الإنسان بأنه مراقب ، و لو من جهة أرضية ، ولو من إنسان لكنه أقوى منه، فلابد من أن ينضبط ؛ فكيف إذا أيقنت أن الله - جل جلاله - هو الرقيب ؟؟؟!! قال تعالى في سورة النساء :

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَّفُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

أيها الإخوة ، أحيانا تكون العقبة عقبة معرفة ، لأن فطرة الإنسان تعينه إذا عرف ، فحب السلامة ، وحب الفوز والكسب في الإنسان ، كافيان لأن يحمله على طاعة الله فيما لو أيقن أن الله رقيب عليه ، هذا الحال يشعرك أن الله معك دائما . قال عليه الصلاة والسلام : " أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان " .

قبل أن نتابع الحديث عن اسم الرقيب أريد أن أضع بين أيديكم مثلا يوضح حقيقة هذه الأسماء ؛ أنت لو التقيت عند صديق لك مع رجل لا تعرفه تقول له : من الأخ الكريم ؟ يقول لك : فلان بن فلان ؛

ولكن هل هذا يكفي لكي تعرفه؟ أم أنك تشعر أنك في حاجة للسؤال عنه كي تعرفه أكثر؟ لقد قال لك اسمه. ولكنك تسأله: ما اسمك؟ إلى أي مستوى دراسي وصلت؟ وتحب أن تعرف شيئاً عن ثقافته، أو عن اختصاصه، أو عن سنّه، أو عمله، هل هو متزوج؟ وكم ولد له؟ و أين يسكن؟ هنا يمكنك أن تعرفه... لكن إذا قلت لك: إن الله - جل جلاله - خالق السموات والأرض، فهذا لا يكفي؛ فأنت تحب أن تعرف أسماءه وصفاته، فما من موضوع يعلو على موضوع أسماء الله الحسنى، لأن رأس الدين معرفة الله - عز وجل - ولكن كيف تعرفه؟ هل تردد اسمه؟ لا، أن تتعرف على أسمائه وصفاته الحسنى، فلذلك مشروعية هذا الدرس أنه لا يكفي أن تعرف أن الله خلق السموات والأرض، إن هذه الحقيقة يعرفها كل الناس حتى الكفار، بل عبّاد الأصنام بل حتى المجوس قال تعالى في سورة العنكبوت:

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١١﴾

وفي سورة العنكبوت

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

فالمشكلة ليست أن تعرف أن الله خلق السموات والأرض ، وإنما المشكلة أن تتعرف إلى أسماء الله الحسنی ؛ فهذه هي مشروعية هذا الدرس الذي يعد في الدعوة إلى الله كالرأس من الجسد .

أولاً : الرقيب في اللغة بمعنى المنتظر ، قال تعالى في سورة

هود :

وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

" فارتقبوا " أي انتظروا فالرقيب هو المنتظر . ورقيب القوم هو الحارس الذي يُشرف على مراقبة العدو . ورقيب الجيش طليعته . والرقيب هو الله الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء ، قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

سورة النساء

إذا أيقنت أن الله يعلم ، فإن كل مشكلة عندك تهون ؛ ألم يقل الله - عز وجل - في سورة الطلاق :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَتَلَمَّوْا أَنْ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

﴿١٢﴾

فالله اختار من بين أسمائه اسمين فقال : لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و أن الله قد أحاط بكل شيء علما " فإذا علمت أن الله يعلم ، فبدافع فطرتك ، وبدافع حبك لذاتك ، وبدافع رغبتك في السلامة والكسب والتفوق ، تستقيم على أمره .

زرت مرة محلا تجاريا كي أشتري بعض الحاجيات فلم أجد رغبتني فقال لي صاحب المحل : حاجتك موجودة ولكن بالمستودع فذهبت معه إلى المستودع وكان في الطابق الرابع فوجدت محاسبا يجلس إلى طاولة وأمامه كاميرا تراقبه ، عندها عرفت أن هذا الشخص موظف عند صاحب هذا المحل وقد وضع صاحب المحل جهاز مراقبة عليه ، فهذا العامل لا يستطيع أن يتحرك ولا أن يأكل ولا أن يتمطى لأنه مراقب من طرف صاحب المحل !!! كذلك يقولون الطريق مراقب ، رأيت في بعض البلاد أن مخالفة المرور فيها بخمس مئة درهم أي بمعدل سبعة آلاف ليرة سورية ، لذا تجد الاهتمام بالانضباط في السرعة عال جداً لأن قيمة المخالفة سبعة آلاف ليرة تقريبا ، لو جاوز العداد التسعين لصارت المخالفة بسبعة آلاف ، فالمراقبة هي التي تجعل الإنسان يحذر .

دخلت بعض المعامل السورية فوجدت كل الغرف بينها مصنوعة من زجاج فقط لكي يرى المدير العام كل الموظفين !!! .

و لكن المراقبة من الإنسان شيء والمراقبة من الواحد الديان شيء آخر . لذلك بعض علماء القلوب أشاروا إلى حال المراقبة ، المؤمن الراقى يشعر دائما أن الله يراقبه ، وأنه تحت المراقبة قال تعالى في سورة الفجر:

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

فالرقيب هو المنتظر ؛ والرقيب هو الحارس ؛ ورقيب الجيش هو طبيعته ؛ والرقيب هو الله تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء . وفي الحديث الشريف : " ارقبوا محمدا في آل بيته " أي راقبوا وانتبهوا أن تؤذوه في آل بيته واحفظوه فيهم ؛ والرقيب هو الخلف يقال : نعم الرقيب أنت لأبيك ، هذه كلها معاني الرقيب ؛ والترقب أي الإنتظار ، وارتقبه رصده ، والرقيب من الناس الموكل بحفظ المترقب له ، ويقال للملك الذي يكتب الأعمال ويحفظ الأقوال أنه رقيب ، وفي القرآن الكريم في سورة ق :

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

و الرقيب هو العليم ، و يقال : " راقبت الله " إذا علمت أنه مطلع عليك فراعبت حقه .

أما إذا قلنا : الله هو الرقيب ؛ فماذا تعني ؟ إنها تعني الذي يعلم أحوال العباد ويعدُّ أنفاسهم . والله الذي لا إله إلا هو وأنت مُستلقٍ على فراشك لو خطر عليك خاطر أن غدا سأفعل كذا ، يجب أن تؤمن وأن تعلم وأن تعتقد اعتقاداً جازماً قطعياً ، أن هذا خاطر اطلع الله عليه ولا يستطيع من العباد أن يفعل ذلك ، إذ لو أنك رأيت شخصاً مستلقياً على فراشه لا يمكنك أن تقرأ أفكاره، فهذا مستحيل . الله ستر لك أفكارك وأحوالك عن الناس . فالناس لهم الظاهر لكن الله هو الخبير بالسرائر قال تعالى في سورة ق :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

فتكلمك وصمتك عند الله سواء ، وبوحك وكتماك عند الله سواء ، إعلالك وإخفاؤك عند الله سواء لأنه رقيب .

مرة ثانية أقول : إن هذا الاسم من أقرب الأسماء إليك ؛ إنك إن اعتقدت أن الله هو الرقيب فمن اللوازم القطعية للإيمان بهذا الاسم الاستقامة على أمره ؛ ومتى استقامت على أمره ؛ نجوت في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى : " ما فعلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكُنْ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا " !!! .

فيمكن لهذا الاسم أن يكون سبب سعادتك الأبدية ؛ إذا آمنت أنه يراقبك ، فاستحييت منه ، ولزمت أمره ؛ فالمؤمن في بيته مراقب ، وفي عمله مُراقب ، وهو يعالج المريض مراقب ، وهو يرفع مذكرة للقاضي مراقب ؛ وكلما اقترب من الله ؛ شعر بالعتاب أحيانا ؛ فمثلا أنت محام هل أتقنت عملك ودافعت عن هذا الموكل دفاعا قويا ، وراجعت القوانين كلها ؟ أو أنك طبيب هل عالجت هذا المريض معالجة متقنة أم أنك مستعجل ، ومشغول ولم تدقق في حساسيته والأدوية التي أخذها ؟ وأنت تقول : " إن الله كان عليكم رقيبا " ، هل عرفت أبعاده ؟ فالإنسان كلما ارتقى إيمانه حاسب نفسه حساباً دقيقاً . والله الذي لا إله إلا هو لو أن الإنسان عرف الله حق المعرفة ، لحاسب نفسه حساباً عسيراً لأنه تعالى مطلع عليه .

فإذا كان هناك طبق فاكهة موضوعاً أمام جماعة من الناس أليس من تمام المراقبة أن تؤثر أخاك وتجعل الحبة الكبيرة له لأذك تحت مراقبة الله في تفكيرك وحركتك ، لكن الله تعالى لطيف ، أحيانا تمشي مع شخص فتتضايق نفسك منه لكن الله معك دائماً دون أن يزعجك ، وهو معك بلطفه فمن أسمائه اللطيف ، فهو معك في بيتك ، وعملك ، وسفرك ، وحضرك ، وفي خلوتك ، و جلوتك ، ومع زوجتك ، وأولادك ، وعند كل كلام تقوله ، هو معك يراقبك لكنه لطيف لا يشعر بوجوده .

الله الرقيب هو الذي يعلم أحوالهم ويعد أنفاسهم ؛ وقيل أن معناها الحفيظ الذي لا يغفل والحاضر الذي لا يغيب ؛ قد تملك معرفة بعض الأشخاص الأقوياء فتكون لديك أرقام هواتفهم وربما تقع في وقت حرج فإذا اتصلت بأحدهم يقال لك : سافر ، وذاك هاتفه مقطوع لأسباب مالية ، وأنت في أشد الحاجة إليه لكنك لو اعتمدت على الله فهو دائما معك في السراء والضراء ، قل : يا رب يقل لك : لبيك يا عبدي لن تحتاج بهذا وصلا أو قسما أو مذكرة أو شهادة ، قال تعالى في سورة طه :

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَالٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾

أعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؛ هذا مقام الإحسان فاسم الرقيب يرفعك إلى مقام الإحسان !! في كل أسرة من أسرنا هناك كبير القوم متقدم في السن ومثقف أحيانا ، ذو وجهة ومعتدل وحليم ، لو أن هذا الإنسان زارك في العيد ، كيف تستقبله أبا القميص الداخلي ؟ والله هناك أشخاص لا يستقبلون الضيوف إلا باللباس الرسمي ، يخجل حتى بثياب البيت أن يستقبله ، فهو من علية القوم ، فتجد أنك تراقب نفسك بالكلام ؛ وتنتقي أفضل الثياب ، وتجلس جلسة مؤدبة فيها توقير ، إذا كان كل هذا مع الإنسان فكيف مع الواحد الديان ؟ فكلما ارتقى مقام الإنسان دخل في حال المراقبة

مع الله عز وجل ؛ فهو الحفيظ الذي لا يغفل و الحاضر الذي لا يغيب ، و العليم الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه ، قال تعالى في سورة الحاقة:

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

و قيل : الرقيب ؛ هو الذي يرى أحوال العباد ويعلم أقوالهم ؛ وقيل : الذي يراقب عباده ، ويحصي أعمالهم ، و يحيط بمكنونات سرائرهم ، ولا يغيب عنه شيء هذا من معاني اسم الرقيب ، والإنسان إذا تحقق من اسم الرقيب ، إستحي من الله عز وجل .

النبي عليه الصلاة والسلام إشتغل عندهُ عاملُ فاغتسل عنده عريانا ، فقال له : " خذ أجرتك لا حاجة لنا بك فإني أراك لا تستحي من الله " فالإنسان يحفظ عورته من أن يراها أحد ، فكلما ارتفع الإنسان شعر أن الله معه وشعر بمراقبة الله له .

اسم الرقيب جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن : ففي فاتحة سورة النساء قال تعالى في سورة النساء :

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآية، لكفت . هذا الأعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم :
عظني ولا تطل فتلا عليه النبي هذه الآية من سورة الزلزلة:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

هذا الأعرابي قال : كُفَيْت يا رسول الله ؛ أي هذه الآية تكفيني مدى الحياة ؛ فالنبي تعجب و قال فقه الرجل أي : أصبح فقيها ... فأي شيء جعل هذا الأعرابي فقيها ؟! والله الذي لا إله إلا هو ، أكاد أقول : إن هذه الآية وحدها تجعل الإنسان فقيها : " إن الله كان عليكم رقيبا " هل تستطيع أن تكذب بعد أن سمعت هذه الآية ؟ وهل تستطيع أن تدلس ؟ أو أن تغش ؟ أو أن تحتال ؟ وهل تستطيع إيذاء الخلق ؟ " إذا كنت مراقبا من قبل مخلوق تجد أنك تتجنب كل ما يؤدي للهلاك فكيف إذا كنت مراقبا من قبل الخالق ؟ . الآية الثانية في سورة المائدة جاءت على لسان سيدنا عيسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قال تعالى في سورة المائدة :

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا إِلَهًا رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

فهذه الآية الثانية ؛ أما الآية الثالثة : ففي سورة الأحزاب ، قال
تعالى :

لَا يَجِلُّ لَكَ أَلَيْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا ﴿٥٢﴾

تروى قصة مشهورة ذكرها الإمام الرازي : أن أحد الشيوخ كان
له جمع من التلاميذ ، وكان قد خص واحدا منهم بالعناية الزائدة
فسأله بقية التلاميذ عن سبب ذلك من شدة غيرتهم من هذا التلميذ
الصغير ، فقال سألين لكم ذلك ؟ أعطى لكل واحد منهم طائرا وقال
له : إذبح هذا الطائر حيث لا يراك أحد ؛ فمضى كل واحد منهم إلى
جهة ثم رجع إلى شيخه وقد ذبح الطائر ما عدا ذلك التلميذ الصغير
فقد رجع إلى شيخه والطائر في يده ، و قال : أنت يا سيدي أمرتني
أن أذبح الطائر حيث لا يراني أحد ولم أجد موضعا لم يرني الله
فيه !! فالتفت الشيخ لبقية التلاميذ و قال : " من أجل هذا خصصته
بمزيد من العناية " !!! .

وكان الله تعالى - برقابته عليك - يقول لك : " أما تستحي منّا
ويكفيك ما جرى ؟ أما تخشني من عتبنا يوم جمعنا ، أما أن تقلع
عن الذنب راجعا وتنظر ما به جاء وعدنا ؟

فيا خجلي منه إذا هو قال لي : أيا عبدنا ما قرأت كتابنا ؟!!!

فالمؤمن الصادق ؛ يرى أن الله معه ، ويراقبه ، ويحاسبه
 فيستحي منه ، والمحبون لله - عز وجل - لهم أحوال مع الله لا
 توصف ، مناجاتهم له وتأديبهم معه فهناك من يتزين قبل أن يصلّي
 لأنه سيقف بين يدي الله عز وجل ، أرى في بعض الأحيان أشخاصاً
 يصلون بالقميص الداخلي فهؤلاء لا يستحيون من الله حق الحياء ؛
 يستحي أن يقابل إنسانا بقميص داخلي فكيف يقابل الله عز وجل ؟
 فالأكمل أن ترتدي عباءة أو ثوبا فأنت بين يدي الله - عز وجل -
 فالعلماء قبل الآن كانوا يتزينون ويرجلون شعورهم قبل أن يصلُّوا
 لأنهم سيقفون بين يدي الله عز وجل ، و لدينا دليل قوي على هذا ،
 وهو قوله تعالى في سورة الأعراف :

• يَنْبِئُ آدَمَ خُذْوَ زِيَّتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
 تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

أنا لا أقول هذا انتقاداً لأحد ، لكنك تجده يأتي إلى المسجد بأقل
 ثياب عنده في حين في أقل حفلة تجده يرتدي أجمل الثياب ، المسجد
 بيت الله ويوم الجمعة عيد وأنت ضيفه ، ومن السنة الاهتمام بهذا
 العيد !!! .

يُروى أن عبد الله بن عمر مر بـغلام يرعى غنما فأشار لإحدى
 الشياه وقال : بعني هذه الشاة يا غلام ، فأجاب الغلام : إنها ليست
 لي . فقال ابن عمر : قل لصاحب الغنم إن الذئب أكل واحدة منها ،

فقال الغلام : فأين الله ؟!!! أقول تعليقا على هذه القصة : إن هذا الغلام الراعي وضع يده على جوهر الدين ، ومسك جوهر الدين مع أن ثقافته محدودة فهذا راعٍ وقد تجد إنسانا عنده مكتبة من أربعة جدران بحيث أنك تذهل وتقول : هذا عالم كبير فوالله لو أكل درهما حراما فلا قيمة لكل هذا العلم !!! وهذا البدوي الراعي الذي قال : أين الله ؟ فنحن بحاجة في هذه الأيام إلى أشخاص مثله ، بحاجة إلى ورع ، وإلى مسلم يقيم الإسلام حقيقة ؛ إلى بيت مسلم ، و زوج مسلم ، و زوجة مسلمة ، وأولاد مسلمين ، وإلى صدق ، و أمانة ، و إخلاص بدون غش ، و لا كذب ، و لا تدليس ، هذا النموذج وهو ساكت يعد أكبر داعية ، بينما الذي يصيح في الناس صباحا ومساء : " يا أيها الناس اتقوا ربكم " ؛ وهو لا يتقى ربه ؛ هذا أكبر منفر ؛ فالقضية عند الله في الصدق ، و الإخلاص ، و التطبيق ... هل يمكن لمؤمن يعمل خبازا أن يدخل لدورة المياه ولا يغسل يديه ؟ المؤمن لا يفعل هذا لأن العجين سيصبح خطرا على الناس ، الأمر الذي جعل المؤمن يتصرف هكذا هو الوازع الداخلي بأن الله تعالى يراه ... فليس الأمين الذي يؤدي ما عليه إذا كان هناك إيصال ، أو سند ، أو شهود ، أو حساب ثابت ، فهذا سلوك مدني لأنه إذا لم يؤدّ فالطرف الآخر أقوى منه لوجود السند ، و دعوى ، و قضاء ، و تشهير ، أما الأمين عند الله ؛ فهو الذي يؤدي ما عليه من دون أن يكون مدانا في الأرض ؛ والله جاعتي ورقة وأنا في هذا المسجد

قال لي صاحبها : والله يا أستاذ أديت عشرين مليون ليرة لورثة وهم لا يعلمون عن هذا المبلغ شيئا ، لأن الله رقيب عليه ؛ هذا هو المؤمن ؛ وهناك آباء كثيرون أموالهم في سر لا يعلمون بها أولادهم ولا أزواجهم ؛ فإذا مات فجأة مات معه السر ؛ هناك أناس كثيرون يعانون من هذا يقولون : مات أبونا ولا نعلم عن أموال أبينا شيئا ؛ فالذي معهم أموال هؤلاء إذا كانوا من الذين فقها قولهم تعالى : " إن الله كان عليكم رقيبا " سيأتون لهم بالمال ويقولون هذا مال أبيكم .

هل يستطيع بائع مؤمن إذا وقعت فأرة في صفيحة زيت أن يبيع الصفيحة ؟ لا يستطيع ! هل تستطيع أن تخفي عيب بضاعتك ؟ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، هل يمكن أن تضع مادة مسرطنة لغذاء حتى ترفع ثمنها ؟ لا تستطيع ، وهل تستطيع أن تضع هرمونات لنبته كي تكبر حتى تكون كبيرة الحجم ويكون سعرها غاليا ؟ هذه مادة مسرطنة لا يمكن استعمالها إلا تهريبا ؛ لو آمننا بهذا الاسم لألغى الغش من حياتنا جميعا ؛ وهل يستطيع المحامي أن يقدم مذكرة للقاضي وهو يعلم أن موكله كاذب ؟ لا يستطيع ، " إن الله كان عليكم رقيبا " ، وهل يستطيع أن يرى الطبيب من المرأة موضعا غير الموضع الذي تتألم منه المريضة ؟ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، لقد رأيت أطباء ملتزمين يقومون بوضع رداء فيه فتحة صغيرة على

المريض كي يشخصوا موضع الألم فقط ، هل تستطيع وأنت كمؤمن إذا كنت في بيتك وحيدا ، وخرجت جارتك تنشر غسيلها بالشرفة المقابلة لك ، وهي بثياب متبذلة ، وهي في النور وأنت في الظل ولا يراك أحد ؛ هل تستطيع أن تنظر وأنت بتذكر قوله تعالى إن الله كان عليكم رقيبا ؟ .

أخ معنا يعمل في دائرة ؛ واسمحوا لي أن أذكر قصته كان له إستراحة مدتها ساعة أو أقل ، في آخر الشهر قدم طلباً ليحصل على إذن بمدة ستة أيام لرئيسه ثم قال لمديره : لقد استهلكت هذه الإجازة . فقال : كيف ؟ قال : لأنني كنت أحضر كل يوم متأخراً تقريبا ساعة من الزمن فجمعت هذه الساعات فإذا هي بمعدل ستة أيام ؛ فاندعش هذا الشخص من هذا النموذج وقال لي أخونا والله يا شيخ لما جئنت في الدرس القادم وجدت صاحب العمل معي في درسك ، هذه هي التربية الراقية ؛ تقديم طلب الإذن جعل المدير العلم يحضر مجلس علم ، هكذا الدين كلما كنت ورعا كلما ازددت مراقبة لله ، وأقول لكم مرة ثانية : يمكنك أن تكون أكبر داعية في الأرض وأنت ساكت ؛ وذلك بأمانتك ؛ واستقامتك وإتقان عملك .

هناك أطباء من إخواننا أجروا عمليات معقدة جدا ، ولديهم قسم بثمن مجاني ، وقسم بثمن باهظ ، أسمع عنهم أن عنايتهم بالفقراء لا تقل شعرة عن عنايتهم بالذي سيدفع مئتي ألف على العملية ،

ويجري عملية السبع أو ثماني ساعات وهو واقف ويفتح القلب وغيرها من العمليات من دون مقابل وتلك بمائتي ألف والعناية واحدة والإتقان واحد ؛ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، وهل يمكن لمدرس أن يترك التلاميذ من أجل قلة الأجرة ؟ لا يمكن، لذلك هذا الاسم يمكن أن يطبق في مليار حالة ، إذا آمنتم أن الله رقيب فسينعدم الغش والكذب ولا نظرة حرام ، ولا ابتسامة ، ولا إساءة .

العلماء يرون أن المراقبة حال يصير العبد فيه يذكر الله بقلبه ؛ لأن الله مطلع عليه دائما ؛ وشعور العبد أن الله مطلع عليه دائما ؛ هذا الحال اسمه حال المراقبة .

سئل بعض القوم بم يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟ فأنت إذا مشيت بالطريق بعض النساء يبرزن أحسن ما في أجسامهن وتراهن عاريات من الطراز الأول ، فكيف تغض بصرك ؟ قال : بعلمه أن رؤية الحق تعالى سابقة على نظره ؛ علمك أن الله يراقبك هذا أسبق من نظرك إلى الحرام ؛ فبهذا تغض بصرك وتستحي من الله ، وكثير من الإخوان لا يجتمعون مع امرأة في مصعد واحد ، وينتظر للمرة الثانية أو يصعد الدرج ماشيا لأن المؤمن عفيف : " إن الله كان عليكم رقيبا " .

الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
والله سبحانه وتعالى يقول في سورة العلق :

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾

ذكر الإمام الرازي أن حظ المؤمن من أسماء الله ، المقولة
القائلة : " تخلقوا بأخلاق الله " ، فكيف نتخلق بهذا الاسم ؟ يقول :
مراقبة العبد لنفسه أساسها أن يعلم أن الله مطلع على نواياه ودخائل
قلبه ، وأن يستحضر من مراقبة الله له أن الله تعالى معه دائما ،
ويرقيه في كل أحواله وحركاته و سكناته وقال : هذه المراقبة
مفتاح كل خير ، لأن العبد إذا أيقن أن الحق مراقب لأفعاله ،
مبصر لأحواله ، وسامع لأقواله ، مطلع على ضمائره
وخفاياه ، خاف عقابه في كل حال ، وهابه في كل مجال ، علما
منه بأن الرقيب قريب ، وهو الشاهد الذي لا يغيب ، ولذلك
قال الشيخ : إن الرقيب الذي هو من الأسرار قريب ، وعند
الاضطرار مجيب .

وقال بعضهم : الرقيب : هو المطلع على الضمائر ، والشاهد
على السرائر ، والرقيب يعلم ويرى ، ولا يخفى عليه السر
والنجوى .

و قال بعضهم : الرقيب : الحاضر الذي لا يغيب ، بل رقابته
قديمة مستمرة . و لهذا قيل : الرقيب الذي يسبق علمه جميع
المحدثات وتتقدم رؤيته جميع المكونات .

الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " حينما عقد بحثاً
حول مقام المراقبة قال : إن أدب المؤمن مع الله الرقيب ؛ أن يعلم أن
الله رقيبته وشاهده في كل شيء ، ويعلم أن نفسه عدوة له ، وكذلك
الشیطان اللعين ، وهما ينتهزان منه كل فرصة حتى يحملاه على
الغفلة والمخالفة ؛ لذلك يجب أن يأخذ حذره منهما ، ويسد عليهما
المنافذ والمداخل ، حتى لا يقع في فخ واحد منهما " .

ومن أدب المؤمن في هذا المجال أن يراقب نفسه وحشيه وأن
يترقب أنفاسه ويجعل عمله خالصاً لربه بنية طاهرة في أعماله
ويراقب ربه في أخيه فلا يظهر عيبه .

ويقول ابن عطاء الله السكندري عن اسم الرقيب : أفضل
الطاعات مراقبة الله على الدوام وفي كل الأوقات .

وقال أبو حفص : إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا
يغرنك اجتماعهم عليك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على
باطنك !! .

قال عبد الله بن المبارك لرجل: راقب الله - تعالى - فقال: كيف ذلك؟ قال:

''' كُنْ أبداً كأنك ترى الله تعالى !! '''

و قد جاء هذا المعنى في الدعاء النبوي الشريف: " اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك " .

فحال المراقبة حال إذا وصلت إليه ، أوصلك إلى الجنة ، وسعدت في الدنيا و الآخرة لأن من لوازم هذا الحال الاستقامة على أمره و الاستقامة على أمر الله سبب لدخول الجنة !!! .

و الحمد لله رب العالمين

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

३१.

الصِّمْدُ

أيها الأخوة المؤمنون : كلكم يقرأ سورة الإخلاص : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ " .

فالصمد ؛ اسم من أسماء الله الحسنى ، ورد في الأحاديث الشريفة ومعنى الصَّمَدُ : القَصْدُ . وفي حديث معاذ بن عمرو بن الجموح في قتل أبي جهل قال : فصمَدتُ له .. أي قصدته حتى أمكنتني منه غرة .

هذا المعنى الأول في اللغة .. الصمد : القصد .. صمَدتُ له : قصدته .. و الصَّمَدُ : السيد المطاع الذي لا يُقضى من دونه أمر ، سيد متمكِّن ، مُطاع ، أمره نافذ .. وأصمَد إليه الأمر : أسنده إليه .

و يقول بعض علماء اللغة : " إن الصمد في اللغة له وجهان : أنه فعل بمعنى مفعول " .. أي مقصود ، صمَدتُ إليه أي قصدته ، أو هو المقصود ، أي السيد المقصود . المصمود في الحوائج : أي المقصود في الحوائج . ونقول ضمن قوسين : " إذا أحبَّ الله عبداً جعل حوائج الناس إليه " .

هناك شخص أنا أسميه ، وقد سماه الأولون العفريت النفريت ..
يتملص من كل عمل ، يتملص من كل عبء ، يتملص من كل
موعد ، يتملص من كل بذل ، ومن كل عطاء ، يأخذ ولا يعطي ، وإذا
أردت أن تعرف ما إذا كنتَ من أهل الدنيا ، أو من أهل الآخرة ،
فاسأل نفسك السؤال الدقيق : ما الذي يُفرحك ؟ أن تُعطي أم أن
تأخذ .

أهل الدنيا يُفرحهم أن يأخذوا ، وأهل الآخرة يفرحهم أن يعطوا .
وهذا مقياس دقيق ، حتى إن العرب في لغتهم يسمون الذين أعطوا :
ارتاحوا ، يسمى هذا الإنسان أريحي ؛ أي يرتاح في العطاء . يعطي
ليستريح ، فإذا كنتَ من أهل الإيمان - ودققوا في هذه الكلمة -
المؤمن حياته مبنية على العطاء ، وغير المؤمن حياته مبنية على
الأخذ .

والذي يُعطي فإن الله جل جلاله يعطيه ، يول صلى الله عليه وسلم
لبلال الفقير: " أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقلالا . ويقول ربنا
سبحانه في الحديث القدسي: " عبدي أنفق ، أنفق عليك "

وهناك في القرآن كريم آيات عديدة - تزيد عن ثمانية آيات -
تؤكد أن كل نفقة يعوضها الله أضعافاً مضاعفة فقد قال تعالى في
سورة سبأ : " وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه وهو خير الرازقين " .

هذا كلام خالق الكون . فالصمد ؛ بمعنى المصمود : أي المقصود في الحوائج كلها . وإذا أحب الله عبدا جعل حوائج الناس إليه . والمؤمن لا يتأثر لو طُرق بابه في اليوم مئات مرة ، لو أتصلوا به عشرات المرات ، لو تزاحم الناس على بابه لا يتأثر ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعلك تأخذ ، على أن يجعلك تقف ذليلا أمام باب إنسان ، فإذا مَنَّك الله ؛ أعطاك صحة ، أعطاك مالا ، أعطاك مكانة ، أعطاك شيئا يمكن أن تُنفقه فلا تبخل به ، لأن الله سبحانه وتعالى يعطيك النعم ما بذلتها ، فإذا منعها منعها عنك !!! والعرب تقول : "بيت مصمود" أي : إذا قصدته الناس في حوائجهم .

تجد في الأسر رجلا يسمونه الآن عميد الأسرة ، يقصده كل أطراف الأسرة في زواجهم ، في أعمالهم ، في وظائفهم ، في حل مشكلاتهم ، في كل ما من شأنه أن يتدخل من أجله ، هذا الإنسان محترم . وقال بعض اللغويون الصمد ؛ هو الذي لا جوف له ، أي الشيء الأصم . حجر لو نقرته لا يعطيك صوتا ، فهو صمد أي أصم . أما العلبة الفارغة لو ضربتها تحدث صوتا ، فالصمد هو الذي لا جوف له .

و قال بعض متأخري اللغة : الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ، بمعنى ثقيل ، ولا يدخله شيء ولا يخرج من شيء ،

لا دخول ولا خروج ولا استقرار .. هو الصمد .. هذا كله معنى كلمة الصمد في اللغة .

أما إذا كان الصمد وصفاً لله عز وجل ، أو كان اسماً من أسمائه ، فإن الله سبحانه وتعالى صمد ؛ لأن الأمور أُسْنِدَتْ إليه ، يعني الأمور رجعت إليه وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم فقد قال تعالى في سورة هود: " وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ " .

أحياناً تجد في هيئة أو مؤسسة أو معمل أو مدرسة ، رجلاً قوياً لا يستطيع أي موظف أن يبت في قرار ، أو يتخذ أي قرار ، ما لم يرجع إليه فالأمر كله بيده ، خيوط كل الموضوع مجموعة بيده ، فالله سبحانه وتعالى إذا قلنا أنه صمد ؛ أي أن الأمور كلها أُصْمِدَتْ إليه ، أي أُسْنِدَتْ إليه .

فما قولك أيها الأخ الكريم إذا كان الأمر كله بيد الله ، أتسأل غير الله ؟ أو هل تتوجه إلى غير الله ؟ أتعلق الأمل على غير الله ؟ أتخاف من غير الله ؟ أبدا .

فقد سألتني أحدهم مرة : ما الذي يُقَوِّي سيري إلى الله ؟ قلت له : التوحيد . ما الذي يقوي إخلاصي ؟ قلت التوحيد ، ما الذي يقوي عزمي ؟ قلت التوحيد . ما الذي يُبعدني عن الشرك ؟ قلت التوحيد . وما تعلّمت العبيد أفضل من التوحيد . وكلكم يعلم أن

القرآن كله من دفته إلى دفته ، من فاتحته إلى سورة الناس ؛ كله
حول التوحيد والدليل قوله تعالى في سورة الكهف :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ

هذا هو الدين .. بل إن فحوى دعوة الأنبياء جميعا من دون
استثناء هو التوحيد ، والدليل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ ﴿٢٠﴾

سورة الأنبياء

الدين كله عقيدة التوحيد والعبادة ؛ وحد .. واعبد ، تفوز بالدنيا
والآخرة ، وتجمع المجد من كل أطرافه .

قال : الصمد في وصف الله تعالى ؛ هو الذي أسندت الأمور
إليه ، فلم يقض فيها غيره . وهو الذي يصد إليه في الحوائج أي
يقصد . فانظروا إلى هذه الفكرة الدقيقة : الأمور راجعة إليه .. إذن
هو المقصود كنتيجة طبيعية .

فأنت بشكل طبيعي وعفوي ، إذا دخلت إلى هيئة حكومية بحاجة
إلى موافقة على طلب تسأل بيد من هذه الموافقة ؟ فإذا قيل أنها بيد
المدير العام ؟ فلا يمكن أن تبذل ماء وجهك لغيره ، ولا يمكن أن

تسأل غيره ؛ لأنك أيقنت أن الأمر بيد فلان ، ما دام الأمر بيده أنت
قصدته . من أين يأتي القصد ؟ من التوحيد .. إن وَحَدت ، اتَّجَهت
إلى الله ... هذه المسألة كفكرة سهلة ، وإدراكها سهل ، وشرحها
سهل ، لكن أن تعيشها هنا المشكلة !!! .. فيأترى هناك مشكلة
مزلزلة عشتها ؛ فإن ترى فلانا هو الذي أوقعك بها ، أو فلانا من
الناس هو الذي خلصك منها ، فهذا هو الشُّرك ، فأفكار التوحيد أفكار
سهلة وليست معقدة ، أما ممارساتها ، فتحتاج إلى جهد كبير .

إن التوحيد محصلة جهودك الكبيرة في طريق الإيمان . فأحياناً
يقول لك عن العوامل التي تتحكم في سعر العملة أنها : محصلة
الإنتاج الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ، وترشيد الاستهلاك ،
والقدرة على جلب رأسمالات من بلاد أخرى ، ورواج المبيعات ،
والثروات الباطنية ، أي أن هناك ألف عامل وعامل يدخل في تحديد
سعر العملة . كذلك كل عوامل الإيمان محصلتها التوحيد .

و قال العلماء : " الصمد ؛ هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه " ، فقد

قال تعالى :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٧﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٨﴾

سورة الرحمن

وقال بعض العلماء : " هو الذي خلق الأشياء كلها ، ولا يستغني عنه شيء " .

و يكفينا معجزة خلق الإنسان المبهرة ، فتركيب الجسم المعقد جدا ؛ فالقلب وما به من - دسامات ، وأذنين ، وبطينين ، ومراكز توليد الكهرباء - والأوعية ، والشرايين ، والأوردة .. والكبد ، والبنكرياس ، والغدد الصماء ومفرزاتها - بنسب دقيقة جدا - وبللتما الدم ... قلت : والله ، المعجزة أن يستيقظ أحدنا لا يشعر بشيء .. فهذه هي المعجزة ، من شدة تعقيد الجسم ودقته ، فالإنسان يسلم جسمه من المرض هو المعجزة .

أي نسبة تتغير في تركيب الجسم تجعل الحياة لا تطاق ، لو أن الكلية قصرت في وظيفتها تزداد نسب - اليوريا - في الدم ، ومن مضاعفاتها ضيق ، وتوتر عصبي ، وردود فعل عنيفة جدا .

الملح إذا زاد ، يؤثر على الدم ، وإذا أصبح الدم لزجا ، يتجمد فورا . والتجمد يعني الشلل ، أو فقد البصر ، أو فقد الذاكرة ، فالإنسان شديد ، الله هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي لا يستغني عنه شيء . الإنسان يربي ابنه وعندما يكبر يستقل عن أبيه ، وقد يغدو أقوى من أبيه وقد يغدو أغنى من أبيه ، وقد يصبح أبوه بحاجة

إليه والله المثل الأعلى الله الذي خلق كل شيء ، وكل هذه الأسباب لا تستغني عنه مهما كبرت أو أصبحت قوية أو غنية أو ... إلخ .

الإمام الرازي له تعريفات أخرى لاسم الصمد يقول : " الصمد ؛ هو العالم بجميع المعلومات " .. هذه إشارة دقيقة .. فالإنسان إذا نقصته المعلومات ضعف وضعفت قوته ، فأحد أسباب القوة ؛ المعلومات الدقيقة . فالإنسان إن كان يحتل موقعا قياديا ؛ إذا كانت معلوماته غير دقيقة ، أو ناقصة ، أو غير كاملة ، يضعف مركزه ، فأحد أسباب القوة ؛ أن لا يغيب عنك شيء . وهذه صفة لله عز وجل ، فالإنسان قد يعلم شيئا وقد تغيب عنه أشياء .

قل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء .

فالله سبحانه وتعالى من معاني اسم الصمد : أنه يعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقيل : الصمد ؛ هو الحكيم .. أولا : يعلم كل شيء ، لكن مع هذا العلم أفعاله فيها حكمة ، فالحكمة هي أحد الأدلة الكبيرة على وجود الله .. فقد يكون هناك أشياء مترابطة .. فإذا أنت خاطبت إنسانا فهل من الممكن أن ترفع الصوت إلى درجة ليسمع من منتهي مترا ؟ فلا يكون هناك حكمة . أو أن تهمس همسا من على بعد خمسة أمتار بحيث لا يسمعك ؟ لا ، بل لا بد من أن ترفع الصوت إلى

درجة ليصله . فتغيير الصوت بحيث يصل إلى السامع دون أن يتجاوزه كثيرا ، ودون أن يقصر عنه ؛ هذه هي الحكمة . فالحكمة ؛ وضع الأشياء في أماكنها . والحكمة ؛ أن تفعل الشيء المناسب ، في الوقت المناسب ، بالقدر المناسب ، للشخص المناسب على الشكل المناسب ، فالله سبحانه صمد أي حكيم .

و قال : الصمد ؛ " هو السيد الذي عظم سؤدده " ، أي مجده .

و قيل : الصمد .. " هو الخالق للأشياء ، فإن كونه سيدا يقتضي ذلك " .

تعريفات أخرى للصمد ، فعندما يقرأ الإنسان في صلاته :

" قل هو الله أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " . هذه المعاني كلها ينبغي أن ترد إلى ذهنه . فالإنسان حين يتدبر في كلام الله عز وجل ، و يتأمل في المعاني الدقيقة التي يقرأها يخشع قلبه ، ويرقى إلى الله عز وجل بهذه المعاني .

قيل : الصمد ؛ " هو المقصود إليه في الرغائب ، و المستغاث به عند المصائب وقيل : الصمد ؛ " الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد " .

الإنسان يشاء ولا يفعل ، لأنه لا يستطيع . ولكن الله عز وجل وصف ذاته بقوله تعالى : " فعال لما يريد " ... فقد تجد إنسانا يحبك ولك عنده مكانة كبيرة ، وتلجأ إليه فيقول لك : والله لا أستطيع كان بإمكانني قبل هذا الوقت ، مع أنك أثير عنده إلا أنه يعجز عن مساعدتك .

الدين أساسا صلة بالله : التجاء إلى الله . وغير المؤمن يلتجئ إلى الإنسان ، يعني إما أن تكون عبدا لله ، أو إما أن تكون عبدا لعبد الله . فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وما دام يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه إذن ؛ هو المقصود ، هو القوي ، هو الغني ، هو القهار .

وقال بعض العلماء : " الصمد هو الماجد الذي لا يتم أمر إلا به " ، وقيل : الصمد : " الكبير ، الذي ليس فوقه أحد " .

ففي ذات مرة سئل أحدهم فقالوا له : هناك من أكبر منك ؟ فقال : نعم ، والأكبر هناك من هو أكبر منه ؟ وأكبر وأكبر وهكذا .. والله أكبر من الجميع . وأنا مع الله ... فإن كنت عالما ؛ فهناك أعلم منك ، وإن كنت قويا ، فهناك أقوى . وإن كنت غنيا ، فهناك أغنى . أما الكبير الذي ليس فوقه أحد ، هو الله ؛ بالقدرة والعلم والغنى ،

فاذا كنت مع الله ، فأنت أقوى الناس ، وأنت أغنى الناس ، وأنت أعلم الناس .

و قيل : الصمد .. " الكامل في كل الصفات : في العلم والقدرة والحكمة والغنى " .

و قيل الصمد : " الذي يحتاج إليه كل أحد ، وهو مستغن عن كل أحد " .

الإنسان الغني يحتاجه الناس ، وهو محتاج الناس من أجل أن يأكل ، ومن أجل أن ينام ، مهما كنت غنيا أنت بحاجة لكل الناس ، بحاجة لمن يقدم لك رغيف الخبز ، بحاجة لمن يمسح لك سيارتك ، بحاجة لمن يمدد لك الكهرباء في البيت ، فالغني يحتاجه الناس ، ولكنه في المقابل يحتاج الناس . أما الصمد .. هو الذي يحتاجه كل مخلوق ؛ وهو مستغن عن كل أحد ، يحتاجه كل أحد ، وهو مستغن عن كل أحد .

و قيل : الصمد .. " هو الذي تقدست ذاته عن إدراك الأبصار والعيان .. وتنزه جلاله عن أن يدخل تحت الشرح والبيان " فالأبصار والحواس لا تستطيع أن تدركه ، هذا الصمد والشرح مهما كان لا يفى بجلاله ، وقيل : - كما قلت قبل قليل - الباقي بعد خلقه لا

يموت ، ولا يورث ، هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، المطلق
الأزلي ، الأبدى ، الذات الكاملة .

و قيل : الصمد .. " الذي لا ينام ، ولا يسهو ، ولا يغفو " .

أحيانا تجد شاحنة - ثمنها عشرون أو ثلاثون مليوناً - ومنقلبة
على الطريق ، وسبب ذلك أن السائق قد نام وهو يقودها ، والنوم
سلطان ولكن الله تعالى قال وهو يصف نفسه : " لا تأخذه سِنَةٌ ولا
نوم " سورة البقرة .

و قال القشيري : " الصمد هو الذي لا يزول أبدا " .

هذه المعاني كلها مما وردت في ثنايا الكتب التي تحدثت عن
أسماء الله الحسنى ، أو فسرت كلامه جل جلاله ، كل هذه المعاني
تشير إلى اسم الصمد .

الله عز وجل وصف نفسه بهذا الاسم ليكون مقصد عباده .
أحيانا يسأل الإنسان قويا ، لكن القوي لا يرغب أن يلبي الحاجة ،
فقد يُخرج لكي يلبي لك حاجتك ، لكن الله عز وجل عندما قال
لعباده : يا عبادي ، أنا صمد في قوله تعالى : " قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " أي اقصدوني ، إذن

هناك فرق بين الله جل جلاله ، وبين العبد فهو يغضب عليك إن لم تسأله :

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

الله قال لك : أنا صمد ، أي اسألني ، وهذا معنى قول النبي الكريم في الحديث الصحيح :

عن الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل يمهل حتى يذهب ثلث الليل ثم ينزل فيقول هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر هل من مذنب قال فقال له رجل حتى يطلع الفجر؟ قال نعم " مسند الإمام أحمد .

يقول الإمام الغزالي : الله جل جلاله اختار هذا الاسم لذاته، ليقصده عباده في المهمات في دنياهم وفي دينهم

يقولون لك : دنيا .. نعم ولكن هناك دنيا ضرورية للآخرة ؛ ففي الدعاء الشريف : اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، فإذا كان الإنسان صحته طيبة، ومعه مال

يكفي حاجاته ، وله أهل ، وله أولاد ، فهذه دنيا لكن صالحة ،
أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي
فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا . فالنبي
واقعي ، وهناك حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :
" ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا من ترك آخرته
لدنياه ، إلا أن يتزود منهما معا فإن الأولى مطيئة
للثانية " .

ألم نقل قبل قليل : الصمد هو الذي يحتاجه كل شيء ، وهو
مستغن عن كل شيء ، أي أن تصغر الدنيا في عينيك .. كيف ؟
قال : لا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد .. أي أن يكون
قانعاً راضياً بما قسم الله له . كلام معيار دقيق .. تجد المؤمن
مؤونته خفيفة ، وظله خفيفاً ، وحاجاته خفيفة . بل إن
النبي - عليه الصلاة والسلام - وصف الزوجة الصالحة
بأنها قليلة المؤونة ؛ أي طلباتها قليلة تقنع بالقليل . ففي
الحديث :

عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعظم النساء
بركة أيسرهن مؤونة . مسند الإمام أحمد .

والله أعرف رجالا كثيرين جدا دمرتهم زوجاتهم بأن حملتهم
على أكل المال الحرام ، حتى سجنوا ؛ هذا معنى قول الله عز وجل في
سورة التغابن :

إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

أما الصحابية الجليئة فكانت تقف مودعة زوجها قبل ذهابه إلى
عمله وتقول له : يا فلان ، إتق الله فينا فنحن ، نصبر على الجوع ،
ولا نصبر على الحرام .

فالتخلق بأخلاق الصمد .. أن تقلل تعلقك بالدنيا ، أن تقلل تعلقك
بحوائج الدنيا .. قال دخلت امرأة إلى سوق من أرقى الأسواق في
بعض المدن ، فوجدت الأصناف التي فيه لا تعد ولا تحصى ، فقالت :
" يا إلهي كم هي كثيرة الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان " !! .

يقولون لك : فلان فقير ، الفقير ساكن في بيت آكلا وشاربا
ولابسا ، ولكن مقياس الفقر والغنى - الكماليات ؛ الأشياء الثانوية ،
فعندما يقنع الإنسان بالقليل يكون غنيا .

و كنت أقول دائما : هناك فقر القدر ، وهناك فقر الكسل .. فقر
الكسل مذموم ، لكن فقر القدر مقبول . وهناك غنى البطر ، وهناك

غنى الكفاية فالفقر الذي أسبابه الكسل ينبغي أن ترفضه ؛ لأن علو
الهمة من الإيمان . أما الفقر الذي أسبابه القدر ينبغي أن ترضى به ؛
لأن هذه مشيئة الله . إن سعيت إلى المال لا تسع إلى غنى الترف
والبطر ، بل اسع إلى غنى الكفاية

قال : ومما نستفيد من اسم الصمد ؛ أن المؤمن يعرف جيدا أن
الله هو الذي يُطعم ولا يُطعم .. فإذا كان الله وحده هو الذي يطعم ؛
توجه إليه وتوكل عليه ، وارغب فيما عنده وایأس مما في أيدي
الناس .

من عرف أن الله دائم لا يزول ، زهد في حطام الدنيا . كلكم يرى
رأي العين الإنسان عندما يغتنى ، كل هذا المال لا يستطيع أن يأخذ
منه شيئا إلى القبر .. فإذا توقف القلب قال الطبيب لأهله : لقد انتهى
ومات ، وعظم الله أجركم ، فكتبوا النعي وقاموا بتشييعه ، وهذا
الميت لم يعد يملك شيئا من الدنيا ، ولا أدق الأشياء ولا أخصها ،
ولا غرفته ولا أثاثه ولا مقتنياته الشخصية ، فإذا علم الإنسان أن الله
حي لا يموت ، وأن الله لا يزول ، وأن الله باق على الدوام ، وأنه
الباقي بعد فناء خلقه تعلق به وحده لأنه الباقي وغيره فاتى... فلا
تتعلق بالفاني ، ولكن تعلق بالباقي . فهناك بيوت جميلة جدا ، وهناك
أذواق رفيعة ، الإنسان يشتهي أن يسكنها ولكنها هل تدوم ؟ لا .. لا
تدوم ، فلا بد من أن يخرج منها أفقيا .. مرة واحدة ولا يعود أبدا .

والمشكلة أن تعمل توازناً بين البيت وبين القبر فهناك تجد بونا شاسعا . وهذا هو مصير كل حي ، فإذا علم الإنسان أن الله صمد ، بمعنى أنه المقصود ، يقصده . وإذا أيقن أن الله هو الصمد بمعنى الباقي ، لا يتعلق بالفاني - وطبعا هذه الأشياء مهمة جدا في الدرس فالآن التطبيق العملي نتيجة هذه التعريفات .. هو أن تتعلق بالله الباقي .

عش ما شئت فإنك ميت

و أحبب من شئت فإنك مفارق

إن أحببت هذه الزوجة ، لا بد من وقت تفارقها أو تفارقتك . إذا كما قال عليه الصلاة والسلام : لو كنت متبخذا من العباد خليلا لكان أبو بكر خليلي ، و لكن أخ وصاحب في الله .

الآن الأدب الثالث .. من أدب المؤمن مع هذا الاسم ألا يقصد بحوائجه غير الله ، وألا يعول إلا على الله .

ألا يقصد إلا الله ، وألا يضع الآمال إلا بالله ؛ وهذا معنى الحديث الشريف :

" لا يخافنَّ العبد إلا نبيه ، ولا يرجونَّ إلا ربه "

الاستدلال الرابع : أن يتخلق الإنسان بهذا الاسم ، فيجعل نفسه مقصودا من قبل الناس للخير ، معينا لهم على حوائجهم ، أي إذا الإنسان فتح بابه ، واستقبل أصدقائه وإخوانه وأحبابه وأقربائه وجيرانه ، وقام بحل مشكلاتهم ، وأعانهم على حياتهم ، ووفق بينهم ، وزوج أعزبهم ، وأصلح فيما بينهم ، فإذا كان مقصودا في حوائج الناس فقد تخلق بهذا الاسم . و يقول عليه الصلاة والسلام : " أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده " .

أيها الإخوة ... الإنسان إذا تفكر في خلق السموات والأرض . يرى جانبا من عظمة الله عز وجل ، وقد يرى أسماؤه الحسنی وصفاته الفضلی ، ظاهرة في الكون ، ظهورا واضحا ، فالله سبحانه وتعالى يحتاجه كل مخلوق ، يحتاجه كل شيء في كل شيء ، إذن هو المقصود ، وهو باق على الدوام .

إذن : تعلق بالباقي لا بالفاني . وكلما خففت من شهواتك ومتطلباتك ورغباتك ، اقتربت من خالقك . وكلما فتحت بابك للناس لتقضي حوائجهم ، تخلقت بهذا الاسم .

و الحمد لله رب العالمين

الغفور
الغفور
الغفور
الغفور

३१.

الغفور

هذا الاسم أيها الأخوة ورد في القرآن الكريم في صيغ ثلاث :

الأولى هي صيغة غافر قال تعالى :

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي

الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

سورة غافر

و ورد أيضا على صيغة ثانية وهي الغفور ، قال تعالى :

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ

بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾

سورة الكهف

وقال تعالى في سورة البروج :

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾

وقال تعالى في سورة الحجر :

• نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾

وقال تعالى في سورة الزمر :

• قُلْ يَدْعِبَادِي الَّذِينَ آسَرَقُوا عَلَي أَنفُسِهِمْ لَا تَعْتَبُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾

إلى آخر الآيات التي ورد فيها هذا الإسم على صيغة غفور .

الصيغة الثالثة هي : غَفَّار على وزن فعال قال تعالى في سورة

طه :

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾

و قال تعالى في سورة نوح :

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
أَنْهَارًا ﴿١٢﴾

ألا هو العزيز الغفار ، غافر وغفور وغفار وردت هذه الأسماء
كلها في القرآن الكريم ، هذه الأسماء كلها مشتقة من مصدر واحد
وهو المغفرة .

قال بعض العلماء : " الإنسان إذا عصى الله عز وجل وُصف في
القرآن بأنه ظالم ووصف في القرآن بأنه ظلوم وبأنه ظلام " قال
تعالى في سورة فاطر :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

و قال تعالى في سورة الأحزاب:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٣﴾

فالمسرف ظلام على صيغة المبالغة ، فإذا كان العبد ظالما فالله
غافر وإذا كان ظلوما فالله غفور وإذا كان ظلما فالله سبحانه وتعالى
غفار ، بأية صفة أتى بها العبد المعصية فهناك اسم لله عز وجل
يقابل هذه المعصية !!! .

النقطة الدقيقة في هذا الاسم أن صفات الإنسان متناهية ، أي أنه
إذا فعل الإنسان ذنبا فالذنب له حجم وله نهاية عند حد معين، لكن
مغفرة الله عز وجل ليست متناهية ، بل لا حدود لها وغير المتناهي
يغلب المتناهي ، إذن لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الكفور لا
يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الجهول لا يقنط من رحمة الله عز
وجل إلا الجحود .

إذا كان ذنبك متناهيا ومغفرة الله عز وجل ليست متناهية فمن
الغباء والحمق والجهل والجحود وقلة العلم أن تياس من رحمة الله
شيء آخر في هذا الاسم أن الآيات التي وردت في هذا الاسم
وردت مرة على صيغة الماضي قال تعالى في سورة ص :

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ
 لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا
 هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾
 فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَاقِبٍ ﴿٢٥﴾

ومرت أيضا على صيغة الفعل المضارع قال تعالى : في سورة

النساء :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ
 بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

و في سورة آل عمران :

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

و وردت بصيغة الأمر ، قال تعالى : في آل عمران أيضا

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا
 فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٢٣﴾

ووردت بصيغة المصدر قال تعالى في سورة البقرة :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

وفي سورة الرعد :

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾

أي أنه يغفر لك ما مضى ويغفر لك ما يحدث الآن ويغفر لك في المستقبل وهو ذو مغفرة ، بأي زمن شئت هو غفار ، لأي ذنب فعلت هو غفار ، لأن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم !!! .

ولكن أيها الأخوة الأكارم : الحقيقة التي أتمنى أن تكون بين أيديكم هو أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت أبدا .. إذن كيف جاء هذا الاسم على هذه الصيغ ؟ هنا السؤال : إذا الإنسان تناول الطعام يقال له في اللغة ؟ آكل ، إذا جلس إلى الطعام فأكل خمسة أرغفة يقال له أكل على وزن فعول إذا تناول كمية كبيرة ، إذن صيغة المبالغة ماذا تفيد ؟ تفيد النوع وتفيد العدد ، الحقيقة الأولى أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت ، كلها في مستوى واحد لأن الله عز وجل مطلق . ، فالإنسان كان في مستوى وارتقى إلى مستوى أعلى ثم ارتقى إلى مستوى أعلى ، كان ظالما ثم فعل ظلما آخر أشد فأصبح ظلوما فعل ظلما أشد صار ظلما ، أما هذا المعنى فلا يليق بحضرة الله عز وجل أبدا . لو أن فلانا ارتكب سيئة غفرها الله له فهو غافر ، فلان آخر غفر الله له فلان ثالث غفر الله له فلان عاشر غفر الله له ... العباد كلهم لو أذنبوا غفر الله لهم ، فجاءت صيغة غفار

لا من حيث النوع ولكن من حيث العدد ، لو فرضنا أنك قلت : " فلان ليس أكولا " إذا نفيت عنه أنه أكل هل نفيت عنه أنه يأكل ؟ لا . إذا قلت : " و ما ربك بظلام للعبيد " ، قد يقول قائل معلوماته محدودة وأفقه ضيق الله ينفي عن نفسه مبالغة الظلم ولا ينفي عن نفسه الظلم ، فإذا قلت عن إنسان ليس أكولا ليس معنى هذا أنه ليس أكلا ، قال : هذا لا يليق بحضرة الله عز وجل لأن صيغة المبالغة بأسماء الله لا تعني الكم بل تعني العدد ، فكل عباده لو أنهم أذنبوا فالله عز وجل غفور ، فصيغة فعول تعني المبالغة لا في المعنى لكن في العدد والدليل قوله تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

﴿١٦﴾

سورة فصلت

الظلام في حق الله تعني أنه لا يظلم ، فجميع عباده ينعمون

بعدائه .

شيء آخر : المغفرة في اشتقاقها اللغوي تعني الستر ولكن ربنا

عز وجل كما يتضح لكم ذكر بعض المعاصي فقال مثلا عن سيدنا

موسى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

﴿١٦﴾

سورة القصص

وقال لسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام في سورة الفتح :

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

فلا يستقيم معنى المغفرة بمعنى الستر لكن يستقيم بمعنى الصبح
والعفو والستر فالمعنى الأول المغفرة : هي الصبح و العفو أي عدم
إيقاع العقوبة ، أي أن الله عز وجل غفور يمكن أن يعفو عنك فلا
يوقع عليك العقاب

المشكلة الأساسية هو أننا إذا قرأنا القرآن نقرأ بعضه وننسى
بعضه الآخر ، قال تعالى : في سورة الزمر :

• قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

لا ينبغي أن تقف عند هذا المكان في الآية قال تعالى :

وَأَخِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

سورة الزمر

أي غفور لمن أقبل ، غفور لمن تاب ، غفور لمن رجع ، غفور
لمن أناب ، غفور لمن أصلح ، غفور لمن استغفر ، أما أن يقيم

الإنسان على معصية وينوي أن يبقى عليها ويقول الله غفور رحيم
 هذا من السذاجة والجهل وعدم الفهم ،لقوله تعالى في سورة الحجر :
 * نَبِيَّ عِبَادِيَ أَتَىٰ أَنَا أَلْعُذُورَ الرَّحِيمِ ﴿٤٤﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
 الْأَلِيمُ ﴿٤٥﴾

أي إما أن تأتيه طائعا و إما أن يدفعك إلى أن تأتيه ، ربنا عز
 وجل قال في بعض الآيات أن الله تاب عليهم ليتوبوا ويوجد آيات
 تابوا فتاب الله عليهم ، ما معنى توبة الرب إذا سبقت توبة العبد ؟
 وما معنى توبة الرب إذا تأخرت عن توبة العبد ؟

قال بعض العلماء : " إذا سبقت توبة الرب توبة العبد أي أن الله
 عز وجل ساق له من الشدائد والمحن والمصائب ما دفعه إلى التوبة
 فما أكثر التائبين على أثر مصيبة نزلت بهم ، الله عز وجل تاب على
 العبد قبل أن يتوب أي ساق إليه الشدائد والمحن والبلايا بحيث يحمله
 على التوبة وإذا قال الله عز وجل :

ذُرِّيَّةً وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مُمَدُّودًا ﴿١٧﴾
 وَبَيِّنَ شُهُودًا ﴿١٨﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٩﴾

سورة المدثر

حيثما جاءت كلمة ذرني يعني يا محمد إن لم يستجب فلان لك
 دعه لي أنا أسوق له من الشدائد ما أحمله على التوبة وهذه آيات
 دقيقة جدا فالله عز وجل من رحمته بنا يسوق لك إنسانا لطيفا يقدم

لك نصيحة هادئة بينك وبينه يدعمها بالآيات والأحاديث والقصص...
ينصحك بغض البصر ، بتحريم الدخل من المال الحرام ، بترك
الظلم ، بترك العدوان فأنت إما أن تستجيب وإما أن لا تستجيب ، فإن
لم تستجب فالله سبحانه وتعالى عنده من الوسائل والأساليب والأدوية
والطرائق والمضايقات والشدائد ما يدفعك إلى بابه دفعا، فأيهما أرقى
لك أن تأتيه طائعا أو أن تأتيه بعد العصا ؟!!! .

فأنت أخوف ما يجب أن تخاف منه أن تدعى إلى الله عز
و جل دعوة هادئة لطيفة فيها ستر بينك وبين أخ كريم ، ثم لا
تستجيب !!! .

هذا هو معنى " تاب عليهم ليتوبوا " ، أما إذا جاءت توبة الرب
بعد توبة العبد فهي قبول التوبة " تابوا فتاب الله عليهم " أي قبل
توبتهم !!! .

عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله
تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته
فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني
أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا
عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد
فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما

ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم
ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن إلا نفسه " صحيح مسلم .

هذا معنى هذا الحديث القدسي أن الإنسان إذا عاد إلى الله
طواعية ضمن حفظ الله له وتأييده وإكرامه فإذا أبى ولم يستجب
عندئذ سيأتيه العذاب من حيث لا يشعر لذلك ربنا عز وجل يقول :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ سَرِيبٌ
يُنَادِي السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْهَوَىٰ وَالْأَنفُسَ السُّوءَةَ يَقُولُ يَا مَعْشَرَ
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّوءَةَ فَتَكْفُرُوا ۚ أَتَدْرِكُونَ
تَحْشُرُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الأنفال

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ آفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَسَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

سورة التوبة

إن لم تأت طائعا دفعك إلى بابه دفعا .

بعض العلماء قال : " النبي عليه الصلاة والسلام قال حينما
توجه إلى ربه قال : يا من أظهر الجميل وستر القبيح " .

دققوا في هذا الدعاء : يامن أظهر الجميل ، وستر القبيح ، أي قبيح هذا ؟ إنها خواطرك التي تأتيك، ولا يعلمها إلا الله خاطر قبيح جدا خاطر معصية ، خاطر لا يرضي الله عز وجل ، لكن ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى جميل الستر كل خواطرك محجوبة عن الخلق ، لك أن تفكر بما تشاء ولك أن يخطر على بالك ما تريد وأنت عند الناس في أعلى مكانة ، لذلك قال بعض الشعراء :

والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني

ولأعرضوا عني وملوا صُحبتني

مثال : شريكان إذا اطلع الأول على ما يدور في خلد الثاني لفك معه الشركة ، لو اطلع الزوج على ما يدور في بال زوجته لطلقها ، لو اطلعت الزوجة على ما في ذهن زوجها لتركته ، لو اطلع الأب على ما يدور في بال ابنه عند تفكيره يموت أبيه لكرهه أعطني يدك لتقبيلها وفي باله خاطر آخر ، لو اطلع الأب على ما يجول في خاطر ابنه لأبعده عنه . فالله عز وجل ستار جميل الستر هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا ربه قال : يامن أظهر الجميل وستر القبيح .

أي أنت في حصن حصين كل خواطرك الداخلية كل المشاعر كل الأفكار كل الطموحات ، هذه كلها مستورة ، فهذا من معنى المغفرة أي ستر عن الناس العيوب الفكرية ، وشيء آخر : الإنسان دون جلد

قبيح جدا ، لو رأيت إنسانا على مستوى العضلات فقط لرأيت ان شكله مخيف ، إنها عضلات متداخل بعضها ببعض ، لو رأيت عضلات الوجه وحدها لوليت من الإنسان فرارا، عشرات العضلات المتداخلة والمستقيمة والمائلة لكن يأتي هذا الجلد فيجعل الوجه جميلا .

والمعنى الثالث أن المؤمن في الجنة يستر الله عنه ذنوبه ، لو أن المؤمن اطلع على جاهليته لاحترق ، شيء فوق طاقة البشر لأنه مع الكمال المطلق ، لو أن مؤمنا تاب إلى الله توبة نصوحا وغفر الله له ثم تذكر ما فعل في الجاهلية يحترق ، فمن رحمة الله بالمؤمن أنه يستر عنه عيوبه وهذا ما فسره بعض العلماء في سر فناء الجسد

ربنا عز وجل في سورة غافر قال :

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿٤٠﴾

سورة غافر

قال بعض المفسرين : " غافر الذنب : إكراما ، وقابل التوب :
إنعاما ، وشديد العقاب : بالكافرين وذو الطول ، أي ذي العطاء :
الكبير للسابقين والمقربين " .

الحقيقة ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى للمؤمنين وأسم
واحد للكافرين ، فربنا عز وجل غافر الذنب : لمن ظلم نفسه ،
و قابل التوب : للمقصد ، وذي الطول : للسابق . لماذا كانت صفة
واحدة من صفات الله عز وجل للكافرين لأن النبي عليه الصلاة
والسلام يقول : " الكفر ملة واحدة فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟! " ،
الكفر واحد أما الإيمان فمراتب .

قال : هذا الوحشي الذي قتل سيدنا الحمزة ، هل تعتقدون
بوجود عمل أشنع وأبشع وأقذر من أن يأتي وحشي عبد
بحربته ويقر بها بطن سيدنا الحمزة عم النبي ، مقابل أن
يعتق ؟!! لقد قيل أنه بعد أن فعل ما فعل وعرف قبح جريمته
هرب إلى الطائف وندم على فعلته وكتب إلى النبي عليه
الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله هل لي من توبة ؟ قاتل عم
النبي وعم النبي عليه الصلاة والسلام من أحب الناس إليه
سيدنا حمزة سيد الشهداء ، " فقال : يا رسول الله هل لي من
توبة ؟ فنزل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَأَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٣﴾

سورة النساء

مَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا خَرًّا وَلَا يِقْشُرُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ
 بِسُوءِ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِمْ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
 عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

سورة الفرقان

قال : " لعلني لا يكون عملي صالحا " ، فنزل قوله تعالى " قُلْ يَا
 عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا " أي لو جئتنى بملء السماوات والأرض خطايا
 غفرتها لك ولا أبالي ، والله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد
 والعقيم الوالد والظمان الوارد .

والحمد لله رب العالمين

الفن
ع. ر. ر. ر.

الفتاح

أيها الإخوة المؤمنون : درسنا اليوم حول اسم الله الفتاح
و الفتاح على وزن فعَّال ، وصيغة فعَّال من صيغ مبالغة اسم الفاعل
و حينما يصاغ اسم الفتاح صياغة مبالغة فالمعنى أن الله عز وجل
يفتح كل الأبواب أو يفتح ما استعصى من الأبواب ، إما مبالغة تكثير
أو مبالغة نوع .

فقد يصاب الإنسان بمرض عضال ، و الأطباء جميعا أعطوا
قرارهم ، لا شفاء لهذا المرض ، لا أمل يُرجى من هذا المريض ، لا
بد أن يموت بعد أيام ... لن تجدي معه العملية ولا أن يسافر إلى بلاد
الغرب ولا أن يفعل ولا أن يترك ، باب الشفاء أغلق و تواتر الإغلاق
وتواترت آراء الأطباء !!! مثلما حدث مع صديق لي أنجب مولودا
بولادة عسرة ، حيثُ سحب الجنين من رحم الأم بآلة تستخدم في
الولادة العسرة ، حينما وضعت على رأسه وسُحب أصيب دماغه
بخلل ، فصار هذا الطفل الصغير كلما مضى وقت قليل انتفض ، فسأل
صديقي أول طبيب فقال له : " هذه إصابة بالدماغ ، لا بد من أن يكون
هذا الطفل أعمى ، أو أبله أو مشلولا " ، قلنا هذا الطبيب حديث عهد
بالعلم ، فسألنا أمهر طبيب أطفال في دمشق فقال الكلام نفسه ، ما
أضاف ولا أنقص ، سألنا طبيبا ثالثا ورابعا وخامسا ، ثم أدخل

مستشفى الأطفال ، ولكن هذا الكلام ما تغير ، لأن الاختلاجات أساسها إصابة الدماغ وإصابة الدماغ لا تبرأ ، لأن الخلية العصبية لا تنمو " هذه قاعدة طبية " !! ولو أن الأعصاب تنمو لمات الإنسان أما ؟ فمن رحمة الله بالإنسان أن أعصابه لا تنمو ، فالأطباء جميعاً أجمعوا على أن هذا المولود لابد أن يكبر ويبقى أباه أو مشلولاً أو أعمى ، وصدقوني أن أباه كان يتمنى أن يموت طفله ، لأن ذلك أهون بكثير من أن يكبر على هذه الحالة ، ثم أخيراً أخذه إلى طبيب ، وهذا الطبيب على شيء من الإيمان ، فقال : " لعل الله يشفيه " ، فأجرى تخطيطاً للدماغ ، ووصف له دواءً وما هي إلا ستة أشهر حتى عاد الطفل سوياً لا شيء يُقلق في صحته ، والآن عمره اثنتا عشرة سنة ويتحرك ويلعب ومتفوق في دراسته هل عرفتم لماذا الله عز وجل اسمه الفتح ؟!! لقد أغلقوا كل الأبواب ، وربنا عز وجل فتح باب الشفاء .

المعنى البسيط إما أنه يفتح كل باب ، يفتح لك باب الرزق يفتح لك باب العمل ، يفتح لك باب الزواج ، يفتح لك باب الراحة النفسية ، يفتح لك باب التوفيق ، يفتح لك باب الطمأنينة ، يفتح لك باب العمل الصالح ، يفتح لك باب الدعوة إلى الله ، أو أن أحد الأبواب التي استعصت على البشر يفتحها الله عز وجل !! .

إذن فتاح صيغة مبالغة اسم الفاعل الفاتح ، الفاتح والفتاح ،
يفتح ما أغلق من الأبواب أو ما استعصى من الأبواب ، أو يفتح كل
باب ، قال الله تعالى في سورة فاطر : " ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
الحكيم " .

يعني إذا أمسك ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تفتح ،
و إذا فتح ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تغلق ، فقوى الأرض
مجتمعة ليس في إمكانها أن تفتح ما أغلقه الله ولا أن تغلق ما يفتحه
الله .. إذن الأمر بيد الله وحده ، وإذا أيقنت أن الأمر بيد الله وحده لا
بد من أن تتجه إليه ، هذه الآية تترك صدى طيبا جدا في نفس
المؤمن ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مرسل لها ، علاقتك
محصورة مع الله عز وجل ، ما سوى الله أشباح ، لا تستطيع أن
تقدم أو أن تؤخر ، بل ما قولكم ، إن النبي عليه الصلاة والسلام وهو
سيد الخلق وحبیب الحق وهو النبي الرسول الذي يوحى إليه ، وهو
أكرم الخلق على الله قال الله تعالى له : " قل لهم يا محمد : " لا أملك
لنفسى نفعاً ولا ضراً " ، فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام ، لا
يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملك لغيره !!!؟ الله هو الفتاح .

هناك كلمة يرددها السلف الصالح كلما التقوا بإنسان متوثب
متفتح مقبل ، يقولون : فتح الله عليك فتوح العارفين " ومعناها : الله

يفتح لك باب رزق ، الله يفتح لك باب علم ، الله يفتح لك باب كشف ، الله يفتح لك باب قرب ، الله يفتح لك باب رقي ، الله هو الفتح !!! .

الفتح له معنى آخر مستنبط من قوله تعالى في سورة الأعراف :

قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ تَجَدْنَا اللَّهَ مِنْهَا
وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ
خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

أحيانا الأمور تشتبك ، قوى تتصارع ، فلان يدعي أنه على حق
فلان يكيل التهم للآخرين بغير حساب ، فيكيل له الآخرون الصاع
صاعين ، فمن هو الحكم ؟ من عنده قول الحق ؟ من الذي يعرف
حقيقة هذا الإنسان بالضبط هو الله عز وجل ، فمعنى الفتح هنا معنى
آخر هو الحكم بين متنازعين " ربنا افتح بيننا " .

و الآن : ما علاقتك بهذا المعنى من هذا الاسم ؟ يعني إن كنت
على حق لا تخف لأن الله هو الفتح ، قد يقول الناس عنك الأقلويل ،
قد يتهمونك بتهم لا أساس لها من الصحة ، إذا كنت على حق لا
تخف ، ولا تنس قوله تعالى في سورة النمل :

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧١﴾

و في سورة الأنعام:

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾

فإذا آمنت أن الله - وهو الفتحاح - هو الحكم هو الذي يرفع ويخفض هو الذي يكشف الحقائق هو الذي يجلي الأمور ، هو الذي يزيل الالتباس هو الله عز وجل ، فلا تقلق ، ولو أن الناس أساءوا فهمك ، لو أن الناس أساءوا الظن بك ، لو أنهم اتهموك بهم باطله لأسباب تافهة لا تخف ، لأن : من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس فيه .

ما الذي يُقلق الإنسان اليوم ، يقلقه أنه متمزق بين جهات عديدة تصور موظف له عشرة أصحاب عمل ، شركة فيها عشرة شركاء في معمل كبير وهو موظف عندهم ، لو أن هؤلاء الشركاء متفقون متفاهمون ، فعلى الرغم من ذلك كل شريك سيعطي هذا الموظف أمرا مناقضا للآخر ، الأول تعال ، الثاني اذهب ، الأول كن غدا في المكتب الثاني سافر ، الأول تأخر بعد الغداء ، الثاني تعال بعد الظهر و اذهب باكرا ، هذا إذا كانوا متفاهمين ، فكيف إذا كانوا متخاصمين !!!؟؟ فكيف إذا كانوا شركاء متشاكسين !!!؟؟ فالحياة لا تُطاق أن يكون لك فيها شركاء كثيرون .

الإنسان المشرك أو غير المؤمن أو ضعيف الإيمان حياته ممزقة
بين أن يرضى رئيسه وبين أن يرضى مرؤوسه ، و بين أن يرضى
زوجته ، إن أَرْضَى من حوله في العمل تغضب امرأته ، وإن أَرْضَاهَا
يغضب شركاؤه ، وإن أَرْضَى جيرانه يغضب الله عز وجل ، وإن
امتنع عن حضور هذه الحفلة أغضب أقرباءه ، حياة كلها تمزق ،
لكن المؤمن يعلم أن الفتح هو الله ، هو الحكم ، إذن هو يرضى جهة
واحدة ويستريح ، ولا تنسوا قوله تعالى في سورة الشعراء :

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

أحد أكبر عذاب النفس أن تُشرك بالله ، أن تدعو مع الله إله
آخر ، و ليس معنى أن تدعو مع الله إله آخر أن تقول هذا الفلان إله
فقط ، بل أن تعامله كما تعامل الإله ، أن تعتمد عليه أن تتكل عليه ،
أن تعلق عليه الآمال ، أن تطيعه وتعصي خالق الكون ، هذا معناه
أنك اتخذته إلهاً ، هذا هو المعنى الثالث .

وحيثما يظهر الإنسان ، حينما تصبح سريرته سليمة ، حينما
يستحق الإكرام تأتيه الدنيا وهي راغمة ، " أوحى ربك إلى الدنيا أنه
من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه " ، و الحديث القدسي
معروف : " يا بن آدم خلقتك لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن
أفيعيني رغيماً أسوقه لك كل حين !!؟ لي عليك فريضة ولك علي

رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلاسلطنَّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنيت عندي مذموماً ."

إذا كنت في المستوى الذي يستحق الإكرام ، إذا سرت في موجبات رحمة الله عز وجل تأتيك الدنيا وهي راغمة لذلك هذا الحديث الذي لا أنساه :

عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" من كانت الدنيا همّة فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له
ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره،
وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة " !!! .

ما تعلق أحد بحب الدنيا إلا أصيب منها بثلاث ، شغل لا ينفعك
غناه ، وأمل لا يدرك منتهاه وفقر لا يدرك غناه ، لكن المؤمن قال
الله عنه في سورة هود :

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣٠﴾

متاع المؤمن متاع حسن ، معه راحة نفسية ، ومعها أمل بجنة عرضها السماوات والأرض ، ولكن متاع الكافر معه قلق ، معه شعور بالمستقبل المجهول ، شعور بأنه مقدم على مجهول ، ولا سيما الموت حينما قال الله عز وجل دعاء إبراهيم في سورة البقرة :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّجَرَاتِ
مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَتَّسَى الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أجابه ربنا : " و من كفر ، فأمتتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير " ، ما الفرق إذن بين متاع المؤمن ومتاع الكافر؟! متاع المؤمن معه راحة نفسية معه شعور أن الله عز وجل ادخر له شيئاً في الآخرة ، أما الكافر وهو في قمة استمتاعه في الدنيا يشعر بقلق من مجهول أقله الموت ، أقله أن تسلب منه هذه النعمة ، لذلك الدعاء الذي أدعوه أنا : " اللهم إنا نعوذ بك من عضل الداء ومن شماتة الأعداء ومن السلب بعد العطاء " ، فأصعب شيء أن يسلب منك شيء قد نلته من الله عز وجل ، فالله عز وجل ، من إكرامه للمؤمن أن يجعل خير عمره آخره يتعبه في أول حياته ولكن يريحه في آخره ، أما أهل الدنيا فيعزهم في مقتبل حياتهم ثم يأتي العقاب والذل والهوان والفقر ؟ لذا يجب أن ندعو الله بهذا الدعاء :

اللهم اجعل خير عمرنا آخره وخير أيامنا يوم نلقاك ، ونسألك أن نلقاك وأنت راض عنا ."

• وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾

سورة الأنعام

الآن ما علاقتك بهذا الاسم ، هذه الآية إذا فهمتها كما أراد الله عز وجل ، فلو أنه قال ومفاتيح الغيب عنده ، هل حدث شيء ، هو قال وعنده مفاتيح الغيب ، هل يستفاد معنى دقيق جدا من تقديم كلمة عنده ، لو قال ومفاتيح الغيب عنده فقد تكون عند غيره أيضا ، أما إذا قال : " وعنده مفاتيح الغيب " فالتقديم فيه قصر ، فالغيب لا يعلمه إلا الله . لذلك هذه الآية إذا فهمتها فإنك تكذب الدجالين ، والكهان والسحرة والمنجمين و الأفاكين ، تسمع الآن في كل بلد متقدم جدا أن هناك فلكي أو عراف يأتيه كبار الشخصيات يسألونه عن مستقبلهم المالي مثلا ، أو الإداري أو السياسي ، فلو قرؤوا هذه الآية لامتنعوا عنهم وعلموا كذبهم .

و لكننا لا يجب أن نكذب بعض الناس كالطبيب مثلا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله . فلو قال الطبيب لم يعد هناك أمل في شفاء المريض ، فلا تصدق ، لأن الطبيب كما قال الشاعر :

إن الطبيب له علم يدل به ... إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير
أذكر طبيباً قال لأهل مريض : " بعد أربع ساعات تنتهي
حياته " ، فاشترى أهله السواد وكتبوا النعي ، ثم شفاه الله عز
وجل !!! هذا الإنسان عاش ثلاثين سنة والطبيب مات بعد اثني
عشر عاماً .

فالإسنان بحسب علمه ، أما ما سيكون فلا يعلمه إلا الله عز
وجل ، لأن عنده مفاتيح الغيب . فمثلاً : هناك بلاد آمنة مطمئنة ، بها
رخاء : مال ، بتروول ، غنى ، من يصدق أنها تلتهب في الحرب ؟! لم
يكن في الحسبان .

لبنان في عام ١٩٧٤ كانت جنة الله في الأرض ، الأمن والرخاء
والبذخ والترف ، كل ما في العالم كان في هذا البلد ، من يصدق ؟!!!
الذين زاروها الآن وجدوها قاعاً صَفْصَفاً لا ترى فيها عوجاً
ولا أمناً !!! ... " و عنده مفاتيح الغيب " .

هناك تفسيرات إلهية لهذه الآية ، نحن نفهم التفسيرات
الأرضية ، على أن السبب هو صراع ، أو حرب أهلية ، أو مشكلة
عربية ، دولية ، و هناك تفسير نسائي لأحداث لبنان ، قلن :
" أصابها عين " !!! . و لكن هناك فهما دينيا آخر ، قال الله تعالى

في سورة النحل : ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " (١١٢) دائما إعتد التفسير القرآني للأحداث !!! .

و مجرد أن تسأل إنسانا عن الغيب فأنت لا تعرف الله ومجرد أن تطرح سؤالاً على كاهن تأكد أنك لا تعرف الله ، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام : " من أتى كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " يكون كافراً بهذا القرآن لأن الله عز وجل قال في سورة الأنعام :

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنْبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

و في سورة الأعراف :

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

وفي سورة الجن :

﴿٢٥﴾ عَدِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى
مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

هذه الآية خطيرة جدا ، فلو قرأت مقالة تتحدث عن تنبؤات عام
كذا ، أو الأعوام الميلادية مثل هذه المقالات لا ينبغي أن تُقرأ لأنه
" وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو " ... إلا إذا كان تنبوءاً لا من
باب الجزم بل من باب التوقع ، كالتوقعات الاقتصادية مثلاً إنه احتمال
أن العالم مقبل على أزمة معينة مقبل على كذا ، ولكن عنده مفاتيح
الغيب لا يعلمها إلا هو ، هذه الآية إذا فهمتها استرحت .

قالوا " ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت
فيها " أنت لا تملك إلا وقتك الحاضر ، في هذا الوقت بالذات بإمكانك
أن تتوب .

كانت تحضر عندنا في الجامع أخت كريمة ، في جامع النابلسي ،
منذ ستة عشر عاما ، ولها صهر بعيد عن الدين بعدا شديدا ، بل إنه
ينكر وجود الله عز وجل ، فكانت تدعو ابنتها أن تدعو زوجها لهذا
الدرس فسمعت أنها دعته أكثر من عامين ، أن يحضر ولو درسا
واحدا ، قال مرة دخلت ابنتها على الدرس ففرحت فرحا شديدا ، قالت
لها زوجك معك قالت نعم ، كادت لا تصدق ، هذا الرجل حضر درسين

وبعدها أصابته أزمة قلبية ، ونقل إلى المستشفى على شكل إسعاف ، وهو على الحمالة ، قال لأولاده الذين رباهم على شاكلته : على أنه لا يوجد إله : " كل شيء قلته لكم في الماضي باطل ، و الحق هو ما جاء في القرآن " ... لا أنسى هذه الكلمات !!! نرجو الله أن يقبله .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها ، لماذا قال بعض العلماء إن الحج يجب أن يؤدى على الفور !!؟ لأن الإنسان لا يعرف متى يموت ، ما دام الحج فرضا على المستطيع ، فحينما تصبح مستطيعا يجب أن تحج ، لأن العمر ليس بيدك ، فعن ابن عباس أنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجلوا إلى الحج (يعني الفريضة) فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له " .

و نعود لاسم الله الفتح ، قال الله تعالى : في سورة سبأ :

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾

كلمة فتح باللغة تعني أن هناك شيء مغلق ، فهل تقول لإنسان افتح هذا الباب وهو مفتوح !!؟ إذن أنت لا تقول افتح إلا لما هو مغلق ، فكل شيء أغلق في وجهك يجب أن تذكر اسم الفتح ، حتى لو ضاعت مفاتيحك ، لو ضاعت محفظتك ، لو ضاع شيء ثمين ، أو أغلق عليك مكان .

حدثني أخ قال كنت ذاهبا إلى ميناء اللاذقية لتخليص بضاعة .
ومعي مستندات كثيرة جداً لتخليص بضاعة من الميناء ، وضعتها في
محفظة ، وذهبت إلى الكرنك لأركب ، بحثت عن هذه المحفظة فلم
أجدها ، أقسم بالله أن الدم جف في عروقي ، و اصفراً وجهي ،
إنها بضائع بالملايين له ولزملائه ، قال وقفت على مدخل الكرنك
وأدعو : " يا فتاح " !!! ، قال وقفت ساعة كاملة على هذا الحال ،
وألغيت سفري ، فما عدت أذكر السيارة التي أقلتني إلى الكرنك ، ثم
بدعاء فيه إلحاح وتضرع ، وقفت أمامي سيارة ، فقلت للسائق :
" اذهب لا أريد الركوب " ، فقال لي السائق : " ألسنت الذي ركب معي
قبل قليل ؟! " ، ثم قال له : " أليست هذه محفظتك ؟!!! " فقلت
بلى !!! فببركة الدعاء ، عادت المحفظة ، هو لم يعد يتذكر أي
سيارة ركب ، والسائق بيد الله عز وجل ، فإذا أراد الله عز وجل أن
يعيدها ألهم السائق أن يعود ، أو ألقى عطفاً في قلبه ، أو ألقى خوفاً
من الله .

فإذا آمنت بالفتاح فكل شيء مغلق عليك تقول يا فتاح يا عليم ،
ولكن ليس قول بلا معنى كقول بعض العوام حين يكون متبرماً من
إنسان فيقول له : " يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم " ، ليس هذا هو
المقصود !!! فمع الأسف الشديد هذه الكلمات الدينية الراقية الآن

تستخدم استخداما آخر ، فإذا غضب أو ضجر يقول أشهد أن لا إله إلا الله !!! متى يتشهد ؟ أحيينا يغضب ؟!!! .

و إذا رأى إنسانا يغضب يقول له : " صلّ على النبي " ، وفي غضبه قد يسب النبي صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله ، فإذا كان أمامك رجل يغلي غضبا فلا تقل له صل على النبي ، إلا إذا كان مؤمنا ، فإن كان مؤمنا يقول لك اللهم صل على النبي، و يهدأ فعلا .

فقولك : " يا فتاح " يعني يا فاتح ما أغلق ، افتح مغلاق هذا الأمر كأن حاجة ، تحتاج واسطة لوظيفة وأنت ليس لك واسطة ، تقول : " يا فتاح افتح لي قلب فلان " ، أو ألق في قلبه عطفاً علي " أو ألق في قلبه تفهما لي ، أو ألق في قلبه إنصافا " ... وهكذا .

و من ذلك قوله تعالى في سورة القمر : "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ" (١١)

معناها أن الأبواب كانت مغلقة ، يقولون في النشرة الجوية : منخفض متمركز في قبرص اتجاهه إلى القطر ، توقع هطول أمطار غزيرة ، تتلبد السماء بالغيوم ولا تنزل أمطار ، مرة ثانية ، بعد يومين ، توقع هطول أمطار ، أول جمعة ثاني جمعة ، وثالث جمعة ورابع جمعة مضى أيلول تشرين ثاني لم ينزل أمطار ، فهي لا تنزل إلا بإذن الله !!! توقع هطول ، فالسمااء مغلقة ومفتاحها بيد الله عز

وجل ، والفتح في الحرب معناد الظفر . فالبلاد المفتوحة كانت مغلقة
محصنة ، بجيوش ، وقوى ، ثم فتحت للمسلمين ، و أصبحت بلادا
إسلامية !! .

إذن من معاني الفتح : هو الحاكم بين الخلق ، لأنه كلما استغلق
أمر خلافي بينهم يفتحه الله عز وجل .

عندنا شيء آخر ، هناك فتح لكبار المؤمنين ، أي أن المؤمن
أحيانا يفتح الله عليه يلقي في قلبه نورا ، يلقي في قلبه معرفة ،
يسمونها بعض العلماء الكشف ، أي يكشف الله عن بصيرته ، فيرى
الحق حقا والباطل باطلا ، يسمونها علماء آخرون الإراءة ، كما جاء
في قول الله تعالى في سورة الأنعام :

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

أحيانا تشعر أنك لم تكن ترى فأصبحت ترى ، رؤيا قلبية ،
أحيانا يرى الإنسان أن الكذب أو الغش أو الخداع يُربحه ويظن نفسه
ذكيا !!! هذا أعمى البصيرة ، إلى أن يرى أن الصدق وحده هو الذي
ينجيه ، فهذه رؤيا قلبية ، أو يرى أن الاستقامة في الحياة هي سبب
الكرامة ، هذه رؤيا ، فما هو الفتح بالمعنى الجديد ؟؟؟!!! أن يفتح
الله على بصيرتك ، أن يكشف الله على بصيرتك ، أن يجعل بصيرتك
صافية ترى بها الخير خيرا والشر شرا .

إذن بعض العلماء قالوا : " الفتح الذي فتح قلوب المؤمنين
بمعرفته ، وفتح على العاصين أبواب مغفرته :

فإن كان عاصيا فالله عز وجل يفتح له باب المغفرة ،

وإن كان مؤمنا يفتح له باب معرفته !!!! .

أنت إذا سألت نفسك قبل خمس سنوات هل أنت في نفس
المستوى أم شعرت أن لك رؤية جديدة لك بصيرة نافذة ، لك إدراك
أعمق ، لك قيم أمتن ، هذا هو الفتح !!! كلما كشف لك بعض
الحقائق فتح عليك ، إلى أن يفتح عليك الفتح المبين الذي لا معصية
بعده !! .

المؤمنون يتفاوتون باليقظة والغفلة ، فهناك مؤمن أغلب وقته
في غفلة ، هو مؤمن بالله ولكن في غفلة !!! أما المؤمن الأرقى ،
فأكثر وقته مع الله عز وجل ، دائما يدعو ، يستعيز به ، يرجوه ،
يهتدي بهديه ، يستلهمه ، والله عز وجل يتجلى على قلبه ، يلقي في
قلبه نورا يلقي في قلبه معرفة ، هذا معنى الفتح .

فالفتح يستخدمه العلماء كثيرا ، يقولون : " فتح الله عليك ، أو
جاءه الفتح " كما في قول الله تعالى في سورة النصر : " إذا جاء
نصرُ الله والفتح " .

الله عز وجل فتح للنبي مكة المكرمة ، فتح له دخل الناس في دين الله أفواجا .

و قيل الفتح الذي . يعينك في الشدة و يرفعك في الرخاء !!! .
بعضهم قال الفتح هو الذي يفتح أبواب الخير على عباده ،
ويسهل عليهم ما كان صعبا ، هذا الفتح يكون تارة في أمور الدين ،
كأن يقرأ المؤمن كتاباً ولا يفهمه ، وبعد حين يفتح الله على قلبه فيقرأ
ويفهم ، يقرأ ويتعمق ، يقرأ ويستمتع ، يقرأ ويحفظ ، يقرأ ويتكلم ،
ويجري الله الحكمة على لسانه ، وأحيانا يحدث هذا مع القرآن
الكريم ، أو الحديث الشريف .

إذن الله هو الفتح ، يفتح عليك أبواب العلم ، يفتح أبواب لسانك
بالحكمة ، فإذا أخلصت لله أنطق الله لسانك بالحكمة .

أول أنواع الفتح يفتح عليك في أمور الدين وهو العلم ، ويفتح
عليك في أمور الدنيا ، تكون فقيرا فيغنيك ، تكون ضعيفا فيقويك ،
تكون مظلوما فينصرك على أعدائك ، تكون مكروبا فيزيل هذه الكربة
ويحل محلها الفرحة ، لذلك فالإنسان إذا كان بعيدا عن الله عز وجل
لا يمكن أن يسعد ، قال الله تعالى في سورة طه : " ومن أعرض عن
ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " (١٢٤) .

و لك أن تسأل أهل الدنيا ، و أصحاب مئات الملايين ،
سل من يملكون ألوف الملايين ، و ممن أوتي قوة
لا حدود لها ، أستحلفكم بالله ، سلوهم عن الاتقباض
الذي يشعرون به ، و قد يقولون نحن أشقى
الناس !!! .

فماذا يعني فتح هنا ؟! أي يفتح لك باب الأس به ، يفتح لك
باب الإقبال عليه يفتح لك باب الرضوان ، يفتح على قلبك باب
الرضى ، فترضى بالقليل ، تكون ساكنا في بيت غرفة ونصف تحت
الأرض ، تقول الحمد لله ، بينما نرى رجلاً بيته خمسمائة متر ، ثمنه
ثلاثون مليون ليرة ، يقول لك السوق مسموم ، هذه السنة
خسران كذا مليون ، يعني خف ربحه كذا مليون عنده مال إلى
ولد ولده ، تراه مهموماً ، أما الفقير فقد فتح الله عليه باب
الرضى ، فتح الله عليه باب السكينة ، و باب
الشكر ، يقول : " الصحة طيبة و الحمد لله ، أنا أسعد
الناس " ، وهذا الذي ما عرف الله عز وجل دائماً في ضيق في ضنك
في سخط على الله عز وجل والعياذ بالله .

إذن يفتح لك باب الدين بفتح العلم على قلبك ، أو يفتح لك باب
الدنيا إن كنت فقيراً فيفتح لك باب الغنى ، إن كنت ضعيفاً يفتح عليك

باب القوة إن كنت مريضا يفتح عليك باب الصحة ، إن كنت مكروبا
يفتح عليك باب الفرحة . قال بعض الشعراء :

يا فاتح لي كل باب مرتج (" المرتج أي المغلق ") إنني لعفو
منك عني مرتج !! .

قيل الفتحاح هو الذي يفتح على النفوس باب توفيقه ، يجب
أن تعلم أن في القرآن آية واحدة لا ثاني لها ، وهي قوله تعالى
في سورة هود : " وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه
أنيب " (٨٨) .

قال بعض العلماء " لا يمكن أن يحدث شيء في الكون إلا بتوفيق
الله تعالى " فحينما اخترعوا المركبة الفضائية " challenger " أي
المتحدّي ، أرادوا أن يجربوا تجربة فريدة ، أن يخرج إلى الفضاء
الخارجي في تسعة أشهر أو سنة ، وبه سبعة رجال وامرأة كي
تنجب المرأة وهي في الفضاء ، وأعدوا لكل شيء عدته ،
ولكل جهاز جهازان ، وقد ضبط الجهاز بعد تنازلي دقيق جدا
وأطلقت المركبة إلى الفضاء ... هذه المركبة التي سماها أهل الدنيا
المتحدّي ، أصبحت - بعد سبعين ثانية - كتلة من الذهب ، فالله ما
فتح عليهم ، أي أغلق عليهم باب التوفيق ، فلذلك " وما توفيقي إلا
بالله " .

فإذا فتحت محلا تجاريا ، أو أسست معملا ، أو أسست مدرسة ،
إن أزمعت الزواج ، فقل : " يا فتاح " ، ولا تقل أنا خبير سأستخدم
كل خبرتي سأستشير ، سأسأل محاميا .

أعرف رجلا ، كان متبرما دائما ، مشمئزا دائما ، جمع و طرح
وضرب فوجد أنه إذا باع معمله ، وبيته ، ومحله التجاري في منطقة
الحريقة بكذا مليون ، ويضعها في بنك في أوروبا بفائدة قدرها ثمانية
عشر بالمائة ، ثم يعيش ملكا في أوروبا ، وقام بتنفيذ الخطة ،
فباع المحل وباع المعمل وباع البيت وباع السيارة ، ثم أخذ
تأشيرة خروج ، وذهب إلى أرقى بلد في العالم بالسويد ، في
بأله أن يضع الأموال بالبنك ويشتري بجزء منها بيت وسيارة
فخمة ، ثم يعيش على فوائد المبلغ في حبوحة ، كيف ؟ إن
وضع المبلغ في البنك يحتاج إلى وثيقة معينة ، والمبلغ كبير
جدا فوضعه باسم آخر ، إما قريب أو صديق هناك ، وفي اليوم
التالي سأل هذا الصديق أن يعطيه المبلغ فقال له من أنت ؟!! أنا
لا أعرفك !!! .

كل ثروته ضاعت بساعات ، لتأمين وثيقة معينة ،
فأين الذكاء ؟! هذه القصة أبقها في بالك ، مع الله لا ينفع
ذكاء ، وما توفيقى إلا بالله " لن يقع شيء إلا بأمر
الله .

لا ينفع حذر من قدر ... ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل !!!

علاقتك بهذا الدرس:

١- أن تسعى جاهدا بالطاعات كي يفتح الله على قلبك باب العلم .

٢- أن تفتح أنت على العباد باب خيراتك ... لا تكن قابضا ، بل كن باسطا .

والحمد لله رب العالمين

الذليل
الذليل

اللطف

أيها الإخوة المؤمنون الاسم اليوم هو اللطيف ، وقبل أن نبداً بتعريف هذا الاسم لابد من مقدمة قصيرة :

إن شرف العلم من شرف المعلوم ، وهذه الحقيقة أكررها كثيراً في كتابي ، فإذا درست موضوعاً حقيراً أو تافهاً أو سخيفاً ، فهذه الدراسة ، وتلك التمحيصات والتحقيقات والمتابعات بجملتها سخيفة ، لماذا؟ لأن الموضوع تافه ؛ فكلما شرف الموضوع شرف العلم .

و السؤال الملح دائماً هو : هل يوازن خالق مع مخلوق؟! أو قديم مع حديث؟ أو كامل كمالاً مطلقاً مع ناقص؟ لا . وحينما يتعرف المرء إلى أسماء الله الحسنى فإنه يتعرف إلى خالق الكون ، وقد يسأل سائل وما علاقتي بأسماء الله الحسنى؟ فأقول : الجواب أتى به رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال : " تخلقوا بأخلاق الله " .

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

(سورة البقرة آية ٣٠)

فأنت أيها الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولن تحقق هذه
الخلافة إلا إذا تخلّقت بأخلاق الله عز وجل ، فإذا عرفنا جانباً من
أسماء الله الحسنی فينبغي أن نتساءل وما ما حظ المؤمن من معرفة
هذا الاسم ؟ وما حظه من معرفة اسم العزيز ؟ أقول : حظه أن يكون
عزيزاً ، وابتغوا يا عباد الله العزّة عند الله .

عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ينبغي
للمؤمن أن يذلّ نفسه قالوا وكيف يذلّ نفسه ؟ قال يتعرض من البلاء
لما لا يطيق " .

أخرجه الترمذي و ابن ماجة وأحمد

وإننا في الصفحات التالية نطوف حول اسم اللطيف ، والحقيقة
التي أتمنى أن تكون واضحة في الأذهان ؛ هي أن هذا الكون كله في
أصل خلقه خلقٌ وسُخِرَ للإنسان تسخيرين : تسخير تعريف، وتسخير
تكريم ، فالمرء قد يشرب الماء ، فيروى العروق ويلتذ به الجسم ،
ولكن هذا الماء خلق لهدف أكبر من أن تشربه ، خلق لكي تعرف الله
من خلاله ، فمن جعل الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة ؟!! ومن
جعله ذا خاصية عالية في النفاذ ؟ ومن جعله يتبخر في درجة
منخفضة جداً أي في الدرجة الرابعة عشرة ؟ ومن جعله يحل المواد
الكثيرة ؟ ومن جعله قوام الخلية الحية ؟ ... إلخ .

فإذا عرفت أيها الإنسان الله من خلال الماء فقد حققت الهدف الكبير من خلق الماء أما إذا شربت كأس الماء وارتويت به ثم أغلقت دون عقلك الأبواب فقد حققت الهدف الصغير ؛ فالهدف الكبير هو أن تعرف الله من خلال الماء و الهواء والطعام ، وأن تعرفه من خلال نفسك التي بين جنبيك ، وأن تعرفه من خلال ابنك ، ومن خلال كل شيء حولك ، هذا كله بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث موجز قصير جامع مانع ، حينما رأى الهلال : حدثنا قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال : " هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك " (ثلاث مرات) ثم يقول : الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا * .

أخرجه أبو داود

إذا وقفت عزيزي القارئ أمام بائع أزهار وتأملت جمال الله عز وجل ، من خلال جمال الزهرة وتأملت هذه الرائحة الفواحة العطرة ، ورأيت في الزهرة تناسق الألوان وأنت تعلم علم اليقين أن هذا الزهر لا يؤكل ، وإنما خلق خصيصا لإمتاع عينك وأنفك ، إذن هذا من إكرام الله عز وجل لك ، وإذا عرفته شكرته وعظّمته .

لو قرأت كتابا عن العسل وتملكك العجب العجيب من هذه النحلة : تلك الحشرة الاجتماعية ، ذات النظام البديع ، في مجتمعها الذي هو أرقى من المجتمعات البشرية - وهذا كلام علمي - فأي

مجتمع بشري ديموقراطي ، يعرف فيه كل مواطن ما له وما عليه ، من حقوق وواجبات !! إن النظام لدى مجتمع النحل دقيق جدا ، إذ لا ترقى إليه التنظيمات البشرية . فكل شيء في وقته وموقعه ومكانه وزمانه ، وأرقى المجتمعات البشرية لا ترقى إلى مستوى النظام الاجتماعي عند النحل والنمل .

أجل ، إذا قرأت كتابا عن النحل ، وشعرت أن الخالق جلّ وعلا أبدع في خلق النحل ، فأدركك الخشوع وربما انهمرت عينك بالدموع ، فأنت حققت الهدف الأكبر من خلق النحل ولو لم يكن ذلك يسمح أن تشتري شيئا من العسل ، بينما الذي أكل العسل حتى امتلأت خلاياه منه ولم يفكر في هذه المادة التي أكرم الله بها الإنسان يكون قد عطل الهدف الأكبر واستفاد من الهدف الأصغر .

إذن : اتفقنا على أن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى .. وما دما نطوف حول اسم اللطيف ، فهل ترى في الكون ما يدل على أنه لطيف ؟ .. نعم فالهواء يحيط بنا من كل جانب ، نستنشقه ، ولو حركناه لشعرنا بوجوده ، هذا الهواء يحمل طائرة وزنها ثلاثمائة وخمسون طنا : منها مائة وخمسون هيكل الطائرة ، ومائة وخمسون الوقود ، وخمسون الركاب مع الحاجات ؛ فالهواء يحمل ثلاثمائة وخمسين طنا فهو إذن شيء عجيب جدا .

و حينما تدخل المركبة الفضائية في الغلاف الجوي تصبح كتلة من اللهب لاحتكاكها به ، ومع ذلك إذا كنت على سطح الأرض فالهواء لا يرى وليس له صوت إذا كان ساكنا ، فهو موجود وكأنه غير موجود فلا يحجب الرؤية ، وترى أخاك من خلاله ، وتسمع صوته ، إذن الهواء لطيف ، وربنا عز وجل يقول :

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾

(سورة الشورى)

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

(سورة الملك)

اسم اللطيف له معان كثيرة ، أجد هذه المعاني أن الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره يسمى لطيفا ، يعني مثلا أنت بين يديك جهاز راديو ، أدر مؤشره إلى إذاعة من الإذاعات، تستمع إلى نشرة الأخبار ، فالكلام أين هو ؟ إنه موجود في الجو المحيط ، وبهذا الجهاز اللاقط التقطها ، فهل تستطيع أن ترى بعينك موجات الإذاعة ؟ لا تراها بعينك ، ولا تسمعها من دون جهاز استقبال ؟ وهل لها وزن ؟ لا ، وهل لها رائحة ؟ لا ، إذن موجات الإرسال لطيفة ، وموجودة ، والدليل استماعك للجهاز الذي بين يديك ، فإذا أزعجت عنك الجهاز فإنك لا تسمع شيئا، إذن هذا الإرسال موجود ولكن بلطف ، وسأقرب الأمثلة لأفهام القراء الكرام :

الإرسال موجود لكن بلطف ، والهواء موجود لكن بلطف ، أما
الهواء إذا تحرك بسرعة تزيد عن ثمانمائة كيلو متر في الساعة ،
فيصبح إعصاراً لا يُبقي شيئاً على سطح الأرض ، وقد قرأتُ عنه في
أمريكا بأن إنساناً هناك يسكن في فيلاً ، أي دار فخمة جداً ، وله
سيارة من الوزن الثقيل وأصاب هذه المدينة إعصار ، فعثر على
محرك سيارته بعد خمسة كيلو مترات من داره ، ولم يجد لا للدار ولا
للمركبة أي أثر ، وهذا نتيجة حركة الهواء ! أما إذا سكن الهواء
فهو لطيف جداً ، إذ لا تراه بعينك ، وليس له رائحة ، ولا صوت ولا
حس .

إذن معنى اللطيف بالمعنى اللغوي : هو الشيء الصغير الذي لا
يُحس به لصغره ، وهذا الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره
يسمى لطيفاً ، وهذا الماء ، لو أخذت منه نقطة ووضعتها تحت
المجهر ، وكبرت النقطة مئات المرات لرأيت فيها عشرات بل مئات
بل ألوف الكائنات الحية ، بينما يبدو أمامك ماء صافياً عذبا فرائقا
رائقا . لكن الكائنات التي فيه غير ضارة ، وهي كائنات لطيفة ، وما
معنى لطيفة ؟ أي هي من الصغر بحيث لا تراها من لطفها ، فهذا
معنى من معاني لطيف .

والكائنات الحية في هذا الماء لطيفة ، وإذا قلنا الله لطيف
بعباده ، فالله عز وجل معك يسمع صوتك ، ويعلم ما في قلبك ، وما

في رأسك من أفكار من وطموحات ، و صراعات ، و آراء ،
و معتقدات ، و تصورات و تخیلات ، و يعلم ما في قلبك من هموم
و متاعب و آلام و ضغوط من خوف و من قلق ، و مع ذلك وجوده
معك ليس ثقيلًا ، تصور لو أن إنسانا لازم إنسانا .. جلس فجلس
معه ، مشى فمشى معه ، دخل إلى بيته فدخل معه ، أكل فأكل معه ،
فإن بقي يلزمه خمسة أو ستة أيام يخرج من جلده ، ويقول له
صائحا : إليك عني ، انصرف بعيدا ، وقد رأينا أنه لم يتكلم بأية
كلمة ، ولم ينتقد ، ولم يعترض ، ولم يطلب منك مطلبًا ما ؛ إن ذلك
الشخص بملازمته لك عبء عليك ، لكنك تعلم أن الله معك دائما ،
ولكن لا تحس بوجوده ، فوجوده غير ثقيل عليك قال تعالى :

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ
 سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ
 يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة المجادلة)

أي أن الله عز وجل من اللطف بحيث لا تراه ولا تسمعه ولكن
تراه بعقلك ، وهذا أحد المعاني لكلمة لطيف ، لهذا جاء في الحديث
الصحيح :

عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث ، قال : ما الإسلام؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال : ما الإحسان؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك .

إذن : المعنى الأول أن الشيء الصغير الذي لا يحس به ، لدقته صغره يسمى لطيفاً ، ولما كان الله سبحانه وتعالى منزهاً عن الجسمية ليس بجسم ولا صورة ولا متبعض ولا متجزئ ولا متحيز وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك ، لا يسأل عنه ؛ متى كان ؟ لأنه خالق الزمان ولا أين هو ؟ لأنه خالق المكان ، فالله عز وجل منزّه عن الجسمية والتحيز والجهة . أين الله ؟ هنا فوق ، يمين ، وراء ، يسار ، أمام ، في كل مكان مع كل شيء ، لكن لا شيء في شيء ، محيط بكل شيء علماً مع كل شيء وفوق كل شيء وإلى جانب كل شيء ولكن لا يجوز أن تشير إليه بجهة ، ولا أن تنسب إلى الله الجهة ولا الحيز ... وما معنى الحيز؟ مثلاً هذا الكوب يشغل حيزاً في الغرفة ، وله وزن وارتفاع و قطر وقد حجز على الطاولة مكاناً ، وفي الفراغ مكاناً وله وزن ؛ هذا هو الحيز ، فربنا عز وجل ليس

بمتحيز ، أي لا يشغل حيزا وليس له جهة يشار إليها وليس له مكان ولا زمان

إذن إذا قلت الله لطيف يعني الله عز وجل لا يشغل حيزا وليس له جهة ، ولا مكان ، ولا زمان ، وليس بجسم ولا صورة ، ولا متبعض ولا متجزئ ولا متحيز ، إلى آخر هذا التعريف .

ولما كان الله منزها عن الجسميّة والجهة لم يُحس به ، فهو لطيف بمعنى أنه غير محسوس ، فهذا الاسم من صفات التنزيه أي سبحانه ، وتنزّه عن أن يكون له جسم ، أو أن يكون متحيزا ، أو أن يشغل مكانا ، سبحانه أن يحيط به زمان ، سبحانه .

إذن : اسم اللطيف من أسماء التنزيه ، فهو معك لكن بلا شعور ، لا تدركه الأبصار لأنه لطيف وهو يدرك الأبصار ، رآك ، والدليل الصارخ : مع كل واحد منكم دليل .

و أحيانا تعمل عملا لا يرضي الله فتُحاسب عليه بعد قليل حسابا عسيرا ؛ لأنه رآك ، وأحيانا تفكر في عمل لا يرضي الله ، تجد الله عز وجل قد عاقبك ، لأنه علم ما في نفسك ، إنه لطيف لا تحس بوجوده ، فوجوده ليس ثقيلًا عليك ، لكنه موجود ، يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم السر وأخفى ، و معنى كلمة " وأخفى " : أي وعلم ما لم يكن لو كان ، وكيف كان ويكون فإن كان دخلك ثلاثة آلاف في الشهر وأنت مستقيم ، فيبارك الله لك فيه ، أما هناك من دخله

يساوي عشرين ألفا ، دونما استقامة ولا تقوى ، أو قل إن دخله مائة ألف في الشهر فلا يكفيه ، إنه يعلم لم و كيف ، و ماذا ، و علام ، و هذه أحوالك أيها الإنسان فيعلم الله دون أن تراه ، فالله لطيف ، و لطيف اسم تنزيه ، و في الوقت نفسه لطيف لكنه موجود معك ، فخواطرك و مشاعرك و أحاسيسك و طموحاتك و صراعاتك و آلامك ، وضيق نفسك كله معروف عنده لكن من دون أن تشعر به .

إن المؤمن ما دام يعبد الله وكأن الله يراه فإنه يكون متأدبا حتى ولو كان وحده ، وهو لا يرى الله بعينه لكنه يراه بعقله ، وصحيح كلام العوام الذي يقال كل يوم " يا أخي الله ما انشأف لكن بالعقل انعرف " فالمؤمنون وهم في فرشهم يتأدبون مع الله عز وجل ، ويحب أن تكون حركتهم كلها أدبا ، حتى إذا دخلوا الخلاء فله دعاؤه .

وفي الحديث القدسي : " يا موسى أتحب أن أكون جليساك ، فصنعق ثم قال : وكيف هذا يا رب ، قال : أما علمت أنني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني ؟ " .

و بعد ، فكم من مُصلٍ يقول : سمع الله لمن حمده ، فهل عرفت معناها ، يعني يا عبدي أنا أسمعك ، فاحمدني ؛ فإن قلت : سمع الله لمن حمده ، فأنا أسمعك وأصغي إليك ، .. أين هو ؟ فلذلك إذا صليت

فاعلم أنك بين يدي الله عز وجل ، والسيدة عائشة تقول كان النبي يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ ، يجالسنا ونجالسه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه ، وهذا ما يجب أن يكون عليه كل مسلم .

ترى الإنسان يعتني بمظهره عناية مطلقاً إذا دُعي لمقابلة مسؤول مثلا وهو إنسان مثله ، يموت ويجوع ويعطش ويتعب ويغضب فكيف إذا وقف بين يدي الواحد الديان ؟!!! فليعلم أن الله لطيف ، أي موجود ولكن وجوده لطيف وليس ثقيلًا ، هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني : اللطيف هو العالم بدقائق الأمور و غوامضها ويقال فلان لطيف اليد إذا كان حاذقاً في صنعته ، ومُهتدياً إلى ما يصعب على غيره ، وعلى هذا التفسير يكون الله لطيفاً بمعنى علماً .

و قد تفهم الأمر بشكل ظاهري لا بخباياه ، ولا بخلفياته ، ولا بتحليلاته العميقة ، ولا بالدوافع الخفية لهذا الأمر ، فالإنسان كلما ارتقى علمه يفهم البواطن ويفهم السرّ ، و ما بين السطور ، بل يفهم الدافع الحقيقي .

أضرب مثلا بأشخاص غير مستقيمين : في أيام الشتاء جاءت صديقة زوجته ، وهو جالس في غرفة الجلوس والمدفأة مشتعلة ، فقال لها ولزوجته : تعالين إلى هنا ، فهو أدفأ لكنّ ، وهل حقا أدفأ

لهنّ ؟ أم أن له هدف أبعد من ذلك ، أن يطلع على هذه المرأة صديقة زوجته ، من يعلم هذا الشيء ؟ الله عز وجل يعلم السر وأخفى .

و معنى لطيف أي يعرف دوافعك الحقيقية ، و هذه المواقف الملتوية و السر ، و الحكمة ، و هو الذي يعلم دقائق الأمور ، و بواطنها و خلفيات الأشياء ، و حقيقة كل أمر ، و يعلم ما خفي على معظم الناس .

فالذي يعلم بواطن الأمور ودقائقها وخفاياها ، ومؤدياتها ومضاعفاتها وما ينجم عنها وما أساسها ، وما سرّها ، وما أسبابها الحقيقية هو اللطيف هذا معنى ثان ، يعني اسم اللطيف هنا بمعنى الذي يعلم كل شيء مهما دقّ وخفي .

فحجر في الطريق يمكن أن تكون تحته نملة صغيرة ، ولها سراديبها وقوتها ومؤنتها .

وفي البحر بين طرطوس و أرواد عشرة كيلو مترات فكم من السمك هناك وما أنواعها ؟ إنك لا تعرف ، أما الذي يعلم كل شيء مهما دقّ ومهما جلّ فهو الله عز وجل ، فاللطيف هو الذي يعلم دقائق الأشياء ، وهذا هو المعنى الثاني .

المعنى الثالث : اللطيف هو البرّ بعباده الذي يُلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويُهيء مصالحهم من حيث لا يحتسبون ، فالיום حر

شديد مثلاً ، فربنا عز وجل يهيء لأهل هذه البلدة إنضاج فاكهتهم ،
وهم لا يعرفون ، وبعد شهر ترى هذه الفاكهة معروضة في الأسواق
بوضع جيد وجميل وطعم طيب ولذيذ ، فمن أنضج هذه الفاكهة طوال
هذه المدة ؟ الله عز وجل ، إنه لطيف بعباده ، فساعة حر ، وساعة
برد ، وساعة ماء غزير ، وساعة ماء قليل ، وأنت لا تدري فلللطيف
بعباده هو البرّ بهم والذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون ، ويهيء
مصالحهم من حيث لا يحتسبون ، ومن قول الله عز وجل : " اللّٰه
لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القويّ العزيز " ومنه يأتي المعنى
الثالث أي البرّ بعباده .

• لكن المعنى الرابع وهو من أروع المعاني التي قالها الإمام
الغزالي ، أن اسم اللطيف يعني الذي يعلم دقائق الأمور وينقل عبده
من حال إلى حال بلطف عجيب .

فهذا الطفل الصغير يجب أن يغير أسنانه ، لأنه لو نبتت له
أسنان نهائية ثابتة وفمه صغير جداً ، فمنظره بشع ، فأسنانه كبيرة
والفم صغير ، ولو نبتت له الأسنان وهو يلتقم ثدي أمه فيمكن أن
يؤذيها أذى مؤلماً لا تحتمله ، فهذا الطفل يكون في السنة الأولى
بدون أسنان ثم أسنان لبنية ، ومن بعد ، ربنا عز وجل يبذل لهذا
الطفل أسنانه ، فالله لطيف ، ولا يوجد طبيب في الأرض يستطيع أن
ينزع سناً لطفل من دون أن يبكي ، حتى أن حقنة المخدر مؤلمة

جدا ، فيبكي منها و لكن ربنا عز وجل يذيب هذا السن شيئا فشيئا ثم يأكله الطفل مع اللقمة ولا يشعر بشيء ، فمعنى لطيف كما قال الإمام الغزالي : " هو من يعلم حقائق المصالح و غوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ."

و أحيانا قد يكرهك الله على شيء ما ، ليس فجأة بل بالتدريج خلال خمس سنوات مثلا ، لأن هذا الشيء تأتيك منه بعض المتاعب ، فيزيح منك خمسة بالمائة من محبتك له و بعد أسبوعين تأتي متاعب جديدة فيزيح عشر بالمائة ، و بعد أسبوعين متاعب جديدة تزيح خمس عشرة بالمائة و بعد شهرين أو ثلاثة تقول : " لم أعد أطيق ذلك الشيء " ، فهناك شيء غير صحيح قد تعلقت به ، فربنا عز وجل نزرعه منك شيئا فشيئا بلطف .

على هذا النحو تم تحريم الخمر ؛ إذ كان العرب متعلقين بها تعلقا شديدا ، فلو أمرهم أن يتركوا الخمر بآية واحدة فربما ارتد بعضهم ، أو نصفهم عن الإسلام ... لكن الله لطيف ، قال :

وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

(سورة النحل)

فقط .. أطف إشارة إلى أن الخمر هي رزق ولكنه ليس حسنا،
 فقال : تتخذون منه سكرا ، مادة مسكرة ، ورزقا حسنا : تظنون أنه
 حسن وهو مسكر فهو ليس بحسن ، هذه أول إشارة . وبعد ذلك قال :
 يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا
 تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا

(سورة النساء آية ٤)

يعني إن شربت الخمر فلا عليك ولكن دعه عند الصلاة ، وبعد
 ذلك قال :

• يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾

(سورة البقرة)

المنافع للذين يتاجرون بها ويعيشون على دخلها ، ثم يقول الله
 عز وجل :

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ
 عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة المائدة)

فهو سبحانه لطيف حرمها بالتدرّج ، وكذلك قد يذهب شاب إلى الجامع فيسمع درسا ووعظا ، فيقول : والله إنه درس جميل ، وأريد أن أداوم عليه و يكون على عشرين أو ثلاثين معصية ، وربنا للطفه لا يذكره بها كلها ، لكن الله اللطيف يُذكّرهُ بواحدة منها بين الحين والحين . هذه حرام وهذه حرام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد كنت جاهلا ، فلعنه يتركها؟؟ ولو أعطيناها القائمة بالمعاصي كلها لترك الدين كله ، ولكن اللطيف تدرّج به واحدة واحدة ، وبعد ستة أو ثمانية أشهر ، ترك هذه وهذه وهذه ، وربنا يسخر له شخصا يذكره بالأشياء بلطف ، فهذه حرام يا أخي وهذه لا يجوز أن تأتيها ، وهذا اللقاء لا يجوز ، وهذا البيع فيه شبهة وهذه البضاعة لا يحل الإتجار بها فهي محرمة شرعا . أتتاجر بطاولات نرد ؟ فأليك حديث النبي صلى الله عليك وسلم فيها :

عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه " *

أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد

وبالتدرّج ربنا يعالج الأمور ، فربنا لطيف في العلاج ، الإنسان أحيانا يغلب رجاءه على خوفه ، وربنا لطيف يخوفه ، وأحيانا يغلب خوفه على رجائه وربنا لطيف يطمئنه .

العلم الدقيق مع التدرج في العمل ، هذا هو الاسم الجامع
المانع لاسم اللطيف ، ويستحقه من يعلم حقائق المصالح و غوامضها
ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ، حين
يجتمع له هذا العلم . وإليك مثلا : إن الوالد إذا ارتكب ابنه مخالفةً
للشرع أو للأخلاق ، فيمكن أن يعاقبه بعنف وقسوة ، ولكن الأجدى أن
يتابعه ويراقبه ويشجعه ويكافئه ويعاقبه ويُعرض عنه ويرأوح في كل
ذلك ، وبعد شهرين أو ثلاثة يستقيم طواعية وقناعة ، فأنت نقلته من
حال التلبس بهذه المخالفة إلى حال التوبة منها بطريقة لطيفة من
دون أن تحطمه ، أو تجرحه ، أو تسحقه ، أو ترُضه رضا ودون ألم
وعنف ، والمربي المؤمن لطيف ، ينقل من يعالجه ويربيه من درجة
إلى درجة بالرفق واللفظ .

دخل رجل إلى المسجد فأحدث جلبة وضجيجا وشوش على
المصلين يريد أن يلحق مع الرسول ركعة ، فلما انتهى قال عليه
الصلاة والسلام لهذا الذي أحدث جلبة وضجيجا ، " زادك الله حرصا
ولا تعد ! " لقد ترفق به ، ولذلك فإن الله رفيق يحب كل رفيق .

وإن الله يُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وعلموا ولا
تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف .

و من لطف الله بعباده ، أنه أعطاهم فوق الكفاية ، وكلفهم دون

الطاقة : خمس صلوات كل صلاة ثلاث ساعة ، عشرون دقيقة بخمس

صلوات أي مائة دقيقة ومجموعها ساعة وثلثان من أربع وعشرين ساعة ، ولو كلفك بخمسين صلاة لما استطعت ! ثلاثين يوماً صياماً في السنة فلو كلفك ستة أشهر صياماً متتابعة لما أطقت .

الله لطيف بأوامره ، لطيف بخلقه ، فلو كانت هذه التفاحة تحتاج إلى منشار ومجموعة أدوات عند النجار لشق الأمر على الناس جميعاً ، فأنت بسكين تأكلها ، وبدون سكين أيضاً ولو كانت البيضة تحتاج إلى مفتاح ولم تجد المفتاح لقسّت الحياة وأتعبت أهلها ، لكنك على طرف الصحن تكسرها

عنقود العنب تريد أن تسحبه نحو الأسفل فينشق بيدك ، ولكن الله خلق له مقصل ، لأن الله لطيف ، إذا عملت حركة معاكسة باتجاه العنقود يصير بيدك ، فربنا عز وجل لطيف ، الفاكهة لها طعم ولها شكل ولها قوام مقبول مع الأسنان ، ولو كانت التفاحة بقوام الصخر تماماً فما الطريقة إلى أكلها ؟ إننا نحتاج إلى مطحنة كي نصنع عصير تفاح ، إذ لا نقدر على أكلها ، الذي دبّر الأمور هو الحكيم والذي أوجدها هو الجواد والذي رتبها هو المصور ، والذي وضع كل شيء في موضعه هو العادل ، أما الذي لم يترك فيها دقائق إلا و عرفها فهو اللطيف ، و اللطيف هو الذي أعطى العباد فوق الكفاية و كلفهم دون الطاقة ، و اللطيف الميسر لكل عسير الجابر لكل كسير ، و اللطيف من وفق للعمل في الابتداء و ختمه بالقبول في

الانتهاه ، و اللطيف هو الذي ولي فستر ، و أعطى فأغنى ، و أنعم
فأجزل ، و علم فأجمل .

أما حظ العبد من هذا الاسم فهو الرفق بعباد الله واللفظ بهم في

الدعوة إلى الله .

أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُقْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى
﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾

(سورة طه)

دخل أحدهم على ملك وقال له سأعظك بغلظة ، فقال له
ولم الغلظة يا أخي لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر
مني : أرسل موسى و هارون إلى فرعون فقال لهما : " فقولا له
قولا ليينا " !!!! .

فإذا عرفت شيئاً سيئاً فاستره وكن لطيفاً ، وإذا تحركت نحو فعل
شيء فكن بهذه الحركة لطيفاً ، وإذا أردت إحداث شيء فاجعل لهذا
الشيء برنامجاً لا يثقل على صاحبه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام
كان في قمة النشوة في صلاته مع ربه ، ووراءه أصحابه ، فسمع
بكاء طفل صغير ، فعلى غير عادته قرأ آية قصيرة رحمة بهذا الطفل
واختصر الصلاة وسلم ، وإذا دعوت إلى الله عز وجل فكن لطيفاً وكن

لينا وكن رحيمًا وقال بعض المحققين : العارف إذا أمر بالمعروف
أمر برفق ناصح لا يعنف مُعسّر ، وكيف لا وهو مستبصر بسر الله
تعالى اللطيف !!!؟ .

و خلاصة بحثنا أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض ما ورد
عنه يقول " تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ " ، فإذا كان الله لطيفا في علمه ،
لطيفا في وجوده ، لطيفا في تصرفاته فكن أنت أيضا لطيفا .

و الحمد لله رب العالمين

الحل
هـ ح هـ

الجليل

أيها الإخوة الأكارم : الاسم اليوم هو الجليل ... ونحن نلاحظ أن أكثر الإخوة المؤمنين ؛ إذا قالوا : " الله " ، قالوا بعدها : " جَلَّ جلاله " وفي اللغة : جَلَّ يُجَلُّ أي عَظَّمَ قدره ؛ والجليل مَنْ له الجلالة والعز والغنى والنزاهة ، والجليل : هو العظيم الذي يَتَنَزَّهُ عما لا يليق به ... وكل ما في العالم من ؛ جلال وكمال وحسن وبهاء ؛ فهو من أنوار ذاته ، وآثار صفاته . كلمة جَلَّ جلاله : أي عَظَّمَ قدره وتنزَّه عما لا يليق به .

و قال بعض العلماء : الجليل : هو المستحق للأمر والنهي ، فهو وحده الذي يأمر وينهى ، هو الذي يشرِّع . و الجليل ، هو الذي يصغرُ دونه كل جليل ، و يتضعُ معه كل رفيع .

و قيل : الجليل : الذي جَلَّ قدره في قلب العارف بالله لو شَقَّقَتْ على قلب المؤمن لرأيت فيه تعظيما لله لا حدود له وخشية لله لا حدود لها !!! .

أيها الإخوة ؛ والجليل هو الذي جَلَّ في علو صفاته ، وتعذَّر بكبريائه أن يُعرف كمال جلاله ؛ فعظمته أعظم من أن تعرف ، أو أن يحاط بها . أحيانا تلتقي بإنسان عدة لقاءات تكشف بها كل جوانبه ، وتستوعب كل إمكاناته لكن لا يمكن لمخلوق أن يحيط بقدر الله عز

وجل . بعض الأئمة تحدثوا عن الفرق بين الجليل ، والكبير ،
والعظيم .

فذكر الإمام الغزالي " أن الجليل : هو الموصوف بنعوت
الجلال - ونعوت الجلال هي: الغنى ، والمُلك ، والتقديس ، والعلم ،
والقدرة " فهناك بعض الصفات تُحدث في النفس تعظيما والجليل
المطلق هو الله تعالى . والكبير : هو الذي يرجع في صفاته إلى كمال
الذات . فهناك كمال للذات وكمال للصفات - مجموع الصفات التي
ترتبط بكمال الذات : الكبير . ومجموع الصفات التي تتعلق بكمال
الصفات : الجليل . و أما العظيم : فهو الذي جمع صفات كمال
الذات ، و صفات كمال الأفعال .

أيها الإخوة ، الإنسان أحيانا حينما يذكر الله سبحانه وتعالى يحب
أن يعبر عن تعظيمه له فكان هذا الاسم حيث ما ذكر اسم الله العلم
على الذات يذكر بعد اسم الذات بعد اسم العلم على الذات كلمة الجليل
أو كلمة جل جلاله .

حينما يدرك الإنسان الصفات الظاهرة بعينه فهذا هو البصر ؛
ببصرك تدرك الجمال الظاهر ، وببصيرتك تدرك الجمال الباطن .
أحيانا تستمتع بفعل كامل ؛ هو في حد ذاته جميل والجمال ليس
متعلقا بالنواحي المادية فحسب ، بل قد يمتد إلى النواحي المعنوية ،
فالموقف الكامل ، من زاوية هو موقف كامل ومن زاوية هو موقف

جميل . تقول : فلان يتمتع بجمال الخلق . لذلك قال بعض العلماء :
إن صفات الحق أقسام ؛ صفات الجلال وهي العظمة والعزة والكبرياء
والتقديس ، وكلها ترجع إلى معنى الجليل ؛ صفات العظمة والعزة
والكبرياء والتقديس وكلها ترجع إلى معنى الجليل ، وصفات
الجمال ؛ وهي صفات اللطف والكرم والحنان والعفو والإحسان .

بعض إخواننا الكرام ذهبوا إلى الحج يقول أحدهم : وأنا في مكة
المكرمة أشعر بالجلال ، فإذا ذهبت إلى المدينة المنورة أشعر
بالجمال .

أيها الإخوة : يقول بعض العلماء : صفات الكمال هي الأوصاف
الذاتية التي دونها جميع العقول والأرواح ، مثل اسمه القدوس ،
و صفات ظاهرها جمال و باطنها جلال مثل اسم المعطي المنعم ،
و صفات ظاهرها جلال و باطنها جمال مثل اسم النافع و الضار ،
سأوضح هذا بشكل مفصل :

هناك صفات كمال : وهي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع
العقول والأرواح ؛ هذه الصفات متعلقة بالأوصاف الذاتية مثل اسم
القدوس و صفات ظاهرها جمال و باطنها جلال مثل اسم المعطي فهو
في ظاهره جمال لكن إذا الإنسان أخذ ولم يستقم على أمر الله ، ولم
يوظف هذا العطاء في الحق فوراء هذا جلال ، أي قد يكون هناك
عقاب ، أو شيء يدعو إلى الخوف . وهناك صفات ظاهرها جلال ،

وباطنها جمال ؛ أحيانا ربنا يوقع الضرر بإنسان لكن هذا الضرر ينتهي به إلى التوبة ، والإقبال على الله . فالله سبحانه وتعالى له صفات جلال ، وله صفات جمال ، وله صفات ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وله صفات ظاهرها جمال وباطنها جلال فإذا أعطاك فهذا شيء جميل لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء استقامة سيكون بعد هذا العطاء تأديب !!! فيأتي الجمال أولا والجلال ثانياً أما إذا جاء التأديب فالإنسان يخاف ، ويشعر بالرهبة، وأن الله تعالى كبير، وأنه ينبغي أن يرهب جانبه ، و بعد هذه الرهبة يأتي الجمال، لذلك قالوا : حينما نقول الضار النافع ، والمعطي المانع ، والخافض الرافع ، والمعزز المذل ؛ هذه الأسماء ينبغي أن تذكر معا لأن الله سبحانه وتعالى لا يضر إلا لينفع ولا يأخذ إلا ليعطي كما ورد في بعض الأحاديث :

" إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء "

قد جعلها دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عُقْبَى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليُجزى .

ينبغي أن تعتقد كما ورد في القرآن الكريم أن أسماء الله تعالى كلها حسنى ، حتى اسم الجبار ، القهار المنتقم هي أسماء لله الحسنى ، لو عرفت حقيقتها لذابت نفسك محبة لله عز وجل لكن

هناك أسماء متعلقة بالجلال وأخرى بالجمال وهناك أسماء ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وله أسماء ظاهرها جمال وباطنها جلال والعكس .

يقول بعض العلماء : " الجليل هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة . " ويقول بعض العلماء : " واعلم أنه تعالى يكشف القلوب مرة بوصف جلاله " فأحيانا يشعر الإنسان بحال طيبة وسرور وانطلاق وبفرحة ؛ فالله جل جلاله يتجلى عليه باسم الجميل . وأحيانا يشعر بالخوف والقلق على مصيره هل له عند الله المكانة التي يتمناها ؟ وهل عمله كما يرضى الله عز وجل ؟ وهل نواياه بالشكل الذي يرضى الله عنه ؟ .

أحيانا يقع الإنسان في موقف أقرب إلى الخشية منه إلى الطمأنينة فإذا تجلّى الله على الإنسان باسم الجليل امتلأ القلب خشية . وإذا تجلّى الله على عبده باسم الجميل امتلأ القلب فرحة ، وربنا عز وجل يقلب هذا القلب البشري بين الخشية وبين الطمأنينة ، إن ازدادت طمأنينته يخيفه ، وإن ازداد خوفه يطمئنه ، قال تعالى في سورة النور : " ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبداً ولكنَّ اللهُ يزكى من يشاء والله سميعٌ عليم " (٢١) .

هناك منهج وكتاب مبارك وسنة وهناك آيات تدل على عظمة
الله ، كل هذا شيء طبيعي ولكن لولا أن الله يتولى معالجة القلب
بشكل مستمر لما زكى منكم من أحد أبدا :

كل إنسان قريب من الله ، يدرك أن على الله تربيته . كلمة تدل
على اعتداد بالنفس يأتي بعدها تأديب ، وكلمة تدل على افتقار إلى
الله يأتي بعدها عطاء ، فالمفتقر إلى الله ينعم باسم الجميل . هؤلاء
الصحابة قالوا : لن نغلب من قلة قال تعالى في سورة التوبة :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ
مُذَبِّحِينَ ﴿٢٥﴾

فعلى الإنسان أن يراقب قلبه ، فليس الإنسان عقلا وحده ، ولا
قلبا وحده ، فالعقل غداؤه العلم ، والقلب غداؤه الذكر والحب ،
فالإنسان إذا شعر أن قناعاته قوية ، واطمئنانه بالله زاد عن الحد
المعقول فإن الله جل جلاله يتجلى باسمه الجليل فيخاف -وحيثما
يزداد خوفه إلى درجة قد يقعه الخوف عن متابعة الطريق ، يتجلى
الله عليه باسم الجميل وما سمي الحال حالا إلا لأنه يحول ويزول
والإنسان يتقلب في الحال الواحد كما قال بعضهم : المنافق يثبت على
حال واحدة أربعين عاما، بينما المؤمن من شدة خشيته ، وشدة

حرصه . على طاعة ربه ، وقلقه على مصيره عند ربه، يتقلب في
اليوم الواحد أربعين حالا .

ملخص هذا الكلام ؛ أن هناك صفات لله عز وجل ترجع إلى
العظمة والقوة والقداسة والغنى ؛ هذه الصفات يجمعها اسم الجليل
وهناك صفات كالرحمة والإحسان والنعمة والعفو و الكرم ؛ فهذه
الصفات يجمعها اسم الجميل والإنسان بين جمال الله وبين جلاله :
بين الخوف و الترقب ، وعلى الإنسان أن يتأدب مع الله عز وجل ، لا
يحملة حاله مع الله على أن يتساهل لا بأقواله ولا بأفعاله ، وينبغي
أن لا يحملة اسم الجليل الذي يرهبه على أن يتراجع أو ينكمش ،
فالبطولة أن تجمع بين الخوف من الله ، والرجاء في رحمته !! .

قال بعض العلماء : " اسم الجليل يحتمل أن يكون بمعنى الذي
يُجَلُّ المؤمنين ويكرمهم . فالمؤمن مكرم ، أحيانا تجد إنسانا مهانا
معذبا خنوعا ذليلا يُحوجه الله إلى أتعس خلقه وأشقاهم ، ألم يقل
الإمام علي كرم الله وجهه : " والله ، و الله لحفر بئرين بإبرتين ،
وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين
بمنخلين ، وغسل عبيد أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون علي
من طلب حاجة من نعيم لوفاء دين " سُئِلَ الإمام علي كرم الله
وجهه : ما الذل ؟ قال أن يقف الكريم بباب النعيم ثم يردده " فإن الله

اسمه الحليل . أي نُجِّل المؤمن على أن يحوجه للثيم ألم يقل الله عز وجل في سورة النساء :

و لن يجعلَ اللهُ للكافرين على المؤمنين سبيلا " (١٤١) !!؟
ويصدق ذلك الآية الكريمة سورة هود :

فَكَيْفَ دَوَّيْتُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ دَوَّيْتُمْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٩﴾

لذلك قلت مرة : هؤلاء الذين يذنون ويسحقون ، و يسوق الله لهم من الشدائد ما لا يطيقون، هم في الغالب هان أمر الله عليهم ، فهانوا على الله .. و إذا أردت أن تعرف ما لك عند الله ، فانظر ما لله عندك ، فهل أمر الله عندك عظيم ؟ .

حدثني أخ كان في بلد من البلدان الأوربية الشرقية وخرج من الفندق ليلتحق بالمطار الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفي أحد أيام الشتاء القارصة ، وكان الثلج يزيد على خمسة أمتار ، الشيء الذي لا يصدق أنه رأى طابورا من الأشخاص يزيد طوله عن خمسمائة متر وكان هؤلاء واقفين ينتظرون أن يوزع عليهم اللحم غدا الساعة الثامنة ؛ من الساعة الثانية ليلا إلى الساعة الثامنة وكل هذا من أجل أن يأخذوا قطعة لحم صغيرة يأكلونها مع أسرهم ، فأحيانا تجد إنسلنا مقهورا ومعذبا ومهاننا وذليلا ومصيره بيد عدو له ويتفنن بإيقاع

لأذى به ما نقول ؟ نقول : الله جليل : أي يجلس المؤمن من أن يذيقه هذا العذاب ، ومن أن يحوجه إلى نعيم ... فإذا كنت مع الله فلك العز ، ولك الكرامة فالمؤمن غال على الله وليس بهين ، وحياته مقدسة ، وعمله مقدس ، وحركاته وسكناته في حفظ الله ويكفينا قوله تعالى في سورة التوبة :

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

وفي سورة البقرة:

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

و هذه المعية الخاصة تعني : النصر والتأييد والحفظ والتوفيق ، والرفعة ، كما جاء في سورة الشرح : " ورفعنا لك ذكرك " (٤) .
فالله يرفع اسم المؤمن عاليا . وكل حظوظ النفس حيادية ، فلك أن ترتفع بالباطل ، والقهر ، وبالقوة ، والاستعلاء ، والغنى ، ولك أن ترتفع بالكمال ، كلاهما رفعة ، ولكن رفعة الدنيا آيلة إلى زوال ، أما رفعة الكمال فبالى استمرار . فالقوي الذي يؤذي الناس يكون مرهوب الجانب ، ويخافه الناس لكنه يخافونه مادام حيا ، أما إذا مات فتأتيه اللعنات من كل جانب . مثلا تجد معلما قاسيا جدا . كل الصف يخافونه طوال السنة الدراسية ، أما حينما ينتهي العام

الدراسي ، وينصرف الطلاب يسخرون منه . قالوا دائما : الأقوياء ملكوا الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب . فملك الرقاب يزول ، و لكن ملك القلوب لا يزول . وأوضح مثل أن تذهب إلى المدينة المنورة ، وتنظر إلى هؤلاء الناس الذين جاءوا من كل حدب وصوب ، يقفون أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل أدب وحب وتأثر ، وهم ما عرفوه وما رأوه وما أخذوا منه شيئا .

فلذلك الأنبياء ملكوا القلوب وملكوها ملكا مستمرا . والأقوياء ملكوا الرقاب وملكوها زمنا مؤقتا .

و من كمال تربيته تعالى أن يجعل للمؤمن خصوصية ؛ وهي خصوصية النصر والتأييد والنصر والحفظ والطمأنينة ، قال تعالى في سورة الأنعام :

قَاتِلِ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْإِيمَانَ بِمَا آتَيْنَاهُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

و المؤمن لا يتألى على الله ولكنه يحسن الظن به تعالى . و التالي على الله موضوع آخر . كأن تقول مثلا : فلان مصيره إلى الجنة ، و هو من غير العشرة المبشرين ، والصحيح أن تقول : " نحن نرجو له الجنة " فالرجاء هو الأدب . أما أن تقول : هو في الجنة ، أو هو في النار ، فمن أنت ؟ أنت عبد و التالي على الله ليس

من خلق المؤمن ، ولكن من أخلاق المؤمن أن يدعو لإخوانه
بالمغفرة ، والجنة .

و من خلال اسم الله الجليل يشعر الإنسان بالطمأنينة قال تعالى
في سورة هود :

فَكَيْدُونَ جَمِيعًا لَّمْ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِيَّيْ تَوَكَّلْتُ
عَلَى اللَّهِ رَزِيقِي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَزِيقِي
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

و الجليل : بمعنى المفعول أي ينبغي أن يعترف العاقل بجلاله ،
وكبريائه ، وعظمته قدسيته ، وتنزهه عن كل ما لا يليق به .

و هناك معنى ثالث في اللغة : بمعنى الموصوف بالجلال ، فإما
أنه موصوف بالجلال فهو فاعل ، أو ينبغي أن يجل فهو المفعول ،
أو بمعنى مفعل يجل المؤمنين ، ويرفع قدرهم ، والله عز وجل إذا
أحب عبدا ألقى محبته في قلوب الخلق .

و الله أيها الإخوة ، إذا أحبك الله ، سخر عدوك اللدود لخدمتك .
وإذا غضب الله على إنسان ، ألهم أقرب الناس إليه بالتنكر له . مثل
زوجته ، أو ابنه الذي قد يضربه مثلاً . لذا لا ينبغي للإنسان أن يعلق
أمله على زوجته ولا ولده ولا مخلوق ، حتى أن الرسول صلى الله
عليه وسلم قال : " لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر
خليلي ؛ ولكن أخ ، وصاحب في الله " . وهذا هو التوحيد ، أحياناً تجد

أبا يعلق كل أماله بابنه ، فتجد الابن يذهب إلى بلد أجنبي وينال جنسية ، ويتزوج بأجنبية ، ويقطع علاقته بوالده ، وقد يغير دينه ، وقد لا يستقبل أباه إذا زاره ، لذلك على الإنسان أن يعلق كامل ثقته بالله !!! .

و اسم الجليل لم يرد في القرآن الكريم ، لكن مادته وردت قال تعالى في سورة الرحمن :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٧١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٢﴾

و ورد أيضاً في ختام هذه السورة : " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " (٧٨) .

هل يقال لفلان جليل القدر ؟ نعم لا يمنع أن نقول هذا ، ونقول أيضاً : فلان له قدر جليل فمن حسنت صفاته الباطنة (مثل الأدب ، والحلم ، والرحمة ، و الإتيان ، والتواضع ، والغيرة ... إلخ) جز لنا أن نقول عنه انه جليل القدر .

وكيف تتخلق بأخلاق هذا الاسم ؟ إذا كنت مستقيماً وترفعت عن النقائص ، وعن اللغو ، وعن كثرة المزاح ، وعن سفاسف الأمور وعن الدنيا الدنيئة ، وعن القيل و القال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة

المال ... صرت في نظر الناس جليلا ، يقولون : الأستاذ الجليل ،
وكذلك الأخ الكريم مثل هذا الإنسان له قدر عند الناس جليل .

الإمام الرازي يقول : " الجليل من العباد من خلا من العقائد
الزائغة والأخلاق الذميمة " فعقائده صحيحة ، وأخلاقه كاملة . فإذا
صار هناك خلل بعقيدته لم يصبح جليلا ، وإذا كان هناك انحراف
بسلوكه لم يصبح جليلا كذلك ، فاستقامة العقيدة مع استقامة
السلوك ، تجعل الإنسان جليل القدر . الحقيقة عندما يكون الإنسان
سخيفا وخفيفا وثرثارا ويحشر أنفه في موضوعات لا تعنيه لا يكون
له قدر عند الناس إطلاقا . أما إذا كان هناك وقار ، واستقامة ،
وضبط للسان ، والجوارح ، واعتناء بالمظهر ، وبقية بالعمل ، هذه
الصفات الكاملة ترفع قدره ، وتجعله جليلا في نظر الناس

الآن أدب المؤمن مع الجليل: أن يتحلى بالكمال لأن الله عز وجل
كامل ويحب الكامل ، وهو عفو ويحب العفو ، وكريم يحب الكريم ،
فإذا أردت أن تقترب من الله عز وجل ، فاقترِب من صفاته وأسمائه
وتذكر أنه هو الذي أفاض عليك الجمال ، سواء أكان جمال صورة ،
أم جمال حس ، أم جمال نفس . والإنسان إذا حدثته نفسه بما لا يليق
بالله عز وجل ، و وسوس له الشيطان شيئا ، فليذكر اسم الجليل .
ويجب أن تستحيي من الجليل وأن تستحيي من الله حق الحياء ، قيل
وما حق الحياء قال :

" أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وأن تذكر الموت والبلى " ، " ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا ، لم يعبا الله بشيء من عمله .

" ولا تجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليك " .

فإذا كان الإنسان يستحي من الضيف ، و يضبط كلامه ، و صوته ، و يرتدي لباسا جميلا ، و يرتب بيته .. فالله أحق أن يُستحي منه ، و إذا كان الإنسان بخلوة فلا يتكلم بكلام غير لائق ، ولا يتبذل إلى درجة غير معقولة بثيابه ، ولا يعمل أعمالا لا ترضي الله ! فمن أدب المؤمن مع اسم الجليل ؛ أن يوقر الجليل في خلوته ، والمؤمن الصادق يشعر دائما أن الله معه وقد ورد في بعض الأحاديث :

" ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " !.

أيها الإخوة : لا يستطيع الإنسان في عجلة أن يتحدث عن اسم الجليل إلا بالقدر الذي سمح الله به لقوله تعالى في سورة البقرة :
" و لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " .

وقوله تعالى في سورة الإسراء : " و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " (٨٥) .

لكن ملخص الملخص : أن مجموعة من صفات الله عز و جل ، تتعلق بعظمته ، و قوته ، و علمه ، و قدرته ، و غناه ، و قدسيته ،

و هذه المجموعة من الصفات ، مجموعة في اسم الجليل .
و مجموعة أخرى متعلقة برحمته ، و إحسانه ، و لطفه ، و بره ،
و عفوه ، و عطفه ؛ و هذه متعلقة باسم الجميل . و إذا قلنا إن الله
جميل : أي أن البصائر تدرك جماله .

و الإنسان إذا كان مع الله ، فالله يُجْهِّه ، و يُعْطِي قَدْرَهُ ، و يربأ
به أن يضعه في الوحول ، أو أن يحوجه إلى عبد لئيم ، فأنت مع
الجليل ، جليل . و أنت مع القوي قوي ... لذلك في بعض الأدعية :
إلهي كيف نُضام في سلطانك ؟! وكيف نُذَلُّ في عزك ؟! وكيف
نفتقر في غناك .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن تكون هذه الدروس - دروس
أسماء الله الحسنى - منطلقاً لنا للإقبال على الله وللاتصال به ،
والسعي إلى مرضاته لأن معرفة الله لا يعلو عليها شيء في الحياة ،
والمعرفة أصل الدين كما قال عليه الصلاة والسلام فيما ورد عنه ،
وقلت لكم من قبل أن

الإنسان إذا عرف الله ، تفانى في طاعته .
أما إذا لم يعرفه وعرف أمره ، تفنن في التفلت من أمره !!!!! .
و بين التفاني والتفنن بون شاسع !!!!! .

و الحمد لله رب العالمين .

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

البصير

أيها الإخوة المؤمنون : الاسم اليوم هو البصير ، هذا الاسم ورد في الحديث الصحيح ، والآن دعونا نتحدث عن معنى هذا الاسم في اللغة :

البصر : هو العين ، أو حاسة الرؤية ، وقيل البصر : هو النور الذي تدرك به المبصرات ، وكلكم يعلم أن العين مهما تكن حادة النظر ومهما يكن الشيء واضحاً لا بد من وسيط من النور يتيح للعين أن ترى هذا الشيء ، ويمكن أن تطبق هذه الحقيقة على العقل ، فالعقل مهما كان حاد الذكاء ، ومهما كانت الأمور واضحة وضوح الشمس ، لا بد من نور إلهي يكشف لهذا العقل حقيقة الأشياء ، لذلك قال تعالى في سورة الأنفال :

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾

و في سورة الحديد :

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾

و العقل من دون هداية الله ، أو وحي السماء ، أو خطاب الله للبشر ، العقل يضل ويضل ، وينحرف ويحرف ؟ فالبصير من البصر ، والبصر هي العين ، والبصر هو النور الذي تدرك به المبصرات ، هذه المعاني وردت في معاجم اللغة .

و البصر أيضاً نفاذ الحقيقة في القلب ، والبصيرة قوة القلب المدركة لهذه الحقائق ، نقول فلان ذو بصيرة أي في قلبه قدرة على كشف الحقائق ، والمبصر هو العالم والحاقد ، والتبصر هو التأمل والتعرف والثبات في الدين .

قبل أن نمضي في التعرف على هذا الاسم العظيم ينبغي أن نضع بين أيديكم هذه الحقيقة ؛ و هي أن مشكلة الناس جميعاً في انحراف الرؤية وفي خطأ الرؤية ، لأن الإنسان في الأصل مفطور على حب ذاته وحب وجوده ، وحب سلامة وجوده ، فهو يحب كمال وجوده واستمرار وجوده ، فكيف إذن يسلك طريقاً فيه هلاكه ؟!!! وكيف يقترب المعاصي والآثام ، وكيف يهلك نفسه بمعصية ربه ؟ لأنه رأى خطأ أن المعصية مغنماً لا مغرماً ، لأنه رأى خطأ أن كسب هذا المال الحرام ربح له .

و الصحيح أن حرص الإنسان على وجوده وسلامة وجوده يقتضي أن يلتزم بطاعة الله عز وجل فماذا هوؤلاء الذين يقتربون المعاصي والآثام ، هؤلاء الذين يرتادون الأماكن المحرمة

لماذا ارتادوها لماذا أقبلوا على المعصية ؟ لأنهم توهموا أنها تسعدهم ، ولو عرفوا أن طاعة الله عز وجل هي وحدها التي تسعدهم وأن الإقبال عليه هو الذي يطمئنهم لما سلكوا هذا الطريق .

فما الفرق بين مؤمن مستقيم على أمر الله ، وبين عاصٍ متفلت من أمر الله ؟ الفرق بينهما ، في الرؤية !!!

سيدنا يوسف حينما دعت امرأة ذات منصب وجمال قال إني أخاف الله رب العالمين ، !!!؟ منعته رؤيته ، لما تنطوي عليه المعصية من هلاك ومن بُعد عن الله عز وجل ، و ذلك الذي إذا دعت امرأة ذات منصب و جمال أقبل على هذه المعصية ما الفرق بينه وبين هذا الطائع ؟ .. الرؤية فقط .. إن صحت رؤيتك صح عملك وإن صح عملك سعدت في الدنيا والآخرة ، وإن انحرفت رؤيتك فسد عملك وإن فسد عملك هلكت في الدنيا والآخرة ، أكاد أقول إن الفرق الوحيد بين الشقي والسعيد ، بين المستقيم والمنحرف ، صحة الرؤية أو خطأ الرؤية .

لذلك بماذا كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كان يدعو ويقول " اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه " .

لذلك حينما يرى الإنسان أن المعصية مهلكة له ، وأن الطاعة

مغنا له - و الله الذي لا إله إلا هو - هذه نعمة لا تقدر بثمن !!! .

لأن هناك من يرى الباطل حقاً ، وأن هناك من يرى الحق باطلاً !!! .

الآن أنت بحاجة إلى إرادة قوية تحملك على اتباع الحق وترك الباطل ، في الأول رؤية ثم إرادة .

أيها الإخوة من عاداتي أنني إذا رأيت شاباً مؤمناً مستقيماً ، أقول له دائماً : " إن أعظم نعمة أنت فيها هي نعمة الهدى أن في قلبك نوراً يريك الحق حقاً والباطل باطلاً " ، فالإسان إذا اتصل بالله ولاذ بالله ، وانطلق لتنفيذ أمر الله ، ألقى الله في قلبه النور !!! .

الآن نتحدث عن اسم البصير وهو من أسماء الله الحسنى ، فهو المبصر لجميع المبصرات في الكون ، فالبصير هو الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخفيها من دون جارحة ، والبصر في حق الله تعالى عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات ؛ الشيء إذا انكشف لك انكشافاً تاماً فقد أبصرتَه ، قد ينكشف لك ظاهره ، وإذا انكشف لك ظاهره فأنت لم تدرك كمال صفته .

قد تأتي أنت بقطعة ماس ثمنها نصف مليون ليرة تضعها في الوحل ثم تضعها في الشمس تبدو لك كدرّة ، فإذا رأيت ظاهرها ظننتها كدرّة ، لذلك كمال الإبصار أن ترى حقيقة الشيء .

لذلك قالوا هي الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت الأشياء ما
معنى اسم البصير ؟ معنى اسم البصير هو الذي تنكشف له كمال
صفات الأشياء ؛ يعني أنت كإنسان بهذه العين ترى الماسة كدرة ،
لكن البصير يراها ماسة ، فرق كبير !!! .

أي أن الله عز وجل يعرف كل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، أما
نحن فنرى ظاهر الأشياء ، أما باطنها ، أما حقيقتها فمخجوبة عنا ،
وقد ورد هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن نحكم بالظاهر
والله يتولى السرائر " .

الفكرة دقيقة ، يعني اسم البصير ؛ هي الصفة التي ينكشف بها
كمال صفة المبصرات ، لو فرضنا إنسان قصير القامة أسمر اللون
أحنف الرجل نأتى الوجنتين غائر العينين مائل الذقن ، وقد يكون
أعلم علماء الأرض في علم من العلوم ، فأنت إذا نظرت إلى شكله
رأيت شيئا عاديا ، لكن لو علمت ما ينطوي عليه من علم لأكبرته
أعظم إكبار ، طبعا هذا ورد في التاريخ عن أحد التابعين وهو
الأحنف بن قيس وصفه من وصفه فقال : كان قصير القامة أسمر
اللون مائل الذقن أحنف الرجل ، غائر العينين ، نأتى الوجنتين ،
ليس شيء من قبح المنظر إلا أخذ منه بنصيب ، وكان مع ذلك سيد
قومه ، إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف سيف لا يسألونه فيم
غضب !!! .

لو أن واحداً من الناس نظر إلى الأحنف بن قيس . فرأى فيه هذه الصفات التي لا تُرضي ؟ فظن أنه شخصاً عادياً ، هل أدرك بعينه هذه كمال صفات هذا التابعي الجليل ؟ لا .

فمعنى اسم البصير ؛ صفة لله عز وجل تنكشف بها كمالات نعوت الأشياء ، بصير أي يعلم كل شيء ، يبصر كل شيء ، ظاهر الشيء و باطنه و خلفيته ، و ما ينطوي عليه .

الله عز و جل قال في سورة الضحى : " فَمَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ " (٩) . . . و لكننا أحياناً نرى أنساناً يضرب يتيماً، لهذا فهو يسقط من أعين الناس لأنه ارتكب معصية !!! لكن إذا علم الناس أن هذا اليتيم ارتكب عملاً قبيحاً يقتضي أن يُضرب بسببه ليتأدب أدركوا أن الشخص الذي يضربه على حق ، لأنه يضربه ليحمّله على الاستقامة !!! .

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي خادماً يُسيء و يظلم أفأضربه ؟ قال تعفو عنه كل يوم سبعين مرة " !!! مسند الإمام أحمد .

و قيل البصير هو المبصر ، المتصف بالبصر لجميع الموجودات دون حاسة ودون آلة ، فيعلم تعالى جميع المبصرات تمام العلم ، وتنكشف له تمام الانكشاف .

ما علاقتنا بهذا التفسير ؟ نحن نسعد كثيرا حينما نعلم أن الله يعلم الله يعلم نواياك . يعلم سلامة صدرك ، يعلم حبك للخير ، يعلم أن هذا الخطأ لا تقصد . يعلم أن هذا الوضع الحرج الذي وقعت فيه لا تريد . يعلم أن هذه الكلمة التي قلتها لم تكن تريد أن تقولها ، أنت حينما تعلم أن الله يعلم حقيقة كل شيء ، هذا مما يسعدك ، لأن الله قال في سورة الطلاق :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَبْدَ أَحَاطٍ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾

يجب أن تعلم أن الله يعلم ، وحينما تعلم أن الله يعلم ترتاح نفسك ... أحيانا يظل الموظف يعمل على مكتبه سبع ساعات ، ثم يخرج ليقف في الشرفة دقيقة واحدة ، فيراه المدير العام وهو في الشرفة ، فيغضب ويثور ، لأنه لا يعلم ماذا كان يفعل منذ قليل ، لم يره وهو يعمل باجتهاد بل رآه وهو في الشرفة فقط !!! .

فالإسنان علمه ناقص ، لكنك مع الله ، لماذا أنت مرتاح ؟!! لأنه يعلم سلامة صدرك ، يعلم أنك ما أردت هذا الذي حصل ، يعلم أنك تكن لهذا الإنسان كل خير ، يعلم أنك بريء من تلك التهمة .

لذلك قال أحدهم كلمة رائعة ، قال : الحمد لله على وجود الله ، الحمد لله على علم الله الله عز وجل لا يحتاج إلى إيصال ولا إلى

شهادة ولا إلى حلف يمين ، ولا إلى بينة ، هو يعلم كل شيء ، لذلك
حينما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار جاءه جبريل فقال له : " ألك
حاجة ؟ " ، " قال أما منك فلا !!! و لكنعلمه بحالي يُغني عن
سؤالي " !! أي أن الله عز وجل بصره كامل ، ينكشف له كل شيء ،
وهذا مما يسعد الإنسان أي سعادة .

كم من إنسان مظلوم متهم تهمة هو بريء منها ، على نطاق
الأسرة أحيانا يقول كلمة هو لا يقصدها تفسر تفسيرات أخرى ، يفعل
فعلا لا يريد صدفة يفسر تفسيرات أخرى ، لكن الضمان العظيم هو
أن الله يعلم !!! .

لكن بالمناسبة ، رحم الله عبدا جبّ المغيبة عن نفسه ، و لنا في
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، حين جاءته السيدة
صفية في معتكفه ، ومر بهما صحابيان جليلان ، ثم أسرعوا في
السير فقال النبي الكريم لهما : " على رسلكما إنها صفية " !! قالوا
أفيك شك ؟ قال لا ، ولكن لئلا يدخل عليكما الشيطان .

نعم إن الله جل جلاله يعلم أنك على حق ، و لكنك مكلف أن
تبين ، أن توضح ، فلا يكفي أن تقول الله يعلم وتضع نفسك
موضع التهمة ، لا يكفي أن تقول الله ناظر إليّ وأنت في وضع
متهم فيه ، هذا ليس من السنّة ، بل يجب أن تدفع عن نفسك كل
الشبهات .

فلو دخل رجل إلى بيت فيه امرأة لا تحلُّ له ، أي ليست من محارمه ، وهو أنقى من الثلج ، وهو أطهر من الملائكة ، فإن وجوده مع هذه المرأة موضع تهمة وشبهة ... فاتقِ الشُّبُهَاتِ و لا تفعل هذا ، مهما كنت طاهراً ومستقيماً ومتمكناً لزمّام نفسك . لأن الخلوة محرّمة في الإسلام فأى موقف يضعك موضع التهمة الشرع يأمرك أن تبتعد عنه ... أحياناً تدخل إلى محل تجاري لا يوجد فيه أحد ، يجب عليك أن تخرج فوراً ، لا تقل . " أنا أنتظر صاحبه " . لأنك الآن في موضع متهم فيه .

الله جل جلاله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، رجل جالس في بيته ، أمامه نافذة الغرفة ليست مضاعفة ، أمامه شرفة ، خرجت امرأة إلى الشرفة ، ليس في العالم كله إنسان يستطيع أن يحاسبه على إطلاق بصره إلى هذه المرأة ، وليس هناك أحد يكشف ما إذا كان ينظر أو لا ينظر إلا الله ، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

لذلك أروع شيء أن تطيع الله في خلوتك ، لأن طاعة الله في خلوتك علامة إخلاصك وصدقك ، وقد ورد في الأثر " من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله " .

العبرة أن تطيعه سرا كما تطيعه علانية فهو الحاضر الذي لا

يغيب .

و مثال ذلك أن نتقي الله في مواعيد العمل فنحن محاسبون عليها لتكون رواتبنا حلال وإن كان مدير العمل أو صاحبه لا يرانا فإن الله يرانا .

البصير : ورد في كتاب الله في أربعين موضعا . منها مثلا ما جاء في سورة البقرة :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

الآن في ضوء فهمنا لمعنى البصير ، إن العمل له ظاهر ، وخلفية ، و باطن ، و نية ، و ملابسات .. وهو سبحانه وتعالى بصير بما تعمل ، يعني يبصر حجم علمك ، مقدار تضحيتك مقدار الصراع النفسي الذي سببه هذا العمل ، إن الله بصير به ، بصير بكل أبعاده ، بصير بخلفياته ، بصير بملابساته ، بصير بأهدافه ، بصير ببواعثه ، هذا معنى بصير .

أما أنت فلا تبصر إلا الظواهر فربنا حين يقول في سورة الحديد :

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٨٠﴾

يعنى بصير بحجم أعمالكم ، ونواياكم وبواعثكم ومقاصدكم
وأهدافكم وتضحياتكم ، والصراعات التي في أنفسكم .

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرِ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

سورة آل عمران

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا
وَصَمَّوْا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرِ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾

سورة المائدة

وَكَمُ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

مرة وقفت في هذا الجبل ونظرت إلى الشام ممتدة ، هذه مدينة
هادئة وادعة أبنية مضاءة متلائة هذه البيوت بطوايقها بأقبيتها ماذا
فيها من طاعات أو معاصي من يعلم ؟ الله وحده .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

يعني أنت لا تعلم ، وقد يسكن إنسان في مدينة وهو لا يعلم ما
فيها هو مؤمن يرتاد بيوت الله عز وجل ، له إخوة كرام ، يحسن
الظن في جميع الناس ، لكن حجم المعاصي في أي بلدة ، حجم
الموبقات ، من يعلم ذلك ؟ .

لكن ما كنت أصدق في حياتي أن إنسانة في مكان رفيع مرشحة
أن تكون ملكة في بلاد الغرب تعقد مؤتمرا صحفيا يثبت على كل
أجهزة الإعلام في جميع أنحاء العالم لتقول للناس إنني خنت
زوجي وزنيت مع فلان !!! نحن في أي عصر نعيش ؟؟؟ قال
تعالى في سورة النحل : " أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعرون أيمانَ
يُبْعَثُونَ " (٢١) .

سبحان الله كم بيننا وبين أهل الفسق والفجور مسافات شاسعة ،
البيت المسلم بيت شريف ، بيت طاهر ، بيت نقي ، حتى الإنسان لو
زلت قدمه ينبغي أن يستر نفسه .

وَاللَّهُ يَتَقَبَّلُ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْبَلُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

سورة غافر

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي ضُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِيغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥١﴾

سورة غافر

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافًى وَيَقْبِضْنَ مَا يَمَسُّكُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٦﴾

سورة الملك

إن هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلينا ، لأن النبي عليه
الصلاة والسلام يقول أفضل إيمان المرء أن تعلم أن الله
معك ، وأرقى حالات المؤمن أن يشعر أنه تحت مراقبة الله عز
وجل .

أفضل حالات المؤمن أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن
الله يراه يعني أن تشعر أن الله يراك ، هذه درجة في الإيمان عالية
جدا أن تشعر دائما أن الله معك ، أن الله معك في خلوتك وفي جلوتك
وفي مجلسك ، ومع ذكرك ومع نطقك ، وفي سفرك وفي حضرك ،
هذا الشعور المستمر من نعم الله العظمى وهو درجة من درجات
الإيمان العالية .

و الآن نعود لاسم الله البصير ... إن إِبصار الله تعالى منزه عن
أن يكون بحدقة أو أجفان ، مقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور

والألوان كما ينطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التأثير والتغيير
المقتضي للحدثان .

فلا يعقل ولا يليق بالله عز وجل أن يبصر بحاسة ولا بأداة ولا
بتغير ، كما يحدث لدى الإنسان الذي يرى حين يسقط ضوء على
شبكة العين فيتم تعريف الصورة التي هي عبارة عن مجموعة نقاط
متفاوتة في الإضاءة ، ولو لم يحدث هذا لما أبصر الإنسان !!! .

لكن الله جل جلاله منزّه عن أن يبصر بحاسة أو أداة أو تغيير
في ذاته ، وإذا نُزّه الله جل جلاله عن ذلك كان البصر في حقه
عبارة عن الصفة التي تنكشف بها كمالات المبصرات ، وصفات
الأشياء .

الآن ما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به حيال هذا الاسم العظيم ؟
الله عز وجل بصير ، ولأنك مخلوق مكرم ، كما قال تعالى في سورة
الإسراء :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠)

لأنك مخلوق مكرم ، الله بصير ومنحك حاسة البصر ، لماذا
أودع الله فيك هاتين العينين ؟ يقول تعالى في سورة البلد : " ألم
نجعل له عينين؟! " .

العين السليمة تدرك الفرق بين درجات الألوان لو درجنا أي لون
ثمانمائة ألف درجة !!! .

و العين السليمة تبصر من دون توقف لإصلاح الأفلام مثلاً كما
يحدث مع فيلم الكاميرا الذي يحتاج إلى تحميض ، العين تبصر
مباشرة ، وتدرك الشيء بحجمه الحقيقي ، انظر إلى الجبل تراه
بحجمه الحقيقي ، و لكن أنظر إلى صورة الجبل في الصورة تراه
بحجم أربع سنتيمر . العين تدرك الشيء بحجمه .

هذه العين فيها مطابقة والمطابقة شيء لا يصدق ، ففي الفيزياء
العدسة البلورية : لو وضعنا أمامها شمعة وخلف هذه العدسة في
محرقتها لوحة ، لا ينطبع خيال الشمعة على اللوحة إلا في مكان واحد
فقط ، فلو أزحناها قليلاً أصبح الظل أو المرسم على هذه اللوحة غير
واضح ، إذا غيرنا مكان الشمعة نحتاج إلى تعديل مكان اللوحة لأنه
تغير المحرق لكن العدسة التي أودعها الله في الإنسان عدسة مرنة ،
فإذا رأيت الشيء يتحرك فبدلاً من أن يحدث تحرك في الشبكية ،
العدسة يزداد إحداب العدسة أو يقل ، فهناك عضلات اسمها عضلات
هدبية ، تضغط على هذا الجسم البلوري فتزيد إحدابه أو تقله ، هذه
العضلات تزيد الإحداب أو تقله بالميكرونات .

هناك سؤال كبير ، كيف ضغط هذا الجسم حتى جاء الخيال على
الشبكية ؟ من حسب المسافة بينك وبينه ؟ .. رأيتَه أولاً فحسبت

المسافة ، إن رأيتَه فقد رأيتَه ، وإن لم تره كيف حسبت المسافة ؟
عملية المطابقة في العين من أعظم الأدلة الدالة على وجود الله وعلى
عظمته ، وهذه المطابقة يعجز عن فهمها العلماء والمطابق تحدث
بعد ستين متر إلى اللاتهاية ، لذلك الإنسان إذا سكن في مدينة مكتظة
يضعف بصره ، و يحتاج إلى نظارات ، أما أهل البادية فدائما العين
عندهم مستريحة تنظر إلى مسافات بعيدة .

الذي أريد أن أقوله لكم ؟ هذه العين سميت كريمة الإنسان لأن
الله كرمه بها ، لماذا خلقها الله له ؟ هل ليرى بها العورات ؟!
أو الموبقات ؟! أو المحرمات ؟! أو النساء الكاسيات العاريات ؟! أم
ليرى بها آيات الله الدالة على عظمته ، فالعين التي تُغض عن محارم
الله ، والعين التي تحرس في سبيل الله ، والعين التي ينهمر منها
دموع من خشية الله هذه عين شريفة ظاهرة ، الله سبحانه وتعالى
في الأعم الأغلب لا يفجئك بها ، و المرجو من الله أن يحفظها لك
إلى نهاية الحياة " .

" اللهم متّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا " .

إذن من أدبنا مع اسم البصير الذي منحنا نعمة البصر أن
نستخدم العين في أن نبصر بها آيات الله الدالة على عظمته .

قال أحد الأنبياء : من كان نظره عبّرة ، ويقظته فكرة ، وكلامه
ذِكرا فهو مؤمن ، لذلك قال النبي الكريم : " أمرني ربي بتسع

من هذه التسع أن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري
عبرة " .

الشيء الثاني : يجب أن تعلم أن الله يبصرك ، الذي خلق نعمة
البصر ألا يبصر ؟ .. قال تعالى :

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ
لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ
الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

سورة البلد

الآية دقيقة جدا ، أبحسب أن لم يره أحد وهو يرى ، فالذي خلق
لك البصر ألا يراك ؟!! ألم نجعل له عينين يبصر بهما ، فالذي خلق
لك العينين يراك حين تقوم قال تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْتَكِبُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

سورة الشعراء

وقيل : من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان
بنظر الله إليه ، أحد ثمرات الإيمان أن تشعر أن الله معك وهو ناظر
إليك ..

الآن دققوا في هذه العبارة ؛ الإمام الغزالي : " من قارب معصية وهو يعلم أن الله تعالى يراه فما أجرأه على الله وما أخسره ، وإن ظن أن الله لا يعلم فما أكفره وما أجهله " ، إن اقرّف الإنسان معصية وهو يعلم أن الله يراه فما أجهله وأخسره .

فمقرّف المعصية إن علم أن الله يعلم، فهو مجترئ على الله وخاسر !! .

و إن علم أن الله لا يعلم فهو جاهل وكافر !!! لأن الله يعلم .

و عن أبي هريرة قال كان النبي صلى اللهم عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال : " ما الإيمان ؟ " قال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه و بِلِقائه ورسوله وتؤمن بالبعث . " قال : " ما الإسلام ؟ " قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " قال : " ما الإحسان ؟ " قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " !! صحيح البخاري .

و إذا عرف الإنسان أن الله تعالى هو البصير و كان الإنسان عاقلا زين باطنه بالمراقبة ، وزين ظاهره بالمحاسبة .

و كان بعض السلف يقولون : إذا عصيت مولاك فاعصيه في موضع لا يراك فيه .

دعا بعضهم فقال : " إلهي أنت البصير وبعيوي الخبير وذنوبي
المطلع على سرِّي ، بيدك زمام أمري ، أسألك أن تجعل في قلبي
نورا وفي بصري نورا لأشاهد حقائق الأشياء ، وأتأدب معك بالظاهر
والخفاء إلهي اجعلني لك من المشاهدين وفي حماك من القائمين إنك
على كل شيء قدير " .

و أحب أن أختتم بقول الله تعالى في سورة الأنعام :

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

و الحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب

الصفحة	الإسم
أ	<u>مقدمة</u>
١	الخبير
١٩	الشكور
٥١	العزیز
٨٣	القدوس
١١٧	القهار
١٤١	الكریم
١٧١	النور
١٩٣	الهادی
٢٢٣	الوهاب
٢٥١	مالك الملك
٢٧٥	الأكرم
٢٩٧	الرب
٣٢١	الرزاق

٣٤٧	الرقيب
٣٦٩	الصدد
٣٨٩	الغفور
٤٠٥	الفتاح
٣٢٩	اللطيف
٤٥١	الجليل
٤٦٩	البصير
٤٩٠	المحتويات

هذه النسخة غير مخصصة للبيع

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

هذه النسخة غير مخصصة للبيع